لجنة التأليف والترجمة والنشر

ديوان
إسماعيل صبري باشا

صححه وضبطه وشرحه ورتبه

الأستاذ أحمد الزين

بدار الكتب المصرية

وقام بجمعه

صاحب العزة حسن رفعت بك

المستشار بمحكمة الاستئناف سابقا

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م

لجنة التأليف والترجمة والنشر

ديوان إسماعيل صبري باشا

صححه وضبطه وشرحه ورتبه

الأستاذ أحمد الزين

بدار الكتب المصرية

وقام بجمعه

صاحب العزة حسن رفعت بك

المستشار بمحكمة الاستئناف سابقا

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م



صورة المرحوم اسماعيل صبري باشا

كلمة جامع الديوان

حضرة صاحب العزة حسن رفعت بك

عرفت صبريا ، رحمه الله ، رئيسا لمحكمة الاسكندرية ، وكنت إذ ذاك تلميذا صغيرا . وكان الجوار قد مهّد لصلة مودة بين أسرتينا ؛ ثم تقلب صبرى فى عليا المناصب بالقاهرة ، وعاد منها إلى الاسكندرية محافظا لها ، فتجددت الصلة القديمة ، وتوثقت عُراها ؛ وفى إحدى زياراتى له — وكنت وقتئذ طالبا بمدرسة الحقوق الخديوية — جرى حديث طريف بين صبرى و بينى بحضور الأستاذ الإمام المرحوم الشيخ محمد عبده فى موضوع تعدّد الزوجات ، وكان صبرى يحب التوحيد فى المرأة — كما قال فى كلمته المأثورة — وكنت على مذهبه فاتفقنا فى الرأى ؛ وكان من أثر ذلك أن تكوّن عند صبرى رأىٌ حَسَنٌ فىّ وبعد أن أتممت دراسة الحقوق والتحقت بالنيابة العامة ، تشرّفتُ بمصاهرته وكان ذلك فى عام ١٩٠٥ .

وفى ذلك التاريخ كان صبرى وكيلا لنظارة الحقانية ، ونجما ساطعا فى عالم الأدب والشعر ، فكان يلقّب تارة أمير الشعراء ، وطورا شيخهم ، وحسبت أن صبريا يُعْنَى بحفظ آثاره ، غير أنى تبيّنتُ أنه — رحمه الله — كان أشبه بالبلبل يرسل أغاريده الساحرة إذا ما جاشت فى صدره عاطفة ، أو تأثّرتْ نفسُه بحادثة أو خطرتْ له ذكرى ، ثم يتركها تمضى مع الأيام غير مبال بمصيرها . وقد عَرف فيه الذين كانوا يتصلون به هذه العادة ، فكانوا يبادرون إلى تسجيل شعره فى الصحف والكتب والمجلات ضنّا به على الضياع ، ولولا ذلك ما بقى منه سوى ما كان ينشره فى الفينة بعد الفينة بباعث من الظروف أو المجامَلات ؛ والقليل منه الذى عُثر عليه بمكتبته مسطورا بيده على أوراق وهوامش كتب ومجلات ولم يُذَع بعضه قبل اليوم .

وقد أخبرنى الأستاذ الكبير المأسوف عليه داود بركات رئيس تحرير جريدة الأهرام أن إسماعيل صبرى الذى كان يقدّره ويأنس به ، قرأ عليه يوما نشيدا قوميّا من أبدع ما جادت به قريحته ، فرغب إليه أن يتركه عنده ليحلّيَ به صدرَ صحيفته ، غير أن صبريا طلب إليه التريث إلى الغد ، ثم أخبره بعد ذلك أنه قد مزّقه ، ولم يعد يذكر منه شيئا ، فأسف داود على ذلك أشد الأسف ، وعوّل على ألاّ يترك صبرى إذا أسمعه قصيدة من نظمه حتى يأخذها .

ولما عرفتُ هذه العادة فيه ، خفتُ على آثاره الثمينة من التشتت والضياع فعقدت النية على جمع ما تفرّق منها فى بطون الكتب وثنايا الصحف والمجلات وما حفظه أصدقاؤه والرواة من قِطَعِه التى لم تُنْشَر ، والحرص على ما يجدّ منها .

وحين فجع الأدب العربى بوفاته فى أوائل عام ١٩٢٣ كان أكثر ما أثمرته عبقريّته بعد اتصالى به محفوظا لدىّ ، ولم تُتِح لى الظروف قبل وفاته إنجاز ما كنت قد اعتزمت فى شأن ما انطوى عليه الماضى البعيد من آثاره الجليلة فشمرتُ عن ساعد الجد ، وبذلت أقصى الجهد فى إخراجه من مكامنه ، وعاوننى فى ذلك ولداى الدكتور ابراهيم رفعت المدرس بكلية الهندسة ، وأحمد رفعت المهندس ، وصديقنا عبد الحميد أحمد ثابت المدرس بالمدارس الأميرية وغيرهم ، ولا يخفى ما يتطلبه مثل هذا البحث من الزمن الطويل والجهد الشاق .

ولما أن تم لى ما أردت من جمع هذا التراث الغالى تفضل العلامة الأستاذ أحمد الزين ، صديق صبرى وجليسه ، بتنسيق ديوانه وتشكيله وشرحه على أكمل وجه ، وتولت لجنة التأليف والترجمة والنشر إخراجه فى أحسن حلة وها هو الديوان المرتجى من زمن بعيد نقدمه لطلاب الأدب من الناطقين بلغة العرب ، ضارعين إلى الله عز وجل أن يجزى الذين جاهدوا معنا فى سبيله من أهل الفضل أحسن الجزاء .

حسن رفعت

المقدِّمات

رأيتُ أن أقدّم بين يدى هـذا الديوان دراسةً له مستوفاةً بأقلام أعلام الأدب : الدكتور طه حسين بك والأستاذ أحمد أمين والأستاذ أنطون الجميّل بك معقبا ذلك بدراسة رابعة لى ضمّنتها ما عرفتــه بطول عشرتى للمرحوم إسماعيل صبرى باشا من أخلاقه ووطنيّته ، و بحثا فى شاعريته ، وتوضيحا لما اتبعتُه فى تصحيح ديوانه ، و بيانا مفَصَّلا لأطوار حياته ، فأجمعَ بذلك للقارئ بين الاستفادة من شعره ، وتلك الدراسة الواسعة المستوعبة كثيرا من نواحيه ، وذلك ليكون فى اختلاف الاتجاهات فى البحث وتنوّعِ الآراء فى الشعر تلقيحٌ لعقله ، وتبصير لذهنه ، وضوءٌ قوىّ يسير على هُداه فى قراءة هذا الديوان . وأيضا فإن من حق إسماعيل صبرى على قراء العربيّة أن يخرج شعرُه فى موكب حَفْـلٍ من رجالها المتازين ، وأعلامها المبرِّزين ؛ تعظيما لحقّه ، واعترافا بأياديه على الشعر والأدب .

أحمد الزين

كلمة

حضرة صاحب العزة الأستاذ الكبير

الدكتور طه حسين بك

هذا فصل من فصول التاريخ الأدبيّ المصريّ عامة ، والشعرِ المصريّ الحديث خاصّة ، كان مهمَلا مضيَّعا ، فأتيح لمؤرخى الأدب والشعر فى مصر الحديثة أن يُعنَوا به فيدرسوه ويكتبوه ، فقد كنّا نسمع ذِكر إسماعيل صبرى باشا ، ونقرأ شعرَه أيّام الشباب ، ونشارك فى الحديث عنه ، ونخوض فى نقد ما كان يُنشَر له من الآثار ، ولكنّا لم نكن نصنع ذلك إلاّ فى كثير جدّا من التحفّظ والاحتياط ، لأن الرجل كان مُقِلاّ ، ولأنّه كان متحفّظا محتاطا فى إذاعة شعره ولأنه يَنْبوعٌ خاصٌّ كان ممتازا فى حياته ، مُنحازا إلى نفسه وإلى جماعة ضيّقة من الأصدقاء ، لا يكاد يتجاوزها إلى الأندية العامّة ، ولا يكاد يَخرج منها ليخالط الناسَ فى تلك المجالس التى كان يختلف إليها الأدباء والشعراء خاصّةً فى هذه الناحية أو تلك من نواحى القاهرة .

فكان علمُ الناسِ به قليلا ، وكان حديثُهم عنه ضيّقا محدودا ، وكانوا يقرأون شعره فيرضَون ويُعجَبون ، دون طمع فى أن يعرفوا من أمر الرجل أكثرَ مما عرفوا ، ويَظهَروا من دقائق حياته على أكثرَ ممّا ظهَروا عليه . وكان الناس يتندّرون بما كانوا يسمعون من حافظ وشوقى ، أو ما كان ينقله إليهم المتصلون بحافظ وشوقى من الفكاهات ، ولكنّهم قلّما كانوا يسمعون شيئا من ذلك يُروَى

لهم عن إسماعيل صبرى ، فضلا عن أن يَسمعوه منه سماعا مباشِرا . ثم توفى إسماعيل باشا صبرى فتحدّث الناس عنه ، وحَزِنوا لوفاته ، واحتفظوا ببعض ما كان قد نُشِر من شعره ، يروونه مرفِّهين به على أنفسهم ، ومصوِّرين به بعضَ ما يجيشُ فى صدورهم من العواطف ، ولكنّهم لم يلبثوا أن شُغلوا عنه بالأحداث الجسام التى شغلت المصريّين بعد الحرب الكبرى من جهة ، وبشعر شوقى وحافظ الذى اتصل قولُه ونشرُه وتأثيرُه فى نفوس الشباب والشيوخ من جهة أخرى .

ونشأ الجيل الحديث وهو يَجهل صبرى جهلا تامّا ، ولعل من أبنائه من كان يَسمع اسمَهَ فلا يُثير فى نفسه هذا الاسمُ شيئا ما ؛ وكنا نحن أبناءَ الجيل الّذى رافق صبرى عصرا من حياته وسَمِع شِعرَه وتأثّر به ، نَأْسَى لهذا كلّه أشدَّ الأسى ، ونذكر صبرى إذا الْتقينا وأخذنا فى حديث الشعر والغناء ، ونأسف أعظمَ الأسف وأعمقَه لأنّ شعره لم يُجْمَع ولم يُذَع فى الناس ؛ ونودُّ لو أُتيح لهذا الشعر من يَجمعه ويُذيعه ويقرّه فى مكانه من تاريخ الشعر المصرىّ الحديث نهوضا بحقّ التاريخ الأدبىّ نفسِه ، ووفاءً لهذا الرجل الّذى عَرَف فى كثير من الأحيان كيف يصل إلى أعماق النفوس ، وكيف يصوِّر عواطف الجيل الّذى عاش فيه ؛ فالآن قد أُدِّى للتاريخ الأدبىِّ حقُّه ، والآن قد رُدَّ إلى صبرى حظُّه من الوفاء والاعتراف بالجميل ، وفضلُ ذلك إلى أُسرته وإلى صديقنا الأديب البارع الأستاذ أحمد الزين .

فأمّا الأسرة فقد تكلّفتْ جهدا غير قليل فى جمع ما تفرّق من هذا الشعر والبحثِ عمّا استَخفى منه ؛ وأمّا الأستاذ الزين فقد شارك فى هذا البحث وذلك الجهد ، وانفرد بجُهد آخَر قيِّم ممتازٍ حين أَشرف على نشر هذا الديوان وشرحِه وفسّر ما يحتاج إلى التفسير من أبياته على اختلاف ألوان هذا التفسير ، باللّغة حينا ،

و بالتاريخ والرواية حينا آخر ؛ فعلى الجيل الّذى عاصر صبرى وكان شديد الحرص على نشر ديوانه ، وعلى الجيل الحديثِ الذى لم يَعرف صبرى وكان خليقا أن يعرفه ، وعلى الأجيال المقبلة التى ستَستقبل تاريخ أدبنا المصرىِّ الحديثِ كاملا من هذه الناحية ، على هذه الأجيال كلِّها للأسرة وللأستاذ الزين حقٌّ الشكر الخالص والثناء الجميل .

قلت : إنّ نَشر هذا الديوان يَرُدّ إلى التاريخ الأدبى فصلا من فصوله القيّمة ، وما أُحبُّ أن يُظنّ بِىَ الغلوُّ فى ذلك أو الإسراف ، فقد أجمعَ الجيلُ الّذى عَاصر صبرى على أنّه كان شاعرا ممتازا ، وعلى أنه كان عَلَما من أعلام الشعر فيه ، ولم يكن هذا الجيل يَذكر الشعراء الممتازين إلا ذكر معهم صبرى ؛ فكانت الطبقة الأولى من شعراء العصر الحديث إذا ذُكرتْ لم تَخلُ مِن ذكره ، وقد يكون الجيل مصيبا ، وقد يكون مخطئا ، ولكن الحقيقة الواقعة أنه كان يضع صبرى فى هذه الطبقة ، لا يختلف فى ذلك ، ولا يجادل فيه ، فإذا دُرِس التاريخُ الأدبىّ لأواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن فسيجد الدارسون لهذا التاريخ هذه الحقيقة الواقعة ماثلةً أمامهم ، وسيضطرّون إلى أن يقفوا منها موقف الدرس والنقد والتحقيق والاستقصاء ؛ وما كان هذا ليتاح لهم لو لم يُذع فيهم هذا الديوان .

ورَأْىُ المعاصرين للبارودى وشوقى وحافظ فيهم معروف ؛ ودواوينُ هؤلاء الشعراء منشورة ، تمكِّن النُّقاد والباحثين ومؤرِّخى الآداب من تحقيق هذا الرأى وتصحيحه ، وتبرئته من الخطأ إن كان فيه شىء من الخطأ ، ومن الإسراف إن كان فيه بعض الإسراف ، والاستدلال على ما يشاءون من ذلك بما يحتاجون إليه من النصوص فى سهولةٍ ويُسر ؛ وقد كان هذا متعذرا بالقياس

إلى شعر صبرى ورأىِ المعاصِرين فيـه ، حتى أُذيعَ هذا الديوانُ فأصبح هذا سهلا يسيرا ، وربما كان لديوان صبرى من المزايا مالم يَسهُل اجتماعه لدواوين أصحابِه الذين ذكرتُهم آنفا ، فلم يكن صبرى شاعرا مكثِرا — كما قدَّمتُ — وإنما كان مُقِلاًّ شديدَ الإقلال ، ولم يكن صبرى يتخذ الشعر صناعة ، وإنما كان يتخذه لونا من ألوان الترف ، وفنّا من فنون الامتياز الأدبىّ والعقلىّ الرفيع ، فكان ديوانه من أجل ذلك صغيرا ضئيل الحجم ، وكان درسُه ميسَّرا سهلا لا يحتاج إلى كثير من جهد ، ولا يضيع فيـه كثيرٌ من وقت ، على حين أكثرَ أصحابُه ، وخاضوا فى فنونٍ مختلفةٍ من الشعر ، وامتدَّت بهم الحياة ، وكثرت عليهم الدواعى التى بعثتهم إلى نظم القريض ، فضَخُمتْ دواوينُهم ، وتنوّعَ شعرُهم ، واحتاج درسُهم ونقدُهم إلى الجهـد الثقيل والوقت الطويل ، بل ربما كانت لديوان صبرى مزيةٌ أخرى واضحةٌ بالقياس إلى أصحابه ، وهى أنّ شعره هذا القليل الذى لم يكن قطّ جزءا أساسيا من جوهر حيـاته ، وإنما كان نافلةً على هامش هذه الحياة — إن صحّ هذا التعبير — متّصلا مطّردا ، تكاد كلُّ قطعة منه تؤدِّى إلى القطعة التى تليها فى المعنى وفى الزمن أيضا ، فبين أيدينا شعرُه منذ بدأ يحاول قرضَ الشِّعر وهو فى السادسة عشرة ، إلى أن انتهت به السنُّ إلى أجَله المحتوم ، وكلُّ ذلك أو أكثرُه مؤرَّخٌ تاريخا دقيقا ، بحيث نستطيع أن نتتبع النّشأة الفنيّة لهذا الشاعر ، وأن نتبيّن ما اختلف على شعره من الأطوار فى غيرِ مشقّة ولا عناء ، فهو من هذه الناحيـة درسٌ قيِّمٌ لنشأة الفنّ الشّعرىّ عند شاعرٍ ممتاز ؛ ومن الخير أن يُعرض هذا الدرسُ على الشباب ، وأن يفقهوا ما فيه من عظة وعبرة ، وما له من قيمـةٍ فى تاريخ الأدب عامّة ، وفى تاريخ الشعر بنوع خاصّ .

فاقرأ الديوانَ من أوّله فسترى فتًى يحاول قرضَ الشعر على النحو الذى تعلَّم الناسُ من قَبلِه عليه قرضَ الشعر ؛ يقول فى الموضوعات التى كان الناس يقولون فيها فى مدح الخديوى إسماعيل ، وفى مدح بعض الأشخاص الذين كان يراهم فى سنِّه أهلا للمدح ، لا يريد بذلك إلا الفن ، إلا أن يَنظِم الشعر ويرفعه إلى الممدوحين ، وينشرَه فى الصحف ، ويتحدثَ الناسُ عنه بأنه شاعر ويصطنع فى هذا الشعر ما كان يصطنعه الناس من ألوان البديع متكلِّفا فى ذلك أحيانا ، معتدلا فيه أحيانا أخرى ؛ ولكنك تحسّ — على كل حال — جُهدَ الفتى واجتهادَه ، تحسّ التلميذ الذى يكلِّف نفسه المشقّة فى التحصيل ، ويريد أن يظفر منه بأعظم حظّ ممكن ؛ ولو أنّك لم تحسّ فى هذا الشعر إلا هذا الجهد والعناء ، لما كان له من خطر ، ولما كنتَ خليقا أن تمضىَ فى قراءته ؛ فما أكثر الّذين يتكلّفون الشعر أو يتكلّفون النظم ، ثم يدركهم الإعياء بعد وقتٍ طويل أو قصير ، ولكنّك تحسّ مع هذا الجهد شيئا آخر هو الذى يحبّب الشاعر إلى نفسك ، ويَعطِفك عليه عطفا شديدا ، ويُشعرك بأنه ليس متكلِّفا ولا مجتهدا فحسب ، ولكنّ وراء هذا الاجتهاد وذلك التكلّف شيئا يريد أن يَظهر ، ولابدّ من أن يَظهر ؛ وهو إن ظهر فسيميِّز الشاعرَ من معاصريه جميعا ، وهذا الشىء هو خفّة الرُّوح ، ورقّة الحسّ ، ودقّة الخيال ، وامتياز الطبع ، وحِدّة المِزاج ، وارتفاعُ الذوق ، كل هذا تحسّه مستخفيا فى شعر الصبىّ ينمّ به البيت أو البيتان أو الأبياتُ فى القصيدة ، فبينما أنت تقرأ هذا الشعر المتكلَّف مبتسما ابتسامة العطف والتشجيع لهذا الفتى المجتهد ، إذا أنت تقف عند هذا البيت أو ذاك وقفة الدَّهِش المُعجَب الّذى يكاد ينكر موقع هذا الشعر السهل الجميل الممتاز بين هذه الأبيات التى تظهر فيها الصنعة ظهورا قويا ؛ وامض فى قراءة

هذا الشعر فستراه يرقى فى لفظه وأسلوبه وصناعته من عام إلى عام ، وسترى هذه الأبيات الممتازة تزداد كثرةً فى هذا الشعر المصنوع من وقت إلى وقت ، وسيزداد شعورك بأن الشاعر إن مدح وأكثر من المدح فهو إنما يسير سيرة المعاصرين ، ويذهب مذهبهم ليس غير ، وإن هذا المدح الكثير لا يصوّر نفسه من قريب ولا من بعيد ، بل لا يصوّر شعره ، أو بعبارة أدق لا يصوّر فنّه الشعرىّ الخاصّ ، وإنما من وراء هذا المدح الكثير جذوةٌ ضئيلة جدًا ولكنها قويّةٌ جدًا ، قد احتفظ بها الشاعر فى دخيلة نفسه ، وفى ثنايا قلبه وفى أعماق ضميره ، وهى لا تمدح ولا تهجو ، ولا تأخذ فيما يأخذ فيه الشعراء عادةً من فضول الحديث ، وإنما تضىء نفسًا حسّاسةً ، وقلباً ذكيًا ، وضميراً نقيًا ومزاجاً رقيقاً يحبّ الجمال ويتأثّر به ، ويفنى فيه ، ويغنّيه فيحسن الغناء ، أو قل : إنك تحسّ من وراء هذا المدح الكثير زهرةً ضئيلةً جدا ، ولكنّها شديدة الحظّ من الحياة والقوّة ، ذكيّة الشّذى إلى أقصى حدود الذكاء ، تعطّر نفساً ممتازةً لا تستطيع أن تعيش فى غير هذا الجوّ العطِر الملتهب أيضا ، الّذى يسمّيه الناس جوّ الجمال والحبّ والغناء ، وما أعلم أنى أسفتُ على أنّى لم أتّصل بأحد من أدبائنا كما أسفتُ على أنّى لم أتصل بصبرى ، فقد كنت أودّ لو مسّنى لهبُ هذه الجذوة ، أو اتّصل بى عرْفُ هذه الزّهرة من قرب ، ولكن الظروف لم تُتِح لى هذا الاتصال ؛ وكيف السبيل لطالبٍ من طلاّب الأزهر أو من طلاّب الجامعة القديمة شديدِ الحياء أن يتّصل بهذا الرجل الارستقراطىّ الّذى كان يَشغَل منصباً رفيعا من مناصب الدولة ، ويلقّب بلقبٍ رفيعٍ من ألقابها ، ولا يجلس حيث كان يجلس الشعراء فى هذه القهوة أو تلك ، ولا يختلف إلى حيث كان يختلف الشعراء فى هذا النادى أو ذاك ، على أنّى لقيتُه ذات يوم مصادفةً

عند الأستاذ (أحمد لطفى السيد) فى إدارة الجريدة ، فإذا صوته وحديثه ونشاطه وحدّة عواطفه ، كلّ ذلك يصدّق الصورة التى كانت قد استقرّت منه فى نفسى . كان يسعى فى إقامة حفلة من حفلات التكريم لصاحب المعالى واصف باشا غالى وكان مؤمنا بوجوب الاعتراف لواصف باشا بمكانتـه الأدبيّة وفضله الممتاز ولم أكن أعرف الفرنسيّـة ، ولم أكن أعرف من مكانة واصف باشا وفضله الممتاز قليلا ولا كثيرا ؛ وإنمـا كنت أسمع كلاما يقال ، وأقرأ كلاما يُنشَر فى الصحف ، ولا أحصِّل من هذا كلِّه شيئا ، فلما رأيت صبرى باشا يصف أدبَ واصف باشا على النحو الذى كان يصفه عليه ، فُتِنتُ بالرجلين جميعا ، فُتِنتُ بصبرى لكلّ تلك الخِصال التى قدّمتُها ، وفُتِنتُ بواصف لما ألقَى صبرى فى نفسى من أمره ؛ على أننى اجترأتُ فقلتُ : أخلِقْ بواصف باشا أن يُكرَّم ولـكن أخلِق بك أنتَ أيضا أن يقيم لك المعجَبون بك حفلةً كهذه التى تدعو إليها . فوضع الرجل يدَه على كتفى ، ولم يردَّ علىّ بأكثرَ من هـذا ؛ ومضى فى الحديث ، ولم أره بعد ذلك اليوم ، إلا فى هذه الأيام القريبة الماضية ، حين أخذتُ أقرأ ديوانَه فتمثّلتْ لى نفسه كما عهدتُها من قبل ، وكما أحسستُها حين لقيتُه قويّةً حيّة ، ملتهبة العاطفة ، شديدةَ الإباء ، شديدة الحياء أيضا .

وأحسب أن قد كان لإبائه وحيائه تأثير عظيم فى حياته العامّة ، فقد كان الرجل شديدَ الذكاء ، شديد النشاط ، تنقّل فى المناصب القضائيّة ، ما سمحتْ له كفايتُه وحدَها بالتنقّل ، حتى إذا انتهى إلى وَكالة وزارة العـدل ، وأصبح تَجاوُزُ هذا للنصبِ فى ذلك الوقت رهينا بشىء آخر أكثر من الكفاية والذكاء والنشاط ، وقفَ الرجل عنده فلم يتجاوزه ، ونظر ذات يوم فرأى أترابَه ولداتِه يصّاعدون من حوله إلى منـاصب الوزارة ، ولعلّ نفسه أحسّت بعض الميل إلى

هذا الصّعود ، ولـكن الأسباب لم تُمَدّ له ، أو مُدَّتْ إليه ولم يستطع أن يأخذ بها إباءً وحياء ، فظلّ حيث كان ، وانتهى إلى هذه العُزْلة التى يصوّرها تصويرا مؤلما ، وإن لم تُواتِه روعةُ اللفظ فى هذين البيتين :

أَيْنَ (صَبْرِى) مَنْ يَذْكُرِ الْيَوْمَ (صَبْرِى)
بَعْدَ أَعْوَامِ عُزْلَةٍ وَشُهُورِ

إِسأَلُوا الشِّعْرَ فَهُوَ أَعْلَمُ هَلَّا
أَكَلَتْهُ الأَسْمَاكُ طَىَّ بُحُورِ

وأكبر الظنّ أن حياة هذا الشاعر الرقيق الأنيق المترَف لم تخلُ من صراع صامتٍ فيه شيء من العُنْف الأليم بين نفس قويّة ذكيّة وثّابة ، وأسبابٍ للرقىّ والسؤدُدِ لا تكتفى بالقوّة والذكاء والتوثّب ، وإنما تريد إليها خصالا أخرى لم يُتَحْ للشاعر أن يتصف بها ؛ وأكبر الظنّ أنّه نظر إلى الحياة فى شيء من هذه اللذة الأليمة التى يجدها أذكياء القلوب وأُباةُ النفوس حين يأخذون أنفسهم بما لا يحبّون ، ويكفّونها عما هى خليقة أن تبلغ من التفوّق والامتياز ، ومهما يكن من شيء فقد استسلم صبرى للشعر ، ولـكن فى قصد واعتدال ، فلم يتّخذه صناعة ، ولم يتوسّل به إلى الرقىّ ، ولم يتوسّل به إلى الكسب ، ولـكنّه مع ذلك مدح ورَثَى وجامَل مؤدّيا للحق ، أو مشاركا فى الفن ، ولم يرسل نفسه على سجيّتها حقّا إلا حين تَغَنَّى عواطفه وميوله وأهوائه ، حزينا مرّة ، ومسرورا مرة أخرى ، وكان الحزن أشيعَ فى نفسه من السرور ، وكانت الكآبة أظهرَ فى شعره من الابتهاج ، وكان شعرُه المصوِّر لنفسه حقّا من أجل هذا غناءً خالصا بأدق معانى هذه الكلمة وأرقاها ، لا يصوّر نفسه وحدَها ، ولـكنه يصور معها نفوسَ الناس جميعا حين يمرّون بمثل الأطوار التى يصفها فى شعره ؛ فانظر إلى

هذه الأبيات ونبّئنى ، ألستَ تحسّ أنها تصوّر نفسَك أروَعَ تصوير وأبرعه فى بعض أطوار الحزن والوحدة ، ألستَ تحسّ أن الشاعر كأنما ترجَم بها عما تجد أنت لا عمّا وَجَدَ هو ، ثم ألستَ تُحِسّ الرُّوح المصرىَّ الخالصَ يترقرق فيها كما يترقرق المـاء فى الغُصن النّضِر ، لولا أنه يصف النار التى يثيرها الهَجْر فيُحرق بها القلوب .

أَقصِرْ فُؤَادِى فَمَا الذِّكْرَى بِنَافِعَةٍ وَلَا بِشَافِعَةٍ فِى رَدِّ مَا كَانَا
سَـلَا الفُؤَادُ الذى شَاطَرْتَه زَمَنًا حَمْلَ الصَّبَابَةِ فَاخْفُقْ وَحْدَكَ الآنَا
مَا كَانَ ضَرَّكَ إذ عُلِّقْتَ شَمْسَ ضُحًى لَوِ ادَّكَرْتَ ضَحَايَا الْعِشْقِ أَحْيَانَا
هَلَّا أَخَـذْتَ لِهَذَا اليَوْمِ أُهْبَتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْبِحَ الأَشْوَاقُ أَشْجَانَا
لَهَفِى عَلَيْكَ قَضَيْتَ العُمْرَ مُقْتَحِمًا فِى الوَصْلِ نَارًا وَفِى الهِجْرَانِ نِيرَانَا

فهل تعرف رُوحاً أعذبَ من هذا الرُّوح ؟ وعاطفةً أصدقَ من هذه العاطفة ؟ ولهجةً أرقّ من هذه اللهجة ؟ وموسيقى أجلّ وأظرف وأحْسَنَ تمثيلا للرُّوح المصرى الشّعبىّ من هذه الموسيقى التى يلائم بهـا بين « نافعةٍ » و « شافعة » فى البيت الأوّل ؟ يأخذ هاتين الـكلمتين من حديث الشّعب فى حيـاته اليوميّة العاديّة ، فيرتفع بهما إلى أشدّ الشعر روعة ، وأعظمه حظا من سذاجة ، وهل تجد شيئا من الغرابة فى أن يُغَنِّىَ فى هذا الشعر بعضُ المغنّين .

وقد تفـكّه صبرى فى شعره بعضَ الشىء ، ولـكنّه لم يعرف الفـكاهة الخالصة التى تنتهى إلى الضحك ، لا تتجاوزه إلى شىء آخر ، و إنّما عرف هذه الفـكاهة التى تصدر عن النفوس المحزونة الـكئيبة ، فتدفع إلى الضحك و إلى الإغراق فيه ، ولـكنها تُعقب مرارة مستقرّة مؤلمة ، وهى إلى أن تكون سهاما نافذةً مهلـكةً أقربُ منها إلى أى شىء آخر .

واقرأ هذه المقطوعات التى رُويتْ فيما يسمّونه : (عامَ الـكفّ) والتى أرّقت لَيْلَ المويلحىّ — رحمه الله — فيما تحدّث إلينا به المتحدثون ، وقِفْ منها عند هذا البيت وحده ، فهو يصوّر فُـكاهة صبرى أحسَنَ تصوير وأبرعَه :

وَإِنْ أَحَدٌ تَعَرَّضَ لِي بِسُوءٍ   وَقَفْتُ وَرَاءَ صُدْغِي وَاْخْتَفَيْتُ

أترى إلى المويلحى — رحمه الله — يتّقى السوءَ الذى يمكن أن يسلَّط عليه بتعريض وجهه للّطم ؟ أترى بنوع خاصّ إلى هذه الصورة الغريبة التى تتخيّلها ولا تـكاد تتحققها ، وهى صورة الرجل يستخفى وراء صُدغه لتقع اللّطمات عليـه فلا تَبلغه هو ، وإنما تبلغ الصدغَ وحدَه .

وفى الشعر السياسىّ لصبرى هذا الرُّوحَ المصرىَّ الذى نعرفه فى شعر حافظ وشوقى ، ونعرفه فى حياة الجيل كلِّه هذه الوطنيّة الحارّة الحادّة الطامحة إلى مَثَلٍ أعْلى غير محدود ولا واضح الإعلام ، والتى لا تخلو من الفـكاهة المرّة أحيانا ومن الدُّعابة الحُلوة أحيانا أخرى ؛ واقرأ فى ذلك هذه المقطوعات التى قالها صبرى حين أستقالت وزارة (مصطفى باشا فهمى) — رحمه الله — والتى قالها على ألسنة الوزارات وهى تستقبل من أُرسل إليها من الوزراء والوكلاء .

وقد أنفطر قلب صبرى كما انفطرتْ قلوب المصريين جميعا لقصّة (دِنْشِواى) فأحسّ آلام الشعب إحساسا قويّا ، وصوّرها تصويرا قويّا ، ونقل هذه الآلام كما وجدها الشعب للأجيال التى لم تشهد القصّة ولم تَألم لها كما أَلِمَ المعاصرون .

فاقرأ هذه الأبيات التى يقولها للخديوى عباس فى قصيدة من أجمل قصائده وأجزلها ، وقِفْ عند ما فى هذه الأبيات من الصراحة والقصد معا :

وَأَقِلْتَ عَثْرَةَ قَرْيَةٍ حَكَمَ الْهَوَى   فِي أَهْلِهَا وَقَضَى قَضَاءٌ أَخْرَقُ

إِنْ أَنَّ فِيهَا بَائِسٌ مِمَّا بِهِ   وَأَرَنَّ جَاوَبَهُ هُنَاكَ مُطَوَّقُ

وَارَحْمَتِى لِجُنَاتِهِمْ مَاذا جَنَوْا؟ وَقُضَاتِهِمْ ، مَا عَاقَهُمْ أَنْ يَتَّقُوا
مَا زَالَ يُقْذِى كلَّ عَيْنٍ مَا رَأَوْا فِيهَا وَيُؤذِى كلَّ سَمْعٍ مَا لَقُوا

وقد رضىَ صبرى — كما ترى — عمّا كان من العفو عن أولئك المظلومين البائسين ، ولكنّ هذا العفو لم يكفهِ ولم يُقنِعه ، كما أنه لم يكفِ المصريين ولم يُقنعهم ، فطلب إلى الخديوى كما كان يطالب المصريون جميعا إلغاء ذلك القانون الجائر الذى صدر عنه ذلك القضاء الأخرق فى (دنشواى)

وكم كنت أودّ لو أتيح لى أن أُطيل الحديث عن شعر صبرى — وعن شعره الغنائىّ خاصة — فإنى لا أعرف شاعرا من شعراء العصر الحديث حُبِّب إلى نفسى وأثّرَ فى قلبى ، وأرضَى ذَوق المصرىّ الخاصّ ، مثلَ هذا الشاعر فى شعره الغنائىّ القليل ؛ وإنى لأرجو أن تتيح لى الأيام عودةً إلى هذا الشعر ، أتحدث عنه فيها حديثا مطمئنّا مفصّلا ، لا تُعجِلنى عنه الشواغل ، ولا تصرفنى عنه الأحداث .

فحسبى الآن أن أقدّم هذا الديوان إلى قرّاء الشعر العربى الحديث ومحبّيه واثقا بأنى أقدّم إليهم شيئا سيقع من نفوسهم موقع الرضا والحبّ والوفاء ؛ وأن أجدد لصاحب العزة الأستاذ حسن رفعت بك وللصديق الأديب الأستاذ الزين شكرا جميلا متصلا . ما أشكّ فى أن الذين سيتلقّون هذا الديوان سيقرّونني عليه وسيشاركوننى فيه .

طه حسين

اسماعيل صبرى باشا

للأستاذ الكبير أحمد أمين

لست أريد أن أتعرض لتاريخ حياته ، ولا أن أذكر بالتفصيل قيمة أدبه فقد تكفل بذلك أصدقائى الثلاثة : الدكتور طه حسين بك والأستاذ أحمد الزين والأستاذ أنطون الجميّل بك فوفّوه حقه ، وعرضوا موضوعاتهم أجمل عرض وأدقّه — فلأجتزئ بالقول فى وصف شعورى بشعره ، وتذوّقى لأدبه .

لقد تتبعت ديوانه فاستوقف نظرى بيتان له ، وهما :

شعر الفتى عِرضُه الثانى فأحرِ به ... ألاّ يشوّه بالأقذار والوَضَرِ

فانقد كلامَك قبل الناقدين تَحُط ... ثانى النفيسَين من لغوٍ ومن هَذَرِ

ورأيت أنه بهذين البيتين قد سلّمنا مقياس تقويمه ونقده — فقد أحسست بعد قراءة الديوان بأنه قد التزم هذه النصيحة إلى أقصى غاية ، وطبقها على نفسه فى شعره إلى أبعد مدى — فكان يغار على شعره غيرته على عرضه ؛ لقد كان فى عِرضه يحرص على أن يطيبَ فى المحافل نشرُه ، ويخلد فى الصحائف ذكره ، ويأتى بالمكرمات تملأ مسامع الدهر ، وتتناقلها ألسنة الشكر ؛ يترفّع عن النقيصة ، ويتصوّن عن الدنايا ، وهو فى شعره مثله فى عِرضه ، يخاف العثار ويَرهب النقد ، ويتحرج أن يأتى بغير ما هو الأَوْلى ، وأن يصدر عنه ما ليس بالأعلى ، ويعدّ البيت من الشعر يصدر عنه كالفعل المشهور ، والأثر المأثور ، يجب الحيطة له ، والتوفر على الإحسان فيه ، دعاه ذلك لأن يتريث فى شعره ، ويتمهل فى صَوْغه ، يغوص على المعانى كالغَوْص على اللآلئ ، ثم لا يقنع بأية لؤلؤة ، بل لا يرضى بها إلا أن تكون غاية القصد ، وواسطة العقد ، فإذا عثر عليها تعب فى أن

يتخير لها سِلكَها ووفقها ، حتى تخرج كاملة يُعجَب بها الذوق الراقى ، والفنّانُ الخبير فهو يتخير اللفظ الشريف للمعنى الشريف ، واللفظ القوىّ للمعنى القوىّ ، واللفظ الرقيق للمعنى الرقيق .

ويخيّل إلىّ — وإن لم أره — أنه كان إذا عثر على المعنى ، ثم عثر على اللفظ ، حاكَه فى نفسه ، وردّده على سمعه ، ووزنه بميزانه ، واستعمل كلّ أدوات الصائغ فى صياغته فنقص ممّا زاد وزاد مما نقص ، ورجّح مما خفّ ، وخفّف مما رجّح ، حتى إذا أنس به واستوثق منه ، نشره على الناس ، وأمن على عِرضه .

من أجل ذلك قصّر ولم يطوّل ، عِلما منه أن درّة واحدة قد تساوى آلاف الدنانير ، وملايين الدراهم ، وكلمة واحدة قد تفوق خطبا طويلة وكتبا كثيرة .

***

ولعلّ قارئ شعره يلحظ صنفين متميزين ، ونوعين مختلفين ، صنفا هو فيه رسمىّ ، كشعره فى المديح والتهانى والتقريظ ، وهو فى هذا لا يتجلّى نبوغه ، ولا تظهر عبقريته ، صبّ شعره فى القالب الذى صبّ فيه الشعراء ، وسار فيه على النهج الذى سلكه الأدباء ، فممدوحه قد سفر فلاح منه هلال سعود ، وبدا فكان غرة الموجود ؛ وهو بحر مستعذب الوِرد ، يعمّ كلّ الناس بالرفد ؛ الخ .

يتصنع التورية والجناس ، ويختم شعره بالتاريخ كما يألف الناس .

والبَس على طُول المَدَى حُللَ «الرضا» بشعارِ «مأمون» ورُشدِ «رشيدِ»

فيا«مالِكى» «نُعمان» خدّك «شافعى» لدى «حنبلىٍّ» العذل إذ قام بالعذر

يا دواءَ الزمان والأمر إن أعْـ ـضَل خَطبٌ وعَزَّ فيه الدواءُ

إن أرضا تسعى إليك يقيم الـ أنسُ فيها ويصطفيها الصفاءُ

فإذا سِرتَ من ديارٍ لأخرى ... حسدتْ أرضَها عليك السماءُ

فأهنأْ بنجلك إن السعد أرَّخَه ... «لبيبُ دام لك المحفوظُ محمودُ»

إن كان لصبرى فى هذا الصنف مزية فهو لطف ذوقه فى تخيّر لفظه ، ورقّةُ حِسّه فى صياغة وزنه وحلاوة جرسه .

وصنفا آخر هو موضع نبوغه ومظهر عظمته ، وهو مقطوعاته القصيرة يُجرى فيها ذَوْبَ قلبه ، ويمزج فيها دم نفسه بمعناه ولفظه ، يغنّى فيها لنفسه ، ويقصد بها إلى بثّ لوعته ، وتخفيف كربته ، وتلطيف صبابته .

يا مقرّ الغزال قد صح عندى الـ ... يومَ أنّى أقتحمتُ منك عَرينا

رابنى فيك ما أَرى من عيون ... بَاتَ يغرِى بها السوادُ عيونا

وضلوعٍ جاءتك وهى خوال ... ثم عادت ملأى هوًى وشجونا

ما الذى يبتغى غزالك منى ... بعد كونى عبدا له أن أكونا

كلما قلتُ : قد أبلّ فؤادى ... ساورتْه الذكرى فجُنّ جنونا

الخ الخ

تمتاز هذه المقطوعات القصار بصدق العاطفة ، حتى ليَبكى السامع لبكاه ويأنف لأنفته ، ثم بدقّة المعنى ورقّته حتى كأنه مناغاة أطيار ، أو مناغمة أوتار ، وأخيرا بعذوبة اللفظ ، فهو سهل الورود على الطبع ، حَسنُ الوقع فى السمع .

فبحق تَغنّى بشعره المغتّون ، وتمثّل به العاشقون ؛ فلئن كان هو وشعراء عصره ، أمثال حافظ وشوقى وعبد المطلب وغيرهم ، يمثلون موسيقى مختلفة الآلات ، فبعضهم عُود ، وبعضهم دُفّ ، وبعضهم قانون ، وبعضهم كمان فلقد كان صبرى نايًا ظريفًا يُسمع ولا يصدّع ، ويُلهب ولا يُرهب ، لا يُكتفى به ، ولا يُستغنى عنه ، ويُصْغَى إليه فى دعة وسكون ، لا فى ضوضاء وجلبة يذكره المحبّ ولا يذكره المحارب ، ويأنس إليه العاشق ولا يعرّج عليه الثائر

لقد كان فى الأغانى « طقطوقة » جميلة ، لا « دوراً » مملاً ، و إن كان هو وأصحابه طاقةَ زهر ، فهو زهرة البنفسج ، رقيقة الحاشية ، طيبة الرائحة ، جميلة فى غير عنف ، وادعةٌ فى غير ضعف ، تأنس بها ، وتعطف عليها ؛ وتُلهِمك الحنان والرحمة ، لا القسوة ولا القوة .

* * *

لقد عُرض على لجنة التأليف طبع هذا الديوان فرحّبت به كلّ الترحيب لأن دواوين أمثاله من شعراء عصره ، أمثال حافظ وشوقى ونسيم وعبد المطلب قد طبعت ، فمن الخير لمؤرخى الأدب فى العصر الحديث ، ومن الخير للأدباء الذين يتذوقون الأدب و ينعمون به و يستلهمونه ، ومن الخير للتاريخ الاجتماعى والسياسى لمصر ، أن يُنشر هذا الديوان ليكمّل النقص الأدبى ، و يغذّى الذوق الفنّى ، و يُلقى ضوءا على التاريخ الاجتماعى .

رأت اللجنة هذا كلّه فنشرته ، وأحسنتْ بذلك صُنعا .

وكان من حُسن التوفيق أن يضطلع بعبئه الأستاذ احمد الزين ، فقد عاشر الشاعر وصادقه سنين طويلة ، فسمع منه ، وحقّق الطريقة القديمة القويمة فى الرواية عنه ، والمشافهة له ، فمكّنه ذلك من إيضاح ما غمض ، ومعرفته الصحيحة بجوّ القصائد وأسبابها و بواعثها ؛ ثم كان من مخالطته للشاعر ووقوفه على دقائق نفسه وما يوائمها وما لا يوائمها ، ما ألهمه الصواب فى الشرح ، والتوفيق فى الترجيح إذا تعدّدت المسالك وكثرت الاحتمالات .

فخرج الديوان يُعجِب الناظر بحسن ضبطه ، و يسرّ القارئ بجودة شرحه و يقف فى البلاغة موقف المساواة لا مطنبا ولا موجزا ، فجزاه الله عن الأدب خير الجزاء .

أحمد أمين

العوامل الشعرية

فى نظم إسماعيل صبرى باشا

لصاحب العزة أنطون الجميّل بك

وهى الكلمة التى ألقاها فى تأبين الفقيد فى ٤ مايو سنة ١٩٢٣ م .

إذا رأينا القمر ساطعا فى كبد السماء — كما نراه فى هذه الليلة — لا نتساءل من أين أشرق على الدنيا ، ولا من أى أفق طلع علينا ، بل نكتفى بالتمتع بجميل طلعته وسنا بهائه .

وإذا نظرنا إلى النسر محلّقا فى الفضاء لا نتساءل من أى عُشٍّ دَرَج ، ولا من أية قِمّة طار ، بل نقف معجَبين بما فى جناحيه من قوة ومضاء ، رفعاه إلى عرش الأجواء .

كذلكَ شأننا مع من اجتمعنا لتكريمه فى هذا المساء عند ما ننظر إليه فى المقام العالى الذى استواه فى جيله ، فقد نجد من ينبرى ليكتب ترجمة حياة صبرى باشا بعضَ المشقة . فنحن قد نجهل الشيء الكثير عن نشأته ، فلا نذكر عنه إلا أنه ذلك الموظف الكبير الذى كان أوّلَ مصرىّ تقلد منصب النيابة العامة فقال فيه الأديب العالم المرحوم حفنى بك ناصف :

لم ينلها سواكَ من أهل مصرٍ والمعالى بالخاطب الكفء تدرى

طمحتْ أنفسٌ إليها فصانت حسنَها عنهمُ صيانةَ بِكر

وابتغت كُفئَها فكنتَ رضاها فهى شمس جرَتْ إلى مستقَرّ

وقد لا نروى شيئا جما عن فجر حياته الأدبية فلا نذكره إلا وقد طلع نجما ساطعا فى سماء الشعر ، فأوحى لكل شاعر عندنا بميزة من ميزاته : فهذا مدين له بفصاحة اللفظ وجزالته ، وذاك برونق المعنى وجدّته ، وذلك بقوة الخيال ودقّته ، لأنه كان — رحمة الله عليه — جامعا لكل هذه الصفات فى شعره ، فاعترف له الجميع بالإمامة فى دولة النظم ، على قلة نظمه ، فما كنا نلقبه إلا بلقب « أستاذ شعرائنا » أو « شيخ شعرائنا » لأنه كان مثالا يُحتذَى ، وعَلَمًا به يُهتَدى .

وأنا محدثكم فى هذا المساء عن ذلك الشاعر الأستاذ فى فنّه ، فأعرض معكم العوامل الشعرية فى نظمه ، ثم نرى ما كان من أثر تلك العوامل فى شاعريته .

١

لكل أديبٍ بوجهٍ عام ، ولكل شاعر بوجه خاص ، فكرة أساسية تتجلّى فى كل ما تولّده قريحته ، فهى كالمركز المغناطيسى تتجه إليها سائر أفكاره أو كمركز الدائرة تتشعب منها جميع الأشعّة ، وهذا ما أسميه العامل الشعرى فيما نظمه إسماعيل صبرى .

فإذا راجعتم منظوماته — وكل منكم يروى منها الشىء الكثير — تجدون فيها فكرات ثلاثاً كانت العلة الموجدة لها ، وهى : الحس — أو الشعور — والحكمة ، والحماسة .

تجلت الفكرة الأولى فيما نظمه فى الحب ، والثانية فيما نظمه فى الموت والثالثة فيما نظمه فى الوطن .

الحب ، والموت ، والوطن ؛ هذه هى العوامل الثلاثة التى كانت تحرك فيه الشعور الفياض ، وتُنطقه بالحكمة الرائعة ، وتثير فى صدره الحماسة الشريفة .

الحب هو أقوى العواطف وأقربها إلى القلوب ، بل يقول الفلاسفة : إنه

أساس كل عاطفة حتى البغض ، لأن بغضك الشيء هو حبُّك نقيضه ، ولقد كانت هذه العاطفة العاملَ الأكبر فى شاعرية هذا الشاعر الفذ ، فأوحت إليه بالأبيات الخالدة التى سوف يتمثل بها الناس ، لأنها كانت فى صدره عاطفة قوية راسخة خالصة من كل الشوائب ، بل كانت شاملة لكل ما تنطوى عليه من المعانى الكثيرة ، من المحبة ، إلى الوداد ، إلى الإخلاص ، إلى الوفاء .

كانت تلك العاطفة غراما شريفاً فى قوله :

يا شوقُ رفقاً بأضلاعٍ عَصَفْتَ بها ‎ ‎ ‎ ‎ فالقلب يخفق ذعْرا فى حناياها

وكانت تمثل الذكريات العذبة فى قوله :

تمسِي، تذكرنا الشبابَ وعهدَهُ ‎ ‎ ‎ ‎ هيفاء مرهَفة القَوام فنذكرُ

تثبُ القلوبُ إلى الرءوس إذا بدت ‎ ‎ ‎ ‎ وتُطلّ من حَدَق العيون وتنظر

كما كانت الذكرى المؤلمة حين يقول :

أقصرْ فؤادى فما الذكرى بنافعة ‎ ‎ ‎ ‎ ولا بشافعة فى ردّ ما كانا

سلا الفؤادُ الذى شاطرتَه زمنا ‎ ‎ ‎ ‎ حَملَ الصبابة فاُخفُق وحدك الآنا

وكانت تذكيرا وعتابا ، وهو أبلغ من ذَكَرَ فذكَّر :

هل عند ذاك السربِ أنّا بعدَهُ ‎ ‎ ‎ ‎ فى الحىّ من آماقنا نتدفّقُ

أو أنّ أضلعنا على ما أُستُودِعتْ ‎ ‎ ‎ ‎ يومَ الفراق من الجوى تتحرّق

وكانت ودادا خالصا يوم قال :

يامن سقانى الجمّ من وُدّه ‎ ‎ ‎ ‎ هذا ودادى كلُّه فاُكرَعِ

وكانت الوفاء كلّ الوفاء فى هذين البيتين :

إذا خاننى خِلٌّ قديم وعقّنى ‎ ‎ ‎ ‎ وفوّقتُ يوما فى مَقاتله سهمى

تعرّض طيفُ الوُد بينى و بينه ‎ ‎ ‎ ‎ فكسّر سهمى فانثنيتُ ولم أرمِ

وفى هذين البيتين رواية تمثيلية ذات خمسة فصول : الفصل الأول الصداقة ، والثانى الخيانة والعقوق « إذا خاننى خل قديم وعقنى » والفصل الثالث النهوض للانتقام « وفوقت يوماً فى مقاتله سهمى » والفصل الرابع النزاع بين الصـداقة والانتقام « تعرض طيف الود بينى و بينـه » والفصل الخامس انتصار الوداد « فـكسر سهمى فانثنيت ولم أرم » .

وهو فى كل مظاهر هذه العاطفة يعبر عن شعورٍ حىّ ووِجدانٍ صحيح لا كُلفة فيه ولا تصنّع حتى لَتتغلغل ذرات معانيــه ودقائق أفـكاره فى ذرات قلبك ودقائق فـكرك فتمتزج بنفسك ، فإذا بك وقد أصبحت وأمسيت وأنت تردد هذه الأشعار ، وقد نسيت الشاعر ، لأنها تمثل حالة من حالاتك النفسية .

أما العامل الثانى فى شعر صبرى بعد الحب فهو الموت . قال لاروشفوكو : « شيئان لا يستطيع الإنسان أن يحدّق إليهما ببصره : الشمس والموت » ، أما صبرى باشا فقد حدّق إلى الموت مراراً فنظم فيه كثيرا ، واستوحاه الحـكمة الرائعة حتى إنى لا أعرف شاعرا عصريا نظم فى هذا الموضوع أكثر من الفقيد .

حدّق إلى الموت بكلتا عينيه ، فـكان تارة ينظر إليه قلقاً وجِلا فيقول :

أتزوّدتَ من ضياءِ البدورِ للبيالِ كثيفةِ الديجورِ

وتارة ينظر إليه مرحّباً مطمئنا فيقول :

يا موتُ هأنذا فخذ ما أبقت الأيامُ منّى
بينى و بينَك خُطوةٌ إن تخطها فرّجتَ عنّى

أو ينشد والحـكمة تُطِلّ من كلّ شطر :

إن سئمتَ الحياةَ فارجع إلى الأر ضِ تنم آمناً من الأوصابِ
تلك أمٌّ أحْنَى عليـك من الأمّ* التى خلّفتْـــك للأتعابِ

لا تَخَفْ فالمات ليس بماحٍ منك إلّا ما تشتكى من عذاب
وحياة المرءِ أغترابٌ فإنْ ما ت فقد عاد سالمًا للتراب

ولقد رَسمتْ هذه العاطفة المزدوجة تلك الأبتسامةَ الحزينة على محيّاه حتى لكأننا نخالها زفرة وقفت عند شفتيه ، ودمعةً جمدت فى عينيه .

أما العامل الثالث فهو الحماسة ، وقد تجلت فيما نظمه فى مصر وعرش مصر ورجال مصر ومفاخر مصر .

كان يدعو قومه إلى عظيم الفعال :

مستنجداً من بنى مصرٍ أولِى شَمَمٍ إذا رأوا ثُلْمةً فى حوضهم جَبَروا

كان يغار على وحدة هذا الوطن العزيز ، وينادى بتكاتف أبنائه ، لا فرق فى العقيدة والمذهب ، وله من هذا القبيل الأبيات الشائقة أذكر منها هذين البيتين من قصيدة رثى بها عظيما من عظماء الأقباط :

عينىَ فيك اليومَ قبطيّةٌ تَروِى الأسى عن مسلِمٍ مُوجَعِ
ويأخذ البِرَّ وآىَ الوفا عن الكتاب الطيّب المَشْرَعِ

أما قصيدة « فرعون وقومه » لجديرة بأن تُدرس فى جميع المدارس . فقد وصفت آثار مصر ومفاخر المصريين وصفاً تمشى العظمة فى جميع أجزائه ، ولا يتمالك من يقرأها عن هزة إعجاب تدفعه إلى السير على آثار الأجداد فى طلب العلا .

أيها السادة :

إذا كان قول الفرنجة « إن الإنشاء هو الرجل » صحيحا ، فإن القول « إن الشعر هو الشاعر » أصح .

نشر سعادة عثمان مرتضى باشا كلمة عن الفقيد استوقفتنى فيها هذه الجملة :

« كان من أهم مميزاته ثلاث : حبه للحق ، وحبه للصراحة ، وحبه للكرامة » .

استوقفتني هـذه الجملة لأني وجدت في هذه الميزات الثلاث ، العوامل الشعرية الثلاثة التي ذكرتها ، فكان صبري الرجل كصبري الشاعر .

امتاز الرجل في حياته بحب الصراحة ، كما امتاز الشاعر في شعره بالشعور وهل الصراحة غير النطق عن شعور ؛ فنظم في الحب ، والحب أصدق عاطفة .

وامتاز الرجل بحب الحق ، كما امتاز الشاعر بالحكمة — وهل الحكمة غير حب الحقيقة ؟ — فنظم في الموت ، والموت أبلغ حقيقة .

وامتاز الرجل بحب الكرامة ، كما امتاز بالحماسة ، والرجل الأبيّ يغار على كرامته . فنظم في الوطن ، والوطن أشرف ما يتحمّس له المرء إذا غار على كرامته

هذه العوامل الثلاثة التي أنطقتْه بالشعر ، وهي إذا رسخ عامل واحد منها في صدر الإنسان صيّره شاعراً ، فكيف إذا اجتمعت الثلاثة لواحد .

٢

أما أثر تلك العوامل في شعره فكان الأثر الطيب ، فإنها أكسبته من روعة المعاني ورقة العواطف جمالا زاد سناه حسنُ الديباجة وفصاحةُ اللفظ ، فكانت السلاسة والعذوبة والانسجام وسلامة الذوق من العوامل اللفظية فيما نظمه من القصائد التي يتناشدها أدباء مصر ولبنان والشام والعراق ، وفيما وضعه من الأغانيّ التي يتغنى بها الشعب في مجالس الأنس والطرب .

ماذا أقول في شعر صبري ، وقد قال قبلي غير واحد ، قرّظه المعجَبون به — وكثير ما هم — بكل كلام مليح ؛ فكنا نجد كل تقريظ ينطبق عليه ، ولم نجد تقريظا يفوق مقامه ؛ فشعر صبري أشبه شيء بالنقد الذهبي يحفظ قيمته في كل زمان ومكان إذا ما كان سائر الشعر كسائر النقد عرضة للرواج حيناً وللكساد حينا .

ذلك أن صبريا ، كامرئ القيس ، لم يقل الشعر راغبا ولا راهبا ، وإنما كان يقوله عن عاطفة تختلج فى صدره كقطرة الندى ؛ فيصوغها باللفظ كاللؤلؤة الصافية .

كانت القوافى تجول فى خاطره فتصغى أذنه لحفيفها فيوقّع نغمها إيقاعا شائقا . لم يكن مِزهَرُه كثيرَ الأوتار ، بل كان يضرب على وترين أو ثلاثة ، كما رأينا ، فيستخرج منها نغما شجيا بعيد القرار ، يصدر من خفقة فؤاد ، فينتقل متماوجا حتى يستقر فى ثنايا الفؤاد ، كالموجة تقذف بها لجّة البحر ، وتتكسر متلاشية على ساحل البحر .

وإذا ما ذُكر اليوم أو غدا اسمُ صبرى فى عالَم الأدب وجدناه كالشمس التى تترك وراءها شفقا ذهبيا تاركا أشعّة من رُواء المعنى وصفاء المبنى ، ولكن نوره لا يبهرك ولا يؤذى عينيك ، بل يهبط عليك على مَهَل فيشملك بهالة من اللمعان . لذلك لا نجد فى شعره ما قد نجده فى شعر غيره من التعب والعناء لأنه ما تكلف نظم الشعر بل كان كلما هزّته عاطفة يجود بمقطوعةٍ ربما لا تتجاوز البيتين ، كالشجرة الناضجة الثمر تُسقط ثمرةً كلما هزها الهواء .

الماسة الصافية الماء ، الطاهرة اللآلاء ، السليمة من كل كدر وعيب ، ينسينا جمالُها عناءَ من قطعها وصقلها ، وكذلك شعر صبرى ، نقف عند جماله ناسين الشاعر وما لقى من عناء فى تصفية شعره وتخليص نظمه من كل شائبة .

تلك الأشعار السهلة كان يصوغها بصعوبة ؛ فكان جهاده الشعرى طويلا شاقا ، وهو يجد قوّته فى تجديد مجهوده . كان يستحثّ فنه دائما للاستزادة من الإتقان وجمال الفن . وهذا سر عظمة المفتنّ : فإنه يدرك المجد والرفعة ، ويفوز برضا الناس ، ولكنه لا ينعم برضا نفسه ، ولا يفوز بارتياح خاطره . كان الجميع

يرضون عن شعر صبرى إلا صبرى . فكان لا يزال يُحَوِّر ويُغَيِّر ، ويقدّم ويؤخّر وهو متعطش إلى مثل أعلى لم يدركه حتى كأنه يقول : « إن أجمل شعرى لا يزال فى صدرى لم أتمكن من نظمه حتى الآن » .

هكذا عرفتُه حتى كانت الحرب الكبرى فأنزلتْ حجابا كثيفا على تلك القريحة اللامعة ، ولا عجب فقرقعة السلاح تسكت همهمة القوافى ، ودوىُّ المدفع يغلب روىّ الشعر .

ثم أدركته الشيخوخة على تلك الحال فانقطع عن النظم ، ولكن مجلسه ظل مجلس أدب وعلم ، وما لقيناه مرة إلا سألَنا : «هل من شعر جديد فى البلد ؟» وهكذا كبار القواد متى أحيلوا إلى الاستيداع يرتاحون إلى أحاديث المواقع التى يضع غيرُهم خططَها ونظامها .

أما الآن ، وقد انطفأ فيه نور الحياة ، فقد انطفأ — ولا شك — سراجٌ وهّاج فى هيكل الشعر ، وغاب كوكب ساطع من سماء الأدب .

وإذا ما ذكرنا اليوم أدبه وعبقريّته وأستمطرنا الرحمات عليه ، فجدير بنا أن نتلو على قبره تلك الصلاة الجميلة التى نظمها فى حياته ، فإن فى وسع كل مخلوق أيا كان دينه أن يناجىَ بها خالقَه :

ياربِّ ! أين تُرَى تقام جهنمُ ... للظالمين غداً وللأشرارِ

لم يُبقِ عفوُكَ فى السموات العلا ... والأرض شبراً خاليا للنار

يارب أهِّلنى لفضلك واكفنى ... شطط العقولِ وفتنةَ الأفكار

ومُرِ الوجودَ يشفُّ عنك لكى أرى ... غضبَ اللطيفِ ورحمةَ الجبّار

يا عالِم الأسرارِ ، حسبى محنةً ... علمى بأنك عالِمُ الأسرار

أَخلِق برحمتك التى تسع الورى ... ألاّ تضيقَ بأعظم الأوزار

أنطون الجميل

اسماعيل صبرى باشا كما عرفته

أخلاقه ، وطنيته ، شاعريته ، ديوانه ، أطوار حياته

للأستاذ أحمـد الزين

أكتب عن هذا الصديق الكريم والدمع يسابق القلم فى التعبير عما لازم نفسى خمسة عشر عاما من لوعة مستعصية على العزاء ، وذكرى أبيّة على النسيان ؛ خمسة عشر عاما خلت على فجيعة المودّات الكريمة بذلك القلب الذى ما خطرت به جفوة ، وذلك اللسان الذى لم تجرِ عليه هفوة ، ولعَمرى إن فجيعة الأصدقاء بفراقه لأشد وأنكى من فجيعة الشِّعر بصَمْتِه ؛ وقديما شكا الناسُ قلّة الوفاء والأوفياء ، وما شكا أحدٌ قلّة الشعر والشعراء .

وإن الكاتب ليجد لصبرى فى الشعراء من يماثله أو يقاربه ، فيطيل ما اتّسع له بيانُه فى المقارنة بينهما ، ويبدئ ويعيد فى الموازنة بين شعريهما ويسرد من الأدلّة والشواهد ما يفضّل به أحدَهما على صاحبه ، ولكنه إذا حاول أن يجد لصبرى مشابها أو مقاربا فيما وهب الله له من خُلق رائع وأدبٍ رفيع فإنه — بلا شك — بالغ أقصى جهده ، دون أن يصل إلى شيء من قصده ؛ سواء منه ما كان مختصا بشخصه ، أو متصلا بأهله وعشيرته ، أو متعلقا بأصدقائه ومحبّيه ، أو مرتبطا بوطنه وأمته ، أو ماسًّا برأيه وعقيدته .

رُوحٌ يَشيعُ الحُسْنُ فى جَنَبَاتِهِ   فى كلّ ناحيـــةٍ تراه جميلا

صحبتُه قُرابةَ ثلاث عشرة سنةً فما علمتُ أنه قال أو فعل ما يَعتذر منه ، أو قصّر عن أقصى الغاية فى رِضا الصديق عنـه ، أو قَنِـع فيما يقول ويعمل بما دون الأفضل .

ما رأيتُه سَلَكَ فى معاملة الصديق غيرَ الجادّة الواضحة ، فما بدر منه مرّة ما يُساء فهمُه على غير الوجه الجميل والقصد النبيل .

كان دائم الإغضاء عما يَندُّ عن خُلُق صديقه فى ثورة الغضب أو إفراط الدالة أو بادرةِ الهفوة ، باسطا له العذرَ الجميل فى نفسه ، أبلغَ مما يبسطه المذنب معتذرا من ذنبه ، حتى ليُحسُّ صديقُه أنه لم يتنكب سبيل المودّة ، ولم يأت ما يقتضى العتاب عليه .

كان شديد الاحتفاء بالزائر إذا حضر ، مبالغا فى إيناسه إذا جلس مفرِطا فى حُسن توديعه إذا انصرف ، كثير الافتقاد له إذا غاب ، لا ينتظر أن يَعرِض فى المجلس ذِكرٌ لصديقه الغائب فيذكرَه ، بل حسبُه ألا يراه يوما أو يومين فيُعنَى جهدَه بتعرّف أسباب غَيبته .

وكان يوزّع إقباله وحديثَه وإصغاءه على جميع جلسائه ، حتى يُشعِر كل واحد منهم أنه صاحب المنزلة عنده والحُظْوة لديه .

وكان أبغض شيء إليه المُسارّة فى المجلس ، والتلهّى بالصحف ، وحديث بعض الجلساء فى غرض لا يَعنى غيرَ صاحبه .

كان صَدوفا عن داعى الصداقة ما لم يَختبر ، شديدَ الحرص على الصديق والضَّنّ به إذا اختبَر؛ لا يَقْبَل فيه وشايةً مهما كانت ثقتُه بقائلها ، مقابلا الواشىَ بالثناء على المَوْشىّ فيه حتى يخجله فلا يعود إلى ما فعل .

فصديقُه فى أَمْنٍ دائمٍ من قطيعته ، وجنّةٍ سابغة الظلال من مودّته .

كثيرا ما كان يردّد قول الأحنف : « ما أقبح القطيعة بعد الصلة » .

وكان ألدّ خصومه كذلك فى أمنٍ من كيده ، لا عجزا عن ذلك ولا جبنا بل محافظة على ما يقتضيه شرف الخصومة .

كانت بينه و بين أحد زعماء مصر المعروفين خصومة شديدة يرجع عهدها إلى سنة ١٩٠٧ م ؛ فكان إذا أراد بعضُ جلسائه النَّيْلَ من خصمه كفَّه صبرى عن ذلك برفق وقال : إنك تعلم ما بيننا ، فلا آمنُ أن أُصْغِىَ إليك ولو على سبيل المجاملة ، وهذا ما تأباه المروءة .

مضى الزمن بهؤلاء وأشباههم ، وخَلَف من بعدهم قومٌ قَصرتْ بينهم أعمارُ الصداقات ، وفَجَرَتْ بينهم الخصومات ، فصرنا إذا أراد أحدُنا أن يصل حبله بصديق ، فالخير له ألاّ يسأل : كيف صداقَتُه ، بل يسأل : كيف خصومتُه ، وذلك لأن عمر صداقته قصير محدود ، وخصومتُه واقعةٌ لا مَحالة ، فخيرٌ له أن يأخذ الأُهبة لها قبل وقوعها .

وما عسى أن أقولَ بعدُ فى ذلك الصديق الكريم الذى أبطرتْ حلاوةُ مودّته من ذاقها ، فلا يستسيغ مودّةً بعدها إلا كما يُستساغ يابسُ العُشب بعد شهىِّ الفاكهة .

كان شديد الضنّ بحزمه وصبره ورجولته على الشكوى ، فما سمعته شكا ألَمَ العلّة وهى تذبح صدرَه ، ولا ظُلْمَ ذوى قُرباه وهم يجحدون إحسانَه وبرَّه ولا عقوقَ بعض الأصدقاء وهم يقابلون بالتنكّر والغدر وفاءه وودّه ؛ ولا تَجَنِّىَ الجهلة من الرؤساء وهم يحسدون فضلَه وكفايته ؛ بل لم تكن تلقاه إلا باسمَ الثغر مُشرقَ البِشر منبسط المحيّا ، على قَسِماته شُعاعٌ من البشاشة تتفتّح له القلوب المغلَقة ، وتنبسط له الأسارير المنقبضة .

كان طريف الفكاهة ، حلوَ النادرة ، حاضرَ النكتة ، يرسلها مهذّبة مبتكَرةً فى لينِ صوت وحُسْنِ أداء وقُربِ مأخذ وصمت من الجلساء ، متخيراً لها المناسبة القويّة فتزيدها قوّةُ مناسبتها قوةً على قوّتها ، وتتفتح لها النفوس تفتّح

الأزهار لقَطر السحاب ، وتتهادَى بها مجالس العِلْية ، وتتنافس فى روايتها رجال العلم والأدب .

وما أثبتناه فى هذا الديوان من شعره فى الفكاهة أقوى دليل على ما قلنا .

وما رأيتُ فى عظمائنا رجلا أبعدَ من الزهو ولا أقربَ إلى التواضع منه حتى إن جليسه لَيشعر — مهما قلّ شأنه وضؤل خطره — أنه نظيره فى القدر والمنزلة ، وذلك لأنه كان يحتقر الحياة بجميع مظاهرها ، شديد التبرم بها ، كثير التمنّى لفراقها والراحة منها .

مَقَابِرُ مَنْ مَاتُوا مَوَاطِنُ رَاحَةٍ فَلَا تَكُ إِثْرَ الْهَالِكِينَ جَزُوعَا
وَإِنْ تَبكِ مَيْتًا ضَمَّهُ الْقَبْرُ فَادَّخِرْ لِمَيْتٍ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ دُمُوعَا

إلى غير ذلك من شعره فى شكوى الحياة الذى تقرؤه فيخيَّل لك أنه صادرٌ عن نفسٍ ملائكيّة عوقبتْ بالحياة فى هذا العالَم الغريب عنها ، فهى تنتظر انتهاء هذا العقاب ، والعودةَ إلى مواطنها فى الملإ الأعلى ؛ وكما كانت زرايته على الحياة بجميع مظاهرها سِرّ تواضعه كانت أيضاً سِرّ ترفعه عما يناله من كبرياء أصحاب العظمة الكاذبة ، وإبائه الشديد على الضيم أيًّا كان مصدرُه ، وقذفه بالإهانة فى وجه من يوجّهها إليه مهما كان سلطانُه وخطرُه ، وعظيم كبريائه وخُيَلائه علىَ من يَلمح فيه أثرا منهما ؛ وإنك لتُحِسّ ذلك متجلّياً فى قوله :

أَيُّهَا التَّائِهُ الْمُدِلُّ عَلَيْنَا وَيْكَ ؟ قُلْ لِي : مَنْ أَنْتَ ؟ إِنِّي نَسِيتُ

وقوله :

لَكِسْرَةٌ مِنْ رَغِيفِ خُبْزٍ تُؤْدَمُ بِالْمِلْحِ وَالْكَرَامَهْ
أَشْهَى إِلَى الْحُرِّ مِنْ طَعَامٍ يُؤْدَمُ بِالشُّهْدِ وَالْمَلَامَهْ

ومن كان كصبرى ليّنَ القيـاد لقُبل العاطفة ، كان صعبَ المِراسِ على ثوَران العاصفة ؛ ومن حلا ودادُه ، مَرَّ عِنادُه .

وكان من أثر كرامة نفسِه عليه أنه ما كان يقبل مدحاً فيه يعلم كذبَ قائله . زاره مرّة أحد الـكتّاب وقرأ عليه مقالا طويلا فى مدحه والثناء عليـه ، فألَحّ عليه صبرى ألّا ينشره ، ومَنَحَه مبلغاً من المـال ليَقبل رجاءه ، فسألتُه عن ذلك فقال : إنى إذا رخّصتُ لهؤلاء فى المدح الـكاذب فى حالة الرضا ، فقد رخّصتُ لهم فى الذمّ الـكاذب فى حالة الغضب .

٢ — وطنيتـــــه

وكان من أثر هذه العظمة النفسيّة تلك الوطنيّة الصادقة الحارّة التى كانت أظهرَ شىء فى حديثه إذا نطق ، غالبةً على تفـكيره إذا صَمَت ، رائدَه فى جميع أعماله كلما حَلّ أو عَقَد ووَلِىَ أو عُزِل ، مستوليةً على مُيُول قلبه وإحساساتِ نفسه كلمـا رضىَ أو غضب .

لم يكن إحساسه الوطنى إحساس فرد يشعر بآلام أمة ذات ملايين هو واحد منها ، وله نصيب ضئيل من آلامها وآمالها ، بل كان شعوره باستعباد الأمة كأنه استعباد لشخصه مقصور عليه ، وإحساسُه بمذلّتها كأنها مذلّة موجّهةٌ إليه وتمنّيه لتحرير وطنه كأنه تحريرٌ له وحدَه ، وتلك رتبةٌ فى الشعور الوطنىّ وفناءِ الفرد فى المجموع قلّما يَرْقى إليها شعورُ زعيمٍ من زعماء الوطنية فى أى شعب .

وماذا عسى أن أتحدث عن وطنية امرئٍ عاش حياته لم يزر انجلترا قطّ ؛ وقد سألتُه عن ذلك فقال : نعمْ وطالمـا استمالنى لورد كرومر إلى زيارته فلم أفعل فقلتُ مازحا : لعلّك لوفعلتَ — كنتَ اليوم رئيساً للوزارة . فقال : وماذا تفيدنى

رآسة الوزارة غيرَ إغضاب ضميرى و إرضاء ذوى المطامع وأصدقاء الجاه .

كانت بينه و بين الزعيم الشـاب المرحوم مصطفى كامل باشا مودّةٌ وثيقة العُرا ، حاطه برعايته طالباً بمدرسته ؛ وأولاه صـدق معونته مجاهداً فى سبيل بلاده ، وأراق عليه حارَّ الدموع محتضَراً فى مَيدان كفاحه ؛ وكان رئيساً للّجنة التى تألفت لتخليد ذكرى هـذا الزعيم العظيم ، وبَذَل جهداً مشكوراً فى جمع التبرعات لصنع تمثاله .

وكم لإسماعيل صبرى — رحمـه الله — من مواقفَ مشهورة دون مصطفى دافعَ أذَى أعْدَائه عنه ، ومَكَّن له من عملٍ وطنىٍّ لولاه لم يتمكن منه .

أراد مصطفى كامل أن يخطب الشعب فى مدينة الاسكندرية ، وكان إسماعيل صبرى إذ ذاك محافظاً لهذه المدينة ؛ فأوعزت الحكومة إليه أن يحول بينه و بين ما يريد ، محتجةً بالخوف على الأمن أن يختل نظامُه ، والقانون أن تُنْتَهك أحكامُه ؛ فأَبَي صبرى على الحكومة كل الإباء ، وخَلَّى بين مصطفى و بين شعبِه يخطبه كما يشاء ؛ وقال للحكومة : أنا مسئول عن الأمن والنظام فى محافظتى ، ومحتمِلٌ ما تُعقِبه هذه الخطبة من تَبِعات .

و إنك لتقرأ قصيدته التى رثاه بها فترى أن قوة العاطفة فى رُوحها ومعانيها قد غَلَبتْ على قوّة الفن فى نظمها وصياغتها ، فهى تبعثُ بُروحها فى قلبك الجزع لهذا المصاب ، قبل أن تبعث بفنّها فى نفسك الروعة والإعجاب ؛ وهكذا الشأن فى شعر العواطف ، تَشْغَلُكَ قوة عاطفته عن جمال فنِّه ، فلا تنظر فيه إلى جمالِ هذا التركيب ، ولا إلى حُسنِ هذا اللفظ ، و إنما تنظر إلى مجموع البيت أو مجموع القصيدة وما يحدثه فى نفسك من أثر .

و إنه ليخيَّل لك فى كلّ بيت من هذه القصيدة جَفنٌ تَغْمُرُه العَبرة ، وقلبٌ تذيبه الحسرة .

وحينما أراد إنشادها على قبر الزعيم يومَ وفاته ، لم يكد ينشد البيت الأول حتى غلبه البكاء فقطع إنشاده .

أَجَلْ أَنَا مَنْ أَرْضَاكَ حَيًّا مُوَافِيَا وَيُرضِيكَ فِى الْبَاكِينَ لَوْ كُنْتَ وَاعِيَا

وَقَلْبِى ذَاكَ الْمَوْرِدُ الْعَذْبُ لَمْ يَزَلْ كَمَا ذُقْتَ مِنْه الْحُبَّ وَالْوُدَّ صَافِيَا

أَلَا عَلِّلَانِى بالتعازى وأقنِعا فؤادىَ أن يرضَى بهنّ تعازيا

و إلا أعيننانى على النَّوْح والبُكا فشأنكما شأنى وما بكما بِيَا

وما نافعى أن تبكيَا غيرَ أننى أحبّ دُموعَ البِرِّ والمرءِ وافيَا

أيَا مُصْطَفَى تالله نَوْمُك رَابنا أمِثْلُك يَرضَى أن ينامَ اللياليا ؟

تَكلَّمْ فإن القَوْمَ حَوْلَكَ أطرَقوا وقل يا خطيب الحىِّ رأيَكَ عاليا الخ

و إنك لتُحِسُّ تلك العاطفة الوطنية والعظمة الخُلُقِيّة وقوّةَ العقيدة التوحيدية متمثِّلة كلّها فى كلمته المشهورة التى أثبتناها فى آخر باب الاجتماعيات من هذا الديوان ، وهى : "أُحبُّ التوحيد فى ثلاثة : « الله » و « المبدأ » و « المرأة » . وأحبّ الحرّية فى ثلاثة : « حرّية المرأة فى ظلّ زوجها » و « حرّية الرجل تحت راية الوطن » و « حريةَ الوطن فى ظلّ الله » " .

كما يتجلّى لك نفوذُ بصيرته وسَدادُ فكرته فى تعرُّف أقرب السُّبُل إلى استقلال بلاده حين تقرأ قصيدته البليغة فى السِّفارَة الكريمة بين أقباط مصر ومُسلميها فى الفتنة التى نَشَبَتْ بينهما سنة ١٩١١ م دعا فيها العنصرين إلى السلام الدائم بينهما ، ونَبْذِ الخلاف الذى مَكَّن للأعداء فى بلادهما ، وأطال أَمَدَ الاحتلال فى وطنهما ؛ قال يخاطب القبط :

خَفِّفُوا مِنْ صِيَاحِكُمْ لَيْسَ فِي مِصـ ـرَ لِأَبْنَاءِ مِصْرَ مِنْ أَعْدَاءِ
دِينُ عِيسَى فِيكُمْ وَدِينُ أَخِيهِ أَحْمَــدٍ يَأْمُرَانِنَا بِالْإِخَاءِ
مِصْرُ أَنْتُمْ وَنَحْنُ إِلَّا إِذَا قَا مَتْ بِتَفْرِيقِنَا دَوَاعِي الشَّقَاءِ
مِصْرُ مِلْكٌ لَنَا إِذَا مَا تَمَاسَكْـ نَا ، وَإِلَّا فَمِصْرُ لِلْغُــرَبَاءِ الخ

وكانت هذه القصيدة جوابا على كتاب يقطر وطنيّةً وإخلاصاً بعث به إليه معالى واصف غالى باشا يرغب إليه فيه أن يتدارك بشـعره هذه الفتنة المشبوبةَ تَدَارُكَ الماء الصَّيِّبِ للحريق الملتهب ، والبلسَم الشافى للجرح المنشعِب ؛ وكان صبرى صديقاً حميا لأبيه المأسوف عليه بطرس غالى باشا . وقد أثبتنا القصيدة والـكتاب فى السياسيّات من هذا الديوان .

ولستُ أغلو إن قلتُ : إن صبريا — رحمه الله — كان أوّلَ داعٍ إلى هذا المبدأ القويم ، ثم جاء سـعد — رحمه الله — فسار على أثره فى قيادة النهضة المصرية ، وألّف فى الجهاد بين الهلال والصليب ، حتّى آتَى ثمرَه من قريب .

ولم أرَ شعوراً بعظمة مصر القديمة ، ولا تصويراً لماضيها البعيد كأنه حاضر قريب ، ولا استحثاثاً للخلَف على التشبّه بالسَّلَف ؛ لم أَرَ ذلك كلَّه متمثّلا فى شعر شاعرٍ مثلَما أراه فى قصيدته الخالدة التى قالها على لسان فرعون مصر يخاطب شَعبَه ؛ فقد أَودع فيها من عناصر القوة والخلود ، ما يخيِّل لك أنه قَصَد بهـا إلى منافَسة آثار الجدود :

لا القَوْمُ قَومِى ولا الأعوانُ أعوانِى إذا وَنَى يومَ تحصيل العُلا وَانِى
ولستُ — إن لم تؤيّدنى فراعنةٌ منكم — بفرعون عالى العرش والشانِ
ولَسْتُ جَبَّارَ ذا الوَادِى إذا سَلِمتْ جبالُهُ تلك من غارات أعوانى

لا تَقْرَبُوا النِّيلَ إنْ لَمْ تَعْمَلوا عَمَلاً　　فمَاؤه العَذبُ لم يُخلَقْ لِكَسْلانِ
رِدُوا المَجَرَّةَ كَدًّا دُونَ مَوْرِدِه　　أَوْ فَاطْلُبُوا غيرَه رِيًّا لظَمآنِ
وأبنُوا كما بَنَتِ الأَجْيالُ قَبْلَكُمُ　　لا تَتْرُكُوا بَعْدَكُمْ فخراً لإنسانِ

إلخ هذه القصيدة التى تقرؤها فيخيَّل لك أنها مَوكِبٌ من الجلال والروعة تتهادَى به مصرُ فى أبّهة مُلكها وعظمةِ مفاخرها سيِّدةً على الأمم وأميرة على الزمن .

٣ — شاعريته

كان شديد الحبّ للفن والولوع به ، قوىّ الشعور بالجمال ، كَلِفاً بتعرّف دقائقه ، عميقا فى تصوّر حقائقه ؛ فكان منذ الحداثة على حظٍّ وافر من إجادة الخطّ ، والخبرة الواسعة بمواضع الحُسن فيه ، وقد وصل فيه إلى الغاية التى وصل إليها أعلامُ هذا الفنّ الذين وقفوا حياتَهم على تجويده والمنافسة فيه والاكتساب بصناعته .

حدَّثنى مرّة أنه رُغب إليه وهو طالب بمدرسة الإدارة والألسن فى أن يكون معلّماً للخطّ فى مدارس الحكومة ، وكاد يجيب تلك الرغبة لولا أن أدركه المرحوم على مبارك باشا فدعاه إليه ، ولم يزل يترفق به حتى صرفه عن تلك الرغبة وقال له : أنا ضنينٌ بذكائك وعلمك أن تنقطع السبيل بهما فيقفا عند غايةٍ لا تَخلُقُ بمثلك ، وإننى أعِدُّك لما هو أسمَى رتبة لك وأجدَى على الأمة من الانتفاع بفضلك وكفايتك ؛ ولم يَزَل يبالغ فى تعهّده ورعايته حتى أتمّ دراسته ، ثم أُرسل إلى مدينة إكس بفرنسا لإتمام علوم القانون بها ؛ فلا بِدْعَ ممن كان محبا للفن والجمال فى حداثته ، أن يتألّق نجمُ شاعريّته فى فجر حياته التى

كانت فجرا لحياة الشعر الحديث فى مصر ؛ وقد أثبتنا فى أوّل هذا الديوان من القصائد ما قاله وهو فى السادسة عشرة من عمره ، وهى قصيدة فى مدح المغفور له اسماعيل باشا ، ومطلعها .

سَفَرَتْ فَلاَحَ لَنَا هِلاَلُ سُعُودِ وَنَمَى الغرامُ بقلبىَ المعمودِ

وإن الناقد المنصف لينظر فى هذه القصائد التى قالها فى تلك المرحلة الأولى من حياته نظرةَ أعجابٍ وَدَهش ، لا مِن جهة فنّها الشعرىّ ، ولكن من جهة سِنِّ قائلها والعصَر الذى قيلت فيه ، فقد قالها فى سِنٍّ مَنْ قَدرَ فيها على أن يُبين عما فى نفسه بعضَ الإبانة عُدَّ منشئا ، وفى عصرٍ من نال فيه الشهادة الأولى فى أواخر شبابه عُدَّ نجيبا ، وقد كان مقياس جودة الشعر والكتابة فى ذلك العهد ما يشتمل عليه من المحسِّنات البديعية : كالتجنيس ، والمطابقة ، والمقابلة وأشباهها ، وذلك لقلة ما كان معروفاً عند الأدباء والمتأدبين من دواوين فحول الشعراء المتقدمين إذ ذاك ، وكثرةِ ما كان فى أيديهم من دواوين المتأخرين الذين كانوا يتنافسون فى هذه المحسِّنات تنافساً ذهب بأغراض الشعر وأخمد رُوحَه وأَوْدَى بأثره فى نفوس المجتمع ؛ فلا جَرَمَ أن ترى شِعْرَ صبرى فى مستهل حياته مشتمِلا على قليل من تلك المحسِّنات التى سَرَتْ إليه — كما حدَّثنى — من قراءة ديوان عمر بن الفارض وهو صغير ، ومخالطته لبعض أدباء الشيوخ الذين كانوا يطربون لهذا النوع من الشعر كلَّ الطرب ، ويشجِّعون قائلَه كلَّ التشجيع ، كقوله فى القصيدة السالفة الذكر :

« عُودِى لِيُورِقَ بِالتّوَاصُلِ عُودِى »

وقولِه فيها أيضا :

« فَالْقُرْبُ عِيدِى وَالْبِعَادُ وَعِيدِى »

إلى غير ذلك من بَوَاكير شعره التي ترى فيها أثَرا قليــلا من التقليد كتقديم المدائح بالغَزَل والتشبيب ، واُختتام بعض المقطوعات بالتاريخ الذى كان يجيد صناعتَه كلَّ الإجادة ، والقصدِ إلى المحسِّنات البديعيَّة — كما قدَّمنا — ، شأنَ المبتدئ الذى يقفو آثار معلِّمه حتى تشبَّ ملـكته وتصبح قادرة على التجديد والاُبتكار ، والافتنان فى الأساليب والأغراض ، فتَسُنَّ لها طريقا آخر موسوما بها ، مطبوعا بطابعها .

أما اتجاهه فى هــذا الشعر الذى نحن بصدده ، فقد كان له اتجاهٌ واحد وهو مدح المغفور لهما الخديوى إسماعيل وابنِه توفيق ، وإذا كان مقياس النضوج فى الشعر وصلاحيته ، ملاءمتُه لعصره ، فقد كان شعر صبرى فى صدر حياته ملائما كل الملاءمة للعصر الذى قيل فيه ، سواء أكان ذلك فى فنه ، أم فى رُوحِه واتجاهه .

ولقد كانت الصحف تتلقّى هذا الشعر بالصدر الرحب والتقريظ المسهَب ؛ وإليك نُبذةً مما كتبتْه الوقائع المصرية مُقَدِّمةً لبعض قصائده :

« من أبدع ما ورد من كلام الأفندية التلامذة المنتظم — ولا جَرَم — فى سلك كلام الأساتذة ما جادت به قريحة الذكىّ النجيب ، الذى تَحْسُن روايةُ كلامِه وتطيب ، إسماعيل افندى صبرى أحد نجباء الفرقة الأولى بمدرسة الإدارة والألسن ، وهو أقوى دليل على استعداده فى المعارف وزيادة اجتهاده مع مبالغة معلّميه فى الثناء عليه بالسؤال عن حاله حين نسبة القصيدة الآتية إليه وهى هذه الذاهبة محسِّناتها البديعية مذهب الاُنسجام المفيد ، فى التهنئة بقدوم الجناب الخديوى الأفخم السعيد ، نشرتَ فى ٢ سبتمبر سنة ١٨٧٣ » .

على أنك إذا دققت النظر لمحتَ من خِلال هذا التقليد تلك العاطفةَ القوية كامنةً توشك أن تنبعث انبعاث النار المشبوبة ، والجمالَ الفاتنَ مستترا يكاد يتفتّح تفتُّح الأكمام عن الزهر النَّضِر ، والخيالَ الحيَّ متوثّبا إلى السموّ لا يلبثُ أن يبلغ مَدَى تكوّنه حتى يحلّق فى أفق عليائه ، والبيانَ المُشرِق مبشّرا بدنوّ الثمرة وحلاوة المجتنَى ؛ وأقوى ما ترى ذلك ظاهرا فى قصيدة قالها فى أواخر العقد الثانى من عمره ، أوّلها :

أَطْلِعِ الْكأسَ كَوْكَبًا فى أُزْدِهَاء ... وَأَدِرْهَا فى هَالَةِ النُّدَمَاء

عاطِنِيهَا صِرْفًا ولا تُطْفِئِ النُّو ... رَ الذى زَانَ حُسْنَها بالمَاء

مَجْلِسٌ فيهِ ما جَلا صَدَأَ السَّمْ ... عِ وَقَرَّتْ به عيونُ الرائى

مِنْ مُغَنٍّ يغْزُو الهُمُومَ بأوْتا ... رٍ فيَحْوِى أَعِنَّةَ الأَهْوَاءِ

وَغزَالٍ أَحْلَى مِن الأَمْنِ يَسْعَى ... بِكُئُوسِ الغَرامِ والصَّهْبَاءِ

. . . الخ .

حتّى إذا شَبَّتْ شاعريّتُه وقوىَ خيالُه ، وتَفَتّحَ الجمال الذى كان كامناً فى شعره ، و بلغ بيانُه كمالَ تهذيبه ، بقراءة دواوين الفحول من الشعراء المتقدّمين فَتَنَ الألباب بسحْرِه ، وأتَى بالعَجَب العُجاب فى شعره ؛ وكان شاعرَ العاطفة والوِجدان فى عصرِه ، ونَفَخَ فى الشِّعر رُوحَ الحياة بعدَ هُمودِه ، فكان حقيقاً أن يسمَّى باعثَ الشِّعر الحديثِ من خُمودِه .

وكان بعد ذلك شديدَ الإعجاب بشعر البحترىّ ، مُدمنا لقراءته ، مفضِّلا له على غيره من الشعراء .

حدّثنى مرّةً أنه حين قرأ هذا الديوان خُيِّل له أنه لم يقرأ شعراً قَبْلَه .

وإنك لتجد الشبه واضحا بين شعر البحترى وشعر صبرى بعد المرحلة الأولى من حياته الشعرية فى حُسن التنسيق وصفاء الديباجة وسفور المعانى وعذوبة الألفاظ وطلاوتها ، وذلك الجمال الذى تراه شائعا فى شعره ، مترقرقا فى عباراته ترقرُق الطَّلِّ فى السَّحَر ، على أوراق الزَّهَر ؛ وأقوى قصائده شبها بشعر البحترىّ قصيدته الرائية التى قالها فى تهنئة الخديوى عباس الثانى بعيد الفطر وأوّلها :

بِعُـلَاكَ يَخْتَالُ الزَّمَانُ تَبَخْتُرَا وَبِقَدْرِكَ الْأَسْمَى يَتِيـهُ تَـكَبُّرَا

فإنك إذا قرأتَ هذه القصيدة أحسستَ بالمشابَهة الشديدة بينها وبين قصيدة البحترىِّ الرائية أيضا التى قالها فى تهنئة الخليفة المتوكل بعيد الفطر كذلك ، وأوّلها :

أُخْفِي هَوًى لَكِ فى الضُّلُوعِ وَأُظْهِرُ وَأُلَامُ فى كَمَدٍ عليكِ وَأُعْذَرُ

ويمتاز شعر صبرى فى تلك المرحلة الثانية بأمرين : أوّلها — وهو أهمّهما — عاطفته القوية الصادقة التى كانت شائعة فى جميع نواحى شعره حتى يخيَّل لك أنه يفرّق أفلاذ نفسه على جميع مقطوعاته فى أى غرض كانت ؛ وإنك لترى هذه العاطفة متجلِّيةً فى غزَلِه الرقيق الفاتن ، الذى تقرؤه فتعتقد أن ذلك الشعر لم يَصْدُرْ عن لسانٍ يَنْظِمه تكميلا للصناعة وإرضاءً للفنّ كما يفعل الشعراء — بل عن قلب شَغَله الحبّ المبرِّح وأضناه الهوى الدفين ، كما تراها متجلِّيةً أيضاً فى وطنيّاته الصادقة الحارّة ، وإخوانياته المخلصة الوفيّة ، ومراثيه الحزينة الباكية وتوسّلاته الإلٰهيّة التى يخيَّل لك أن الاستجابة والرحمةَ مقرونتان بها ، وشكوَى الحياة التى يخيَّل لك — كما أسلفتُ — أنها صادرةٌ عن مَلَك كريم قُضِىَ عليه بالنفى فى هذا العالَمِ الغريب عنه .

وإذا نظرتَ فى ديوانه نظر الناقد المنصِف وجدتَ من الشواهد على ما ذكرتُ الشىء الكثير .

ثانيهما : عدم التكلف فى معنى ولا لفظ ، بل تراه فى جميع شعره يقتصر على تصوير شعوره وذاتِ نفسه تصويرا دقيقا متقَنا ، كأنك تراه بعينك وتلمَسه بيدك ، لا يُضيف إلى ذلك ما تعوّدَ الشعراء إضافتَه من المعانى الشاردة المصنوعة ، والمبالَغات الغريبة ، والتخيّلات البعيدة ، إلى غير ذلك من الأمور التى تقف سدّا بين شعر الشعراء ونفوس القرّاء .

ولعلّ هذا هو السرّ فى ميل صبرى إلى المقطّعات القصيرة فى شعره أكثر من القصائد الطويلة .

كما كان يتخير فى تأدية معناه اللفظ السهل الرقيق ، والعبارة الواضحة المشرقة ؛ فلا تجد فى شعره بيتا واحدا تقف فى فهم المراد منه ، ولا لفظا تحتاج فى معرفة معناه إلى معجمات اللغة .

تلك نبذةٌ مجمَلةٌ عن شعره ؛ وقد كنتُ أودّ أن أُفيض فى الحديث عنه مبيّناً جميعَ مزاياه ، وقيمةَ هذا الشعر بالقياس إلى شعر معاصريه ، وأثرَه فى بيئته وأثرَ البيئةِ فيه ، وبيانِ ما استحدثه من الاتجاهات والمعانى ، وتفصيل البواعث له على هذه الاتجاهات ، ساردا من الأمثلة والشواهد من شعره ما يدلّ على ما أذكر .

لولا أن هذه العُجالةَ القصيرة التى أقدّمها بين يدى هذا الديوان لا تتّسع لهذا البحث الطويل ، وأَولى به أن يُفرَد برسالة مستوعبة لهذه الأغراض ، على أنه قد تكفّل بالحديث عن شعره أعلام ثلاثة من أكبر أعلام الأدب العربى

فى هذا العصر ، وهم الأساتذة : الدكتور طه حسين بك ، وأحمد أمين ، وأنطون الجميّل بك ؛ فلأدع لهم الحديثَ عن ذلك ، لأتحدّثَ بعدُ عن تصحيح هذا الديوان الخالد .

٤ — ديوانه

اتبعت فى تصحيح هذا الديوان ما اتُّبع فى ديوان المرحوم حافظ إبراهيم بك من ضبطٍ كامل لألفاظه ، وتوضيحٍ لمعانى كثير من أبياته تيسيرا لانتفاع القراء به على اختلاف طبقاتهم ، مع بيان المناسَبات والدواعى التى قيلت فيها كل مقطوعة حسب الاستطاعة ، وذكرِ تاريخ نشرِها ، وترتيب كل باب حسب ترتيب هذه التواريخ ، والترجمة المختصرة المفيدة لكثير ممن وردت أسماؤهم فى هذا الديوان .

وقد ذيلت هذا الديوان ببعض المقطوعات الغنائية التى كان ينظمها صبرى رحمه الله لكبار المغنين فى عصره ، ولا يزال بعضها يُسمع حتى اليوم من أفواه مغنِّى عصرنا .

هذا وإن أجدر امرئ بالثناء الجميل والشكر الجزيل من كل قارئ فى العالم العربى لشعر المرحوم إسماعيل صبرى باشا هو صهره الفاضل حضرة صاحب العزة حسن رفعت بك المستشار بمحكمة الاستئناف سابقا ، فقد بذل جهدا عظيما فى جمع مقطوعات هذا الديوان من بطون الصحف التى بَعُدَ العهدُ بها ، ومن أفواه الرواة المعاصرين له والمتصلين به ، فكان لا يسمع بإنسان جالس إسماعيل صبرى إلا زاره وكتب عنه ما يحفظه من شعره ، ثم يعرض عليه ما جمعه ليتحقق من نسبة هذا الشعر إليه ، مستعينا فى ذلك بجميع مواهبه

النادرة فى القضاء والتحقيق ، فكنتَ لا ترى مقطوعة من مقطوعات هذا الديوان إلا وجدتَ عليها ما يشبه المحاضر القضائية لما تشتمل عليه من شهادات مختلفة بنسبة هذه المقطوعة إلى إسماعيل صبرى أو عدم نسبتها إليه ، ثم دَفَع إلىّ بجميع هذه الأوراق ، فرتبتها على أبوابها ، واتبعتُ فى تصحيحها ما سبق ذكره .

٥ — أطوار حياته

أما أطوار حياته — فها هى ملخَّصةً من أوراق خدمته الحكومية المحفوظة بدار المحفوظات المصرية — عملا بما سنّه الأستاذ الكبير أحمد أمين فى ترجمة حافظ إبراهيم بك .

ولد المرحوم إسماعيل صبرى باشا بمدينة القاهرة فى ١٨ شعبان سنة ١٢٧٠ هـ ١٦ فبراير سنة ١٨٥٤ م .

والتحق بمدرسة المبتديان فى ١٢ جمادى الثانية سنة ١٢٨٣ هـ ٢٢ أكتوبر سنة ١٨٦٦ م ، ثم بمدرستى التجهيزية والإدارة . وأتم دراسته بمصر فى ١١ شوال سنة ١٢٩١ هـ ٢٢ نوفمبر سنة ١٨٧٤ م . ثم ألحق بالبعثة المصرية إلى فرنسا ، ونال شهادة الليسانس فى الحقوق من كلية مدينة إكس فى ٢٠ مايو سنة ١٨٧٨ .

ولما عاد بعد ذلك إلى مصر عين مساعدا بمحكمة مصر الابتدائية المختلطة فى ١١ يولية سنة ١٨٧٨ ، ونقل بنفس الوظيفة إلى محكمة المنصورة المختلطة فى أول أكتوبر سنة ١٨٧٨ ، ثم إلى محكمة الاسكندرية الابتدائية المختلطة بالوظيفة عينها فى ٢٩ ابريل سنة ١٨٨٠ ، ثم عين نائباً فى محكمة المنصورة المختلطة فى ١٣ فبراير سنة ١٨٨٣ ، ثم وكيلا بمحكمة طنطا الأهلية فى أول

يناير سنة ١٨٨٤ وأنعم عليه بالرتبة الثانية ، ثم رئيسا لمحكمة بنها فى ١٣ مارس سنة ١٨٨٦ ، ثم رئيسا لمحكمة الاسكندرية الأهلية فى ٢٢ يونية سنة ١٨٨٦ .

وأنعم عليه بالنيشان المجيدى من الدرجة الثالثة فى يونية سنة ١٨٩١ ، ثم عين قاضيا بمحكمة استئناف مصر الأهلية فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٩١ ، ثم وكيلا لمحكمة استئناف مصر الأهلية فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٩١ ، وأنعم عليه برتبة المتمايز فى سبتمبر سنة ١٨٩٢ ؛ ثم أضيفت إليه أعمال النائب العمومى لدى المحاكم الأهلية فى ٢١ أبريل سنة ١٨٩٥ ، وعين نهائيا فى هذه الوظيفة فى ٥ ديسمبر سنة ١٨٩٥ ، وأنعم عليه برتبة الميرميران فى يولية سنة ١٨٩٥ ، وبالنيشان المجيدى من الدرجة الثانية فى سنة ١٨٩٥ من السنة نفسها .

ثم عين محافظا للاسكندرية فى أول مارس سنة ١٨٩٦ ، ثم وكيلا لنظارة الحقانية فى ٦ نوفمبر سنة ١٨٩٩ ، وأنعم عليه بالنيشان العثمانى من الدرجة الثانية فى ١٥ فبراير سنة ١٩٠٠ ، واعتزل الخدمة فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٠٧ .

وكانت مدة خدمته ٤١ سنة و ٤ أشهر و ٢٠ يوما ، وأنعم عليه بعد إحالته إلى المعاش برتبة الروملى بيلر بك الرفيعة .

وانتقل إلى رحمة الله فى ٢١ مارس سنة ١٩٢٣ بمدينة القاهرة بقصره بشارع القصر العينى أمام كلية الطب .

ودفن بمدفنه بالإمام الشافعى رضى الله عنه .

المدائح والتهانى

وما يتصل بهما من شكر الأصدقاء ؛
وتقريظ المؤلفين والشعراء

تهنئـــة

رفعها إلى المغفور له الخديوى إسماعيل[*] باشا بعيـــد الأضحى ، فى سنة ١٢٨٧ هـ — ١٧٨٠ م — وكان الشاعر إذ ذاك طالباً بالسـنة الثانية فى مدرسة الإدارة والألسن وسنه ستة عشر عاما .

سَـفَرتْ فلاح لنـا هلالُ سُعودِ ... ونَمَى الغـــرامُ بقلبىَ المعمودِ[1]

وجَلَتْ على العُشّاق روضَ محاسنٍ ... فسَقَى الحياءُ شـــقائقَ التوريدِ[2]

(*) هو المغفور له إسماعيل باشا ابن إبراهيم باشا ابن محمد على باشا الـكبير ، ولد سنة ١٨٣٠ م وكانت ولايتـه فى سنة ١٨٦٣ ، وقد أقيل فى ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٩ ، وفى ٣٠ منه سافر من القاهرة إلى الاسكندرية ، ومنها إلى أوربا ، وتوفى بالآستانة فى ٦ مارس سنة ١٨٩٥ م .

(١) سفرت المرأة : كشفت قناعها عن وجهها . ونمى ينمى وينمو ، أى زاد . والقلب المعمود : الذى أصاب الحب عموده ، أى صميمه .

(٢) شبه خدها فى حمرته وتورده بالشقائق ، وهو نبت له زهر أحمر يقال له : شقائق النعمان ، معروف .

وَرَنَتْ بأحوَرِ طَرْفِها وتبسَّمتْ فبدا ضــيــاءِ اللّؤلؤِ المَنْضُودِ[١]

يا رَبَّةَ الطَّرْف الـكحيل تَعَطَّفِي وعلى مُحِبّك بالمَوَدّةِ جُــودِى

جُودِى ولو بالطَّيْفِ فى سِنَةِ الكَرى وصِلِى بِرَغْمِ مفنّــدٍ وحَسودِ[٢]

قَسَمًا بما يُرضيكِ فى صِدْقِ الْوَفا ما حُلْتُ عنكِ بسُلْوةٍ وصُدودِ[٣]

أنا قائم أبدا بفروض الهوى مستبـدِلٌ للنوم بالتّسهيدِ[٤]

فإلى متى ولَهِى وفَرْطُ صَبابتى وسرورُ عُذّالى وخُلْفُ وُعودِى ؟

وإلى متى ذا الصّدُّ عن مضنَى الهوى عُودِى لِيُورِقَ بالتّواصُلِ عُودِى[٥]

واُستأنِى موصولَ عائدِ أُنْسِنا فالقُرب عيدى والبِعادُ وَعِيدِى

---

(١) رنت ترنو ، أى نظرت . والحور بالتحريك فى العين : شدة البياض فى بياضها وشدة السواد فى سوادها . واللؤلؤ المنضود : المنظوم ، شبه به ثغرها فى صفائه وحسن نظمه .

(٢) الكرى : النوم . وسنته بكسر السين : فتور يتقدمه . والمفند : من يخطئ رأيك ويلحاك . يريد من ينهاه عن الحب ويعذله فيه .

(٣) ما حلت ، أى ما تحولت .

(٤) المعروف فى كتب اللغة أن الباء تدخل على المتروك فى فعل « استبدل » ، وهو خلاف ما استعمله الشاعر هنا ، إذ التسهيد ليس هو المتروك .

(٥) استعمل الشاعر كلمة « عودى » فى هذا البيت بمعنيين : أولهما دعوته لحبيبته أن تعود إليه ، وثانيهما العود بمعنى الغصن ، يرغب إليها أن تصله لتعود إليه نضرة جسمه بعد أن أنحله الصدود وأضناه .

دَعْ يا عذولُ ملامتى فى غادةٍ هَيْفاءَ قد فاقت جميعَ الغِيدِ[١]
عربيّةٍ لو واجهتْ بدرَ الدُّجى يوماً لقال البدرُ : تَمَّ سُعودى
واللهِ لولا اللهُ بارئُ حُسنها لجمالها الزاهى جعلتُ سجودى
قَسَمًا بنور جبينها وبخالِها وسوادِ شَعرٍ واُحمرارِ خُدود[٢]
وبقَوْسِ حاجبها وسهمِ لحاظِها وبخَصرها وقَوامِها والجيد
لَيَطيبُ لى فى حبّها ذُلّى كما فى مدح (إسماعيلَ) لَذَّ نشيدى
يقِظٌ ، بجُودةِ رأيه مصرٌ زهت زَهْوَ الحُلِىِّ على صدور الخُود[٣]
وأَمَدّها بمعارف وعوارفٍ ولطائفٍ جَلّت عن التعديد[٤]
لولاه ما فازت على رغم العِدا فى ظِلّه المَمدودِ بالمقصود
فلقد تَحَلَّى جِيدُها بوجوده وله أقامت رايةَ التأييد[٥]
شَفَعَ التَّليدَ بطارِفٍ من مجدِه والعِزَّ موهوبا بكسب جُدود[٦]

---

(١) الغادة ، هى الفتاة المتثنية ليناً ونعمة ، جمعه غيد . والهيفاء : الضامرة البطن ، الرقيقة الخصر ، من الهيف بالتحريك .

(٢) الخال : شامة سوداء فى البدن ، وقد غلب على شامة الخد .

(٣) الزهو : الخيلاء والتيه . والخود بضم الخاء : جمع خود بفتحها وهى الشابة الحسنة الخلقة .

(٤) العوارف : النعم والعطايا ، الواحدة عارفة .

(٥) الجيد : العنق .

(٦) المجد التليد : القديم الموروث . والطارف : الجديد المستحدث .

سَمْحٌ تراه إذا حللتَ بحيِّـــــه أبداً يحنّ إلى خِصال الجود

طَبْعاً يميل إلى السماح وأهلِه كتَمايُل الأغصـان بالتأويد[1]

عن رِفْدِه حَدِّثْ، فكم فى رِفدِه إنعـام بحرٍ وافرٍ ومَـديد[2]

لو أنَّ صمَّ الصَّخر أصبَح ناطقاً لَشجتْك منهـا نَغْمةُ التحميد[3]

هو قُطبُ دائرة المعـالى والذى قد زانَ عقْدَ الرأى بالتَّسْديد[4]

سامى المآثرِ ، طَوْدُ عِزٍّ شامخ نامى المفاخرِ ، أصْيَدٌ من صِيد[5]

محيي المدارسِ بعد مَحْوِ دروسِها والعـــلمَ ألبَسَ حُلّةَ التجديد[6]

---

(١) يقال : « أوّد الغصن تأويدا » إذا أماله ، فتأوّد .

(٢) الرفد : العطاء . وقوله : « إنعام » الأرجح فيـه النصب للفصل بينه وبين كم بالجار والمجرور ، ويجوز جره على مذهب بعض النحويين . ويلاحظ أنه استعمل فى هذا البيت لفظى الوافر والمديد — وهما بحران من بحور الشعر كما هو معروف — مورّيا بهما عن معنى الوفرة والامتداد فى الكرم .

(٣) صمّ الصخر : صلابها ، الواحدة صماء .

(٤) قطب دائرة المعالى ، أى الذى تحيط به المعالى وتلتف حوله .

(٥) الطود : الجبل العظيم . والأصيد : الرافع رأسه كبرا ، من الصيد بالتحريك . وهو مما توصف به الملوك والسادة ، جمعه صيد بكسر الصاد .

(٦) دروس الشيء : امحاؤه وذهاب أثره . ويشير إلى المدارس الكثيرة التى أنشئت فى عهد المغفور له اسماعيل باشا وإلى النهضة العلمية التى كانت قد خمدت جذوتها بعد عهد ساكن الجنان محمد على باشا الكبير حتى أيقظها إسماعيل من خمودها وبعثها من سباتها .

يا آل مصرٍ كم لكم من رفعة ... في الدهر صارت غُرّةَ الموجود
هيّا اُجتنوا ثمر العُلا من روضه ... وتفيّئُوا في ظلّه الممدود[1]
دُمْ واُغتنم أُنسا وصفوَ مَسَرّةٍ ... بنعيم عيشٍ دائم ورغيد
واُلبَسْ على طُول المدى حُلَلَ الرِّضا ... بشِعارِ (مأمونٍ) ورُشْدِ (رشيد)[2]
لا زلت معتصما (بتوفيق) العُلا ... في ضَمِّ مَجدٍ طارفٍ لتَليدِ[3]
مَنْ مَجْدُه فوق الكواكب قد عَلا ... وصِفاتُه الحُسنَى بلا تحديد
فالقُطْر عَمَّ سَناؤه وبهاؤه ... بمحمّدٍ وبسعيه المحمود
لا زلتما بدرين في أُفُق العُلا ... بهما زَها إشراقُ يومِ العيد

---

(١) تفيئوا في ظله، أي التجئوا إليه واستظلوا به؛ يقال: تفيأ الشجرة وفي الشجرة: إذا دخل في أفيائها واستظل.

(٢) يشير إلى المأمون والرشيد الخليفتين العباسيين المعروفين، ويريد أن عصره ذهبي كعصرهما.

(٣) يشير بقوله: «معتصما» إلى المعتصم بالله الخليفة الثامن من بني العباس؛ وبقوله: «بتوفيق» إلى المغفور له محمد توفيق باشا الخديوي.

تهنئـــة

رفعها إليه أيضاً بعيد الأضحى سنة ١٢٨٨ هـ — ١٨٧١ م

لا والهوى العُـذرِىّ والوَجْدِ   عَذْلُ عذولى فيك لا يجْدِى[1]
إنّى مع الصَّـــدّ وطُولِ الجفا   باقٍ على الميثاق والعهــــدِ
يا عاذلى أقْصِرْ وكُن عاذرى   ولا تُطِلْ لَومى على سُهْدى
فشَـعْرُه مهما تخيّلْتُـــــــه   أظَلّ أبكى فى الدّجى وحدى[2]
أَفديه من حُلوٍ مليحِ الْبهـا   تاهَ على الأغصانِ بالقَدّ
نَشوانَ من خمر الـكَرَى لَحْظُه   فى قتْلتِى فاق على الحَدّ[3]
ماسَ دلالاً ورَنا قائــلاً :   بِيضُ الظُّبَا والسُّمْرُ مِن جُنْدى[4]

(١) الهوى العذرى ، هو ما كان على عفاف وطهارة ، نسبة إلى عذرة ، وهى قبيلة من العرب فى اليمن ، وهم مشهورون بالعشق والعفة ؛ ومنهم جميل وصاحبته بثينة .

(٢) يلمّح بقوله : « أبكى فى الدجى » إلى تشبيه الشعر فى شدة سواده بالليل .

(٣) النشوان : السكران . والـكرى : النوم ، يصف لحظ حبيبه بالفتور والانكسار كأنه لحظ النائم .

(٤) ماس دلالا : تبختر وتمايل . ورنا : أدام النظر إليه بسكون الطرف . ويريد ببيض الظبا : السيوف ، الواحدة ظبة ، وهى حد السيف ونحوه ، شبه بها لحظ محبوبه . وبالسمر : الرماح ، شبه بها قوامه .

وقَدَّ قلبي وأنثني مُعْجبا وقال لى : كيف تَرَى قَدّى ؟[١]

وقال للورْدِ : أما تستَحى منّى إذا فتّحتَ فى خـــدّى ؟

تَغَزُّلِى فيـــه ، ومدحى لمن رَقِى إلى العَلياء فى المَهْـــد[٢]

مَن مِثلُ إسماعيلَ آراؤه ثاقبةٌ تَهدِى إلى الرُّشـــد[٣]

مَلْكٌ معاليه غدتْ جَمّـــةً تعمُّ كلَّ الناسِ بالرِّفد[٤]

مَصدَرُ عَـــدلٍ أمرُه نافذٌ بحرٌ غَـدَا مستَعْذَبَ الوِرْد

قد أجمَعَ الكُلُّ على أنّه مفرَدُ هـــذا العصر فى المَجْدِ

السعدُ من خُدّامِه قد غَدَا لذا تهيم الناسُ بالسَّـــعد

يادَوْحَ عِزٍ قد غدت مصرُنا به تُحاكِى جَنّـــةَ الخلْد[٥]

لِيَهْنَ عِيـــدٌ بك أضحتْ له فضائلٌ جَلّت عن العَدّ

---

(١) قدّ قلبي : شقه . والقد : القامة .

(٢) رقى بكسر القاف وسكون الياء ، أى رقى بفتح الياء ، وزان نسى ورضى .

(٣) ثاقبة ، أى نافذة بشعاعها .

(٤) الملك بسكون اللام : لغة فى الملك بكسرها . والجم : الكثير .

(٥) الدوح : جمع دوحة ، وهى الشجرة العظيمة المتسعة الظل .

مدحـــــة

رفعها إليه أيضاً فى سنة ١٢٨٨ هـ — ١٨٧١ م

أغرّتكَ الغَرّاءُ أم طلعةُ البدرِ وقامَتُكَ الهَيْفاءُ أم عادِلُ السُّمْرِ ؟[١]

وشَعْرُكَ أم ليلٌ تراخت سُدولُه وثغرُكَ أم عِقْدٌ تَنَظَّمَ من دُرِّ ؟[٢]

تبارك من سوّاكَ فى الحسن كاملا وَعوّدَ (هارُوتَ) الجفونِ على السِّحرِ[٣]

محيّاك لمّا كان يا بدرُ روضةً تَسلسَلَ فيه دمعُ عينَيَّ كالنَّهْرِ[٤]

صُدودُكَ أشجانى وهيّج لوعتى وأوجَدَ وجدى حين أعدَمَنِى صَبْرى

تَتِيـــه وتَزْهُو ثم تجفو منافِرا وإنّا عَهِدْنا كلَّ ذا فِى الظِّبا العُفْرِ[٥]

(١) عادل السمر ، أى المعتدل المستقيم من الرماح .

(٢) سدوله : أستاره ، ويشير بالاستفهام فى هذا البيت والذى قبله إلى تشبيه كل بما يقابله ؛ وهو من أساليب القدماء ، وقد أكثر منه ابن الفارض فى شعره ، وكان صبرى رحمه الله يقرأ ديوانه كثيرا فى أول عهده بالشعر كما أخبرنى بذلك .

(٣) هاروت وماروت : ملكان ينسب إليهما تعليم السحر ، شبه جفنى حبيبه بهما .

(٤) محيّا الانسان : وجهه . وتسلسل ، أى جرى وترقرق .

(٥) تتيه ، أى تزهو وتتكبر . و« منافرا » أى مباعدا . ويلاحظ أننا لم نجد فى كتب اللغة « نافره منافرة » بمعنى باعده . والعفر : جمع أعفر ، وهو من الظباء ما يعلو بياضه حمرة ؛ أو هو الأبيض الذى ليس بالشديد البياض .

عزيزٌ له بين الأنام سياسةٌ ... بها رُفعتْ فى مصره رايةُ النصر
حميدُ مَساعٍ ليس يَحصُرُ بعضَها ... لبيبٌ مُجيدُ القولِ فى النَّظْمِ والنَّثْر
سَرِىٌّ سما فوق السِّماك مَقامُه ... وفاق على الشمس المنيرةِ والبدر(١)
به تالدُ المجدِ اكتَسَى بطريفهِ ... فدام أثيلَ المجد مرتفِعَ القَدْر(٢)
وما الغَيْثُ إلاّ من بحارِ نَوالهِ ... ألم تَرَها تُرْوِى الوفودَ بلا نَهْر
ألم تر كيف الغَيْثُ يَبْكى إذا هَمَى ... وهذا الّذى يُولِى ويَضحَك بالبِشْر(٣)
فقل للّذى قد رام حَصْرَ صفاتِه : ... رويدَك يا هذا أَللقَطْرِ مِن حَصْر ؟
مَآثِرُ عَلْياه التى شاع ذِكْرُها ... تَحلّت بها مصرٌ ومن حَلَّ فى مصر
أيا من حَبَا مصرًا أيادىَ جَمَّةً ... وأضحت بلا نُكرٍ تُقابَل بالشكر(٤)
ويا زِينةَ الدّنيا وإنسانَ عَينِها ... تَهَنَّأْ بما تهواه يا مُفْرَدَ العَصْر
وعِشْ رافِلا فى حُلّة الفخر والعُلاَ ... وفزتَ بما تَرْضَى لأنجالك الغُرِّ
ولا زلتَ تحظَى كلَّ وقتٍ بسَعْدِه ... وتَبقَى مدى الأيّام منشرحَ الصَّدْر
ولا زلتَ فى كُلِّ الأمور موفَّقا ... إلى الخير والأعوامُ باسِمَة الثَّغْر
ولا زال (بالتوفيق) بدرُك زاهيا ... كما يَزدهِى دُرُّ البحور على النَّحْر

---

(١) السرىّ : الرفيع القدر ، جمعه سراة بفتح السين . والسماك : نجم معروف ، وهما سماكان : السماك الأعزل ، والسماك الرامح .

(٢) المجد الأثيل : الأصيل .

(٣) همى الغيث : انصب . ويولى : يعطى .

(٤) حبا يحبو حباء : أعطى . والأيادى : النعم .

مدحـــة

بعث بها إلى السيد صالح مجدى(*) بك مأمور إدارة دروس المدارس
وكان صبرى إذ ذاك طالباً بمدرسة الإدارة والألسن
سنة ١٢٨٩ هـ — ١٨٧٢ م

إذا هَبَّ مُبْتَلُّ النّسيم على الوَرْدِ تذكّرتُ شِعْرِى فى مُورَّدةِ الخَدِّ
وإن أمْطَرَتْ سُحْبٌ وفيها بَوَارقٌ بكيتُ وفى قلبى لهيبٌ من الوَجدِ
يحجِّبها عنّى الرقيبُ ودونَها حجابان من هجرٍ شديدٍ ومن بُعدِ
وما فِعلُ سَهْمٍ سدّدَتْه من النَّوَى كفِعلِ حُسامٍ جرّدتْه من الصَّدّ(١)
فرُبَّ نَوًى تأتيك من غيرِ عامدٍ وليس يجىء الصَّدُّ إلاّ على عَمْد
دَع الشِّعرَ فى وصف النساء وخَلِّه وبادِرْ بتنظيم الجواهر فى (مَجدى)

(*) ولد السيد صالح مجدى بك بقرية أبى رجوان مديرية الجيزة سنة ١٢٤٢ هـ، وتلقى علومه بمدرسة حلوان الأميرية، ثم انتقل إلى مدرسة الادارة والألسن، ثم ألحق بقلم الترجمة، ورقى إلى رتبة الملازم وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة، ثم انتقل إلى مدرسة المهندسخانة لتدريس اللغتين العربية والفرنسية بها، وترجم كثيراً من الكتب الرياضية، ولم يزل يترقى فى مناصب الحكومة حتى صار مأموراً لادارة المدارس، ثم قاضياً لمحكمة القاهرة، وتوفى فى سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م.

(١) سددته: صوبته. والنوى: البعد. وجردته: سلته.

فليس يقيس العاقل البخلَ بالنَّدَى ... وليس يقيس العاقلُ الهزلَ بالجدّ

أميرٌ له فِكرٌ إذا رُمتَ وصفَه ... فدَعْ قولهم : كالرُّمْحِ والسَّهْم والحَدِّ(١)

عَلاَ ودَعانى للمدائح فَضْــلُه ... فنَظَّمْتُ حبّاتِ الكواكبِ فى عِقْدِ

أخا المجد خُذْها وهىَ فى السَّير كالصَّبا ... وفى نَشْرها كالوَرد والآس والنَّدِّ(٢)

فلازلتَ خِدْنَ العِزّ والفخرِ والنّدى ... ولازلتَ تِرْبَ المجد والفضلِ والسّعد(٣)

---

(١) « فدع قولهم » الخ ، أى إنه أجل قدرا فى صفاته من أن يشبّه بهذه الأشياء .

(٢) الصبا : ريح الشمال ، ومهبّها من مطلع الثريا إلى بنات نعش ، ويقابلها الدبور ، والصبا ألطف الرياح وأرقها ؛ يريد تشبيه قصيدته فى رقتها ولطفها وبعد مسيرها فى البلاد بهذه الريح . والنشر : الريح الطيبة . والآس : نبت طيب الرائحة دائم الخضرة ، وهو المعروف فى مصر بالريحان . والنــد : ضرب من مركّبات الطيب ، يستعمل للبخور .

(٣) الخدن : الخليل . وترب الانسان : مماثله فى سنّه .

تهنئــــة

رفعها إلى المغفور له الخديوى إسماعيل باشا بقدومه من الآستانة سنة ١٢٩٠ هـ — ١٨٧٣ م ، وذكر فيها الفرمان الجامع الذى ناله المغفور له الخديوى إسماعيل من الدولة العلية إذ ذاك

أَطلِع الكاسَ كوكبا فى أُزدِهاء وأَدِرْها فى هالَة النُّــــدَماءِ[١]
إسقنيها حـــتّى ترانىَ لا أفـ ـهَم نصـــحا يَمَلُّه إصغائى
عاطِنيهـا صِرْفا ولا تُطفِئْ النُّو ر الّذى زانَ حُسنَها بالمـاء[٢]
وأَدِرْها خـــدّا وَحَىِّ النَّدامَى بعِذارِ الرَّيحانِ وأغنَم ثنائى[٣]

---

(١) الازدهاء : التيه والفخر . وهالة الندماء : أى حلقتهم ومجتمعهم ؛ تشبيهاً لها بالهالة التى تكون حول القمر ، وهى دارته .

(٢) عاطنيها ، أى أعطنى إياها . ويريد بقوله : « ولا تطفئْ النور » تشبيه الخمر فى لونها المتوهج حمرة بضوء الشمس ، وهو من التشبيهات التى أكثر الشعراء القدماء من ذكرها فى وصف الخمر ، ويرغب إلى الساقى ألا يمزجها بالمـاء فيطفئْ ذلك النور المتوهج .

(٣) أدرها خدا ، أى تشبه الخد فى لونها . ولمـا شبه الخمر بالخد ناسب أن يشبه ذلك الريحان بالعذار ، وهو ما دار على الخد من الشعر ، وهو جانب اللحية . شبه به الريحان الذى تزين به مجالس الشراب .

مجلسٌ فيــه ما جلا صَدَأَ السَّمـ ـعِ وقَرّت به عيونُ الرّائى(١)

مِن مُغَنّ يغزو الهمومَ بأوتا رٍ فيَحوى أَعنّــةَ الأهواء(٢)

وغزالٍ أحلى من الأمنِ يسعى بكئوسِ الغــرام والصَّهباء(٣)

مذ رأت خــدَّه المُدامُ عَلاَها عَرَقٌ مِن حَبــابِها للحيَاء(٤)

هل رأيتَ الوَردَ النَّضير على الغصـ ـنِ تحَــلَّى بلؤلؤ الأنداء(٥)

هو بين الملاح يشــبه (إسما عيل) بين الأقيــال والعظماء(٦)

أَىُّ أنس وافى لمصرَ وقد وا فى لها فخرُها وأَىُّ صــفاء

عادَ والســعدُ يقتفيه فكانا فى اُلتزامٍ كالشمس والحِرْباء(٧)

---

(١) يريد بقوله: «ما جلا صدأ السمع» أصوات الغناء. وبقوله: «وقرت به عيون الرائى» وجوه الملاح.

(٢) يغزو الهموم، أى يقاتلها حتى يطردها عن قلوب الشاربين.

(٣) الصهباء: الخمر، سميت بذلك للونها.

(٤) الحباب، هى الفقاقيع التى تعلو الشراب، يريد أن الخمر استحيت من حسنه، فالحباب الذى يعلو الكأس ليس إلا قناعاً يستر هذا الخجل.

(٥) الأنداء: جمع ندى، ويريد بهذا الاستفهام معنى التشبيه، وهو من الأساليب الشائعة فى كلام العرب.

(٦) الأقيال: الملوك، الواحد قيل بفتح القاف؛ وقد كان فى الأصل لقباً لملوك اليمن.

(٧) يقتفيه: يتبعه. والحرباء: حيوان يستقبل الشمس ويدور معها كيف دارت، ويتلون ألواناً بحرّ الشمس.

وتجلّت بالنُّور مصرُ فلم نَد ر أنقضى للأرض أم للسماء ؟[١]
جاء من بعد أن تَحكَّمَ فَرْطُ الشــــوقِ فينا فلَمَّ شَمْــــلَ الهَناء
ولو أنّ الأخبار لم تأتِ بالعَوْ دِ عرَفنا مجيئــــه بالضـياء
طابَ روْضُ السرور حتى سمعنا فيه من مدحـــه غِنا الوَرْقاء[٢]
وحوَى (بالفَرْمَانِ) ما حازه (الفرْ مانُ) منه مِن عِزّةٍ وسَناء[٣]

---

(١) « نقضى للأرض » الخ أى نحكم لأيهما بالنور والبهجة . يريد أن الأرض والسماء تساويتا فى ذلك .

(٢) الورقاء : الحمامة ، سميت بذلك للونها .

(٣) السناء : الرفعة . ويريد بالفرمان : الفرمان الجامع ؛ وذلك أن الخديوى إسماعيل لم يكتف من تركيا بالفرمان الذى ناله قبل ذلك فى عام ١٨٧٢ ، بل أراد أن يحصل على فرمان جامع للمزايا التى نالتها مصر منذ تولية محمد على حكم مصر بطريق التوارث إلى ذلك العهد ، فقصد إلى الآستانة فى صيف عام ١٨٧٣ ، وصحبه فى رحلته هذه جمع من أركان حكومته وبطانته ؛ وما زال يسعى حتى نال الفرمان المؤرخ ٨ يونيو سنة ١٨٧٣ الموافق ١٣ ربيع الثانى سنة ١٢٩٠ ، وقد دوت فى عاصمتى مصر أنباء نجاح إسماعيل فى هذه المهمة ، وتحقيقه الأمانى التى سافر من أجلها ، واغتبط الناس كثيرا بذلك ، وتحدثوا عن قيمة هذا الفرمان وخطره ، فانه أتى مصادقا على جميع الفرمانات والخطوط الشريفـة الممنوحة لمحمد على وخلفائه ، ومدخلا عليها تحسينات وتوسيعات جمة ، وشارحا ما كان متعلقا منها بالوراثة وشكل القوامة فيما لو كان الخديوى فى المستقبل قاصرا ؛ وتتلخص المزايا التى تضمنها هذا الفرمان فيما يأتى ، (أولا) : توارث عرش مصر فى أكبر أنجال الخديوى ، ومن بعده إلى أكبر أولاد هذا الأكبر ، وهلم =

وحوتْ مِن سَناه دُهْمُ الليالى ... ما تمنّتْ من غرّةٍ غرّاء[1]

نطق الحالُ بأعتــلاه فماذا ... تَنظِم الآن ألسُنُ الشّــعراء[2]

فهل النيـــل كان ناذرَ نَذْرٍ ... ثمّ وفّاه إذ أتى فى بَهاء[3]

ودَرَى بالتقصير منــه فأضحى ... من حياءٍ بوَجْنَــةٍ حمراء[4]

للرعايا منك الذى تتمنّى ... ولك الشكر ملحَقًا بالثناء

دُمْ دوامَ الزّمان فى أُفْقِ سعدٍ ... مُوليـــا أنعُما بدون انتهاء

=جرا . (ثانياً) : تشمل أملاك الخديوية المصرية مصر وملحقاتها (السودان) الجارية إدارتها بمعرفتها مع ما صار إلحاقه بها من قاعقاعيتى سواكن ومصوع وملحقاتهما . (ثالثاً) : حق الحكومة المصرية فى سن القوانين والنظم الداخلية على اختلاف أنواعها . (رابعاً) : حق عقد الاتفاقات الجمركية والمعاهدات التجارية . (خامساً) : حق الاقتراض من الخارج من غير استئذان من الحكومة التركية . (سادساً) : زيادة الجيش إلى أى عدد يبتغيه الخديوى . (سابعاً) : حق بناء السفن الحربية ، ماعدا المدرعات التى يجب لانشائها استئذان الحكومة التركية .

(١) السنا : النور . ودهم الليالى : سودها .

(٢) باعتلاه ، أى باعتلائه العرش .

(٣) يشير بهذا البيت والذى بعده إلى فيضان النيل أيام عاد الخديوى من الآستانة .

(٤) يشير بقوله : « بوجنة حمراء » إلى حمرة ماء النيل أيام فيضانه .

تهنئـــة

رفعها إليه بعودته من بعض أسفاره

سنة ١٢٩٠ هـ — ١٨٧٣ م مختتمة بالتاريخ

تبسّمتْ عن جوْهرِ العِقْدِ ... فأكثرتْ عيني من النَّقْدِ[1]

رَشيقةُ الأعطافِ مهما انْثنتْ ... جارت على الأغصان بالقَـدِّ[2]

تَخُدُّ بالخـــدّ حَشا صَبِّهـا ... فكلٌّ ما يشكو من الخدِّ[3]

ولم أقُلْ بالجَفْنِ تخـديدُه ... لأنّه زاد على الحَـــدِّ[4]

تفرّدَتْ في حُسنِها مِثلَما ... تفرَّدَ (أسماعيـلُ) في المَجْد

مَن كفُّه بحرُ عَطاً زاخِرٌ ... منه جميعُ السُّحْبِ تَستجدِي[5]

(١) شبّه ثغر محبوبته بالجواهر المنظومة في العقود . ويريد بالشطر الثاني أنه أكثر من التأمّل في هذه الجواهر لتعرّف أغلاها وأنفسها .

(٢) الأعطاف : الخواصر ، الواحد عطف بكسر العين ؛ وأراد بالجمع هنا معنى التثنية ، ومثل هذا شائع في كلام العرب . ويريد بالشطر الثاني أن الأغصان تقصر عن مشابهة قدها في تثنّيه واعتداله ، فهي بقدّها تجور عليها وتظلمها في عقد الشبه بينهما .

(٣) تخدّ : تشقّ .

(٤) تخديده : تشقيقه . وفي قوله : « الجفن والحد » تورية عن جفن السيف ، أي قرابه وحدّه .

(٥) تستجدي ، أي تطلب الجدوى ، وهي العطاء .

من ذا الّذى فى الناس مِن بعدِه يليق بالمدح أو الحمـــدِ ؟
وافَى لمصرٍ بعـــد إبعادِها عنــه فلاقت غايةَ القصـــدِ[١]
وقابلتْــــه بقَريضٍ لهــا من زَهرِها المنظومِ والوَرْدِ[٢]
قائلةً فى شـطرِ تاريخِـــهِ (بُشْرَى أَتى أُسماعيلُ ياسَعْدِى)

---

(١) يريد بقوله : «إبعادها عنه» المبالغة فى تشوّق مصر إلى الممدوح ، فجعلها هى التى منيت ببعدها عنه ، وجعله هو وطنا لها تتشوق إليه تشوق الغريب .

(٢) القريض : الشعر .

تهنئة

بعيد الفطر رفعها إليه فى سنة ١٢٩١ ﻫ — ١٢٧٤ م

كلامُكما إن كان مِثلَ سِهامِ فقلبيَ حِصْنٌ لا يَلينُ لِرَامِي[١]

إذا رُمتُما قتلى بغيرِ لواحظٍ دَعانى فدون القصد طُولُ صِدامِ[٢]

وإن رُمتما لى بالملامِ سَلامةً أرفقُكما يُرضى صِيالَ حُسامى ؟

برُوحى الّذى لولا أغارُ من الصَّبا عليه لما أخّرتُ عنه سلامى[٣]

وَسَقْيًا لدهرٍ بالأمانى محجَّلٍ أدَرْنا به للأُنسِ غُرّةَ جامِ[٤]

فيا زمنًا ما خِلتُه غيرَ سَكْرةٍ مُضِيُّكَ أَبْقَى لى خُمارَ غرامِ[٥]

إلامَ أُقاسى ما أقاسى من الجوَى ومِن مَعشرٍ هاموا بتَركِ هُيامِى؟

---

(١) «كلامكما» ، يخاطب عاذليه فى الحب .

(٢) يصف نفسه فى هذا البيت بشدّة المراس فى الحرب مع قوة تأثير الجمال فيه حتى إنه لا يقتل إلا بلواحظ الحسان دون حدّ السنان .

(٣) بروحى ، أى أفدى بروحى ذلك الحبيب الذى لم أؤخر عنه سلامى إلا غيرة من النسيم الذى يحمل سلامى إليه فيحظى به دونى .

(٤) المحجّل : الأبيض القوائم ، وأصله من صفات الخيل ، ثم استعمل فى غير ذلك على سبيل الاستعارة ، فشبّه الأمانى الحسان فى هذا الزمن بالبياض فى قوائم الفرس . والجام : آنية للخمر من الفضة .

(٥) الخمار بضم الخاء : ما يبقى بعد السكر من ألم الخمر وصداعها ، شبّه به ذكرى الوصال السالف والحنين إليه .

وحتّامَ يبدو مَن أحِبُّ لناظرى ودونَ حصول القُربِ ألفُ مُحامِى

لعَمْرُكَ ذا ظُلمُ (الحسينِ) بعينهِ أَرَى المـاءَ لكن لا يبُلُّ أُوامِى[1]

أياقلبُ كم تقوَى لحَمْلِ الذى أرَى ويا جَفنُ كم تجفو لذيذَ منامِ

وكم يا فتَى تُفْنِى الزّمانَ تغزُّلا ومدحُ (الخديوى) فوق كلِّ كلام

همامٌ بهِ مصرُ السعيدةُ قد زهت وهل بخلاف الدُّرِّ حُسْنُ نظام[2]

كريم أبَى إلّا فخارا مؤبّدا لمِصرٍ ، وهل يَخفَى مَرامُ كرام ؟

وأنشأ فيها ما خَلتْ منه أوّلا فأَنعِمْ بآثارٍ ظَهـرنَ عِظام

تَشيد له الذكرَ الجميلَ مآثرٌ له وفخـارٌ فى البريّة نامى

وآراؤه يُجْلَى بها كلُّ حادثٍ كما يَنجلِى بالشُّهْبِ كلُّ ظلام

مدارِسُهُ رَوْضٌ بها العلمُ قد غدا ثِمارا بدت لا من خِلالِ كمام[3]

فلا تَعجَبوا إنْ هام مِثلى بمدحِهِ فما منكَرٌ فى الروض صَدْحُ حمامِ[4]

---

(١) الأوام : شدّة العطش ، ويشير بذلك إلى ما وقع للحسين بن على — رضى الله تعالى عنهما — فى حربه مع أهل العراق ، ومنعهم إياه من المـاء حتى قتل وهو عطشان .

(٢) زهت : تاهت وافتخرت .

(٣) الكمام بكسر الكاف : أغطيـة الزهر فى شجره ، الواحـد كمّ بالكسر أيضاً .

(٤) صدح الحمام : غناؤه . شبه شعره بغناء الحمام ، وملك إسماعيل بالروض .

تَهنّأْ بعيـد الفطر يا بدرَ قُطْرِه ... وعِشْ مِثلَ ما تَرضَى وسَعْدُكَ سامِي

فذا مَلِكُ الأيّامِ وافاكَ زائرا ... وأَضحَى مطيعاً فهو مِثلُ غُـلامِ(١)

تَرَقَّ عَلَى هامِ الـكواكبِ رفعةً ... وفُزْ بالثّنا ما دام سَيْبُـكَ هامِى(٢)

لئن قَدَّم التاريخُ قَبلَك مَن مَضوا ... فقد حُزتَ بالتأخيرِ خـيرَ مَقامِ

تقريظ كتاب (النخبة الوافية فى علم الجغرافية)

ليعقوب صبرى أفندى

طبع فى سنة ١٢٩٧ هـ — ١٨٨٠ م ووجد هذا التقريظ مكتوبا على غلاف هذا الـكتاب بخط يغلب أنه خطّ الباشا

تَنَزَّهْ فى بِقاعِ الأرْضِ وَانظُرْ ... ضِياها مِنْ سَنَا هٰذا الـكِتابِ(٣)

وطالِعْـهُ بإنْصافٍ تَجِدْهُ ... صَحيحاً لاَ يَحيدُ عن الصوابِ(٤)

---

(١) وافى : أقبل .

(٢) السيب : العطاء . والهامى : المنصبّ .

(٣) السنا : النور .

(٤) يحيد : يميل .

تهنئـــــة

مختتمة بالتاريخ بعث بها إلى المرحوم محمد بك لبيب
حين ولد له مولود اسمه محمود فى سنة ١٣٠٢ هـ

(لَبيبُ) بُشْرَاكَ فالأيّامُ قد رَضِيَتْ ... وَلِلمَسَرَّاتِ أَفْرَاحٌ وَتَغْـــرِيد
وَلِلّيالى صَفاءٌ بعـد أن كَدُرَتْ ... تَرْجُوكَ صَفحًا وَسَيْفُ الغَدْرِ مَغْمُودُ
فَاْهْنَأْ بِنَجْلِكَ إِنَّ السَّعْدَ أَرَّخَه ... (لَبيبُ دامَ لكَ المحفوظُ مَحمودُ)

تهنئـــــة

بعيد الأضحى مختتمة بالتاريخ رفعها إلى المغفور له الخديوى محمد توفيق[1] باشا
سنة ١٣٠٢ هـ وكان الشاعر إذ ذاك وكيلا لمحكمة طنطا الابتدائية

طابَ الزمانُ وهٰذِى مصرُ قد شَرِبَتْ ... كأسَ المسرّاتِ تُجْلَى من يدِ البُشْرَى
وذا هو الشوقُ يَحْدُونا إلى مَلِكٍ ... كُبرَى الأمورِ لَدَى هِمّاتِه صُغرَى
وذا هو العيدُ والإِقبالُ أَرَّخَـه ... (توفيقُ مصرَ به أعيادُنا كُبرَى)

---

(١) ولد المغفور له محمد توفيق باشا ابن إسماعيل باشا سنة ١٨٥٢ م وتولى الخديوية سنة ١٨٧٩ م ، وتوفى سنة ١٨٩٢ م .

تهنئـــــة

بعام جديد رفعها إليه أيضاً مختتمة بالتاريخ الميلادى
عن الوقائع فى سنة ١٨٧٨ م

مولاى وافاكَ عامٌ مُشْرِقٌ بَهِجٌ   فيه لآمالِ هـــذا القُطْرِ تحقيقُ
أَبْشِرْ به فلِسانُ السّعد أرَّخَه   (صافاك عامُ العُلا والخيرِ توفيقُ)

تهنئـــــة

بالعام الهجرىّ رفعها إليه نشرت بالوقائع سنة ١٣٠٤ هـ — ١٨٨٦ م
وكان الشاعر إذ ذاك رئيسا لمحكمة الاسكندرية الابتدائية
وقد أفتتحها بتاريخ وأختتمها بتاريخ

(توفيقَ مصرَ العامُ وافَى سعدُه)   وسعى إليك بفيضِـــــه المتكاثرِ
فاهنأْ به واخلعْ على أعطافِـــــه   حُللاً مطرَّزةً بحُسْنِ مآثرِ
واجعلْ بلادَك فيه روضَ سعادةٍ   تُمسِى وتُصْبِحُ فى ربيعٍ ناضِرِ
حتى يَسُودَ على سنِينٍ قد مضتْ   ويكونَ عامَ فضائلٍ ومفاخرِ
مولاى هذا السَّعْد قال مؤرِّخا :   (بُشْرَى أبا العباسِ عامُ بشائرِ)[1]

---

(١) يلاحظ أن الشاعر فى هــذا التاريخ قد حسب الهمزة فى قوله :
« بشائر » ياء نظرا لرسمها ، إذ لا يستقيم الحساب إلا على هذا الوجه .

تهنئـــــة

رفعها إليه أيضاً بقدوم نجليه سمو الخديوى السابق عباس الثانى
وسمو الأمير محمد على من بعض أسفارهما إلى أوربا
فى سنة ١٣٠٤ هـ — ١٨٨٧ م

(أعبَّاس) يا فرعَ المكارمِ والعُلا ... وأفضـلَ مَن فى ظلّ والدِه سَمَا
تَغيّبتَ عن هٰذى البلاد وجئتَها ... فكنتَ سِوَارًا حينما كُنّ مِعْصَمَا[1]
وعُدتَ إلى (الإسكندريّةِ) غانمًا ... وألفيتَها ثغرًا فكنتَ تَبَسُّمَا
وأنت (علِيّ) القدرِ أُبْتَ معزّزا ... إيابَ نَميرِ الماءِ وافَى عَلَى ظَمَا[2]
فلا زلتما بدرَين نوراً ورفعةً ... تزينان طُولَ الدّهرِ مُلْكَ أبيكما[3]

---

(١) يريد أن مصر قد تحلّت بمقدمه وتزينت كما يتحلّى المعصم بالسوار .

(٢) يريد بعلى : سمو الأمير محمد على توفيق . والماء النمير : الناجع فى الرىّ . ووافى : أقبل .

(٣) يلاحظ أن هنا غلطا فى القافية ، لأن الشاعر لم يلتزم فى هـذه المقطوعة حرف الياء قبل الروىّ .

تهنئـــة

بعيد الأضحى رفعها إليه فى سنة ١٣٠٤ هـ نشرت بالوقائع سنة ١٨٨٧ م
وقد اختتمها بتاريخ

إن هَيَّم الشـعراءَ الثغرُ والرِّيقُ ... وشاقَهُمْ كأسُ صَهْباءٍ وإبريقُ[(١)]

فلى بمجدك (توفيقَ) العُلا كَلَفٌ ... لم يَثْنِنى عنـه هَيْفاءٌ ومعشوقُ[(٢)]

حَقَّقتَ آمالَ مصرٍ حين كان لها ... إلى عُلاكَ مَدَى الأزمانِ تحديقُ

وهَدَّ حُكْمُكَ رُكنَ الظالمين وقد ... عَدَلْتَ حتى أحَبَّ الحَقَّ محقوقُ

وشِدْتَ فى مصر فخرا لا خَفاءَ له ... فليس ينكره فى الكون زِنْديقُ

فالعَينُ ما طَمَحتْ إلّا رأت أثرا ... له بتاجِـكَ ترصيعٌ وتنسيقُ

مولاىَ ، وافاكَ بالإقبال عِيدُ فِدًا ... بالبِشْرِ واليُمنِ مصحوبٌ ومَرْفُوقُ[(٣)].

قد راقه ما به تمتازُ مِن هِمَمٍ ... فيها لآمالِ هــذا القُطْرِ تحقيقُ

---

(١) هيَّم الشعراء ، أى جعلهم ذوى هيام وشوق . والصهباء الخمر .

(٢) كلف بالشىء بكسر اللام كلفا ، أى ولع به . والهيفاء : الضامرة الخصر . يريد بهـذا البيت والذى قبله أن الشعراء إذا أكثروا فى شـعرهم من التشبيب بالنساء ووصف الصهباء فاننى مولع بمجد توفيق وذكر ما له من مفاخر لم يصرفنى عن ذلك عشق النساء كما صرف غيرى من الشعراء .

(٣) المعروف فى كتب اللغة « مرفق » بضم الميم وفتح الفاء ، من أرفقه بكذا : إذا أصحبه به وجعله رفيقه ، لا مرفوق كما استعمله الشاعر هنا .

فعِشْ لأمثالِهِ طُولَ المَدَى فَرِحًا　　وأسعَدْ فأنت بعين الله مَرْمُوقُ
واُهنأْ به فصــفاءُ الوقت أرّخَه　　(عِيدُ الفِداء بِبِشرٍ جاء تَوْفيقُ)[1]

تهنئـــة

لسموّه بالعام الهجرىّ سنة ١٣٠٥ هـ (عن الوقائع) سنة ١٨٨٧ م
واُختتمها بالتاريخ الهجرىّ

هَـــلَّ بالخيرات عامٌ مُشْرِقٌ　　أَصْبَحَتْ أنوارُه فى مصرَ كُبرَى
قلتُ لمّـا جاء فى تاريخِـــه :　　(ياأبا العبّاس أَبْشِرْ، عامُ بشرَى)

---

(١) توفيق، أى يا توفيق. ويلاحظ أن هذا التاريخ يستقيم حسابه بإسقاط حساب الهمز من قوله : « الفداء » والهمز من قوله : « جاء ».

تهنئـــــة

بعيد الفطر رفعها إليه سنة ١٣٠٥ هـ — ١٨٨٨ م

وقد اختتمها بتاريخ

العيدُ عاد بما تشاء بشـــيرَا ... والسـعدُ ظَلَّ له عُلاكَ سَمِيرَا

والدِّينُ والدنيا يَتِيــه كِلاهما ... طُولَ المدى بك عِزَّةً وسرورا

أَعْزَزتَ شأنَ رعيّةٍ بك فاخرتْ ... أُممًا وكنتَ لها أبًا وأمــيرا

وشعائرُ الشهرِ الكريمِ أقمتَها ... حتّى تولَّى عن حِماكَ قريرا

لا زلتَ تُسدِي للمواسِمِ بهجةً ... ولمُلكِ مصرَ نَضارةً وحُبورا

وتُذلِّل الصعبَ الخطيرَ بهمّةٍ ... تَدَعُ الجليلَ من الأمور يسيرا

وترى بَنِيكَ الأكرمينَ جميعَهم ... بسماء مَجدكَ أنجُمًا وبدورا

بشراكَ فالإقبال قال مؤرِّخا : ... (توفيق عِيدُ الفِطر جاء منيرا)

تهنئـــــة

لسموّه بالعام الهجرى أيضا مختتمة بالتاريخ فى سنة ١٣٠٦ هـ
نشرت بالوقائع سنة ١٨٨٨ م

وافاكَ يا زينـــةَ الدّنيا وبهجتَها ۞ عامٌ بِصَفْوِ اللّيالى ظَلَّ مرموقا
وهـــذه أَلسُنُ البُشرى تؤرِّخه ۞ (فى كلِّ عام نَرَى فى العِزِّ توفيقا)

تهنئـــــة

رفعها إليه فى عيد الجلوس مختتمة بالتاريخ
سنة ١٨٩٠ م — ١٣٠٧ هـ

مولاىَ فى مِثلِ هذا اليوم قد قُرِنتْ ۞ آمالُ مصرَ بإنجـــازٍ وتوفيقِ
ونَسَّقَ السعدُ لمّا أن وَلِيتَ به ۞ شَتاتَ شَمْلِ المعانى أىَّ تنسيقِ (١)
فاْهنأْ فقد قالت البشرى مؤرِّخةً: ۞ (بِمِصْرِهِ لِيَدُمْ كرسىُّ توفيقِ)

---

(١) نسّق، أى نظّم. وشتات شمل المعانى، أى ما تفرّق منها.

تهنئــــة

بعيد الأضحى مختتمة بالتاريخ رفعها إليه فى سنة ١٣٠٧ هـ — ١٨٩٠ م

لَم يَدْرِ أَنّ ملامَــه أغراكا ... إذْ لَجَّ فى بُهْتــانِه ونَهاكا[١]

يا حبّذا عَذْلُ العــذولِ لوأنّه ... داواكَ من ألمِ الهوى فشَفاكا

قِفْ بالدّيار وحَيِّ رَبْعًا دارسًا ... لو يستطيع إجابةً حَيّاكا[٢]

وانثرْ دموعَك فى ثَراه صَبابةً ... عَلَّ البكاءَ يزيلُ بعضَ جَواكا[٣]

وانشُد فؤادا ضلّ فى عَرَصاته ... إن كان يَرضى عن ذَراه فَكاكا[٤]

أَتُرَى تَنال من البخيلة نظرة ... تأسُو جراحَكَ أو تَبُلّ صَداكا[٥]

---

(١) الضمير فى « يدر » وما بعده لمن يعذله فى الهوى ويلومه عليه . « وأغراك » ، أى بالحب وزادك تماديا فيه .

(٢) الربع : المنزل . يريد منزل الأحبة الموحش من أهله . والدارس : الذى طمست آثاره وعفت رسومه .

(٣) «علّ» : لغة فى «لعلّ» . والجوى : الحرقة وشدّة الحزن من العشق .

(٤) أنشد : أطلب . وعرصــة الدار : فناؤها وساحتها ، والجمع عرصات وعراص . وذراه ، أى ظله وكنفه . يقول : اطلب قلبك الذى ضل فى هذا المنزل وأبى أن يبرحه حنينا وشوقا إلى أهله إن رضى أن يتابعك ويرحــل عن منزل حبّـه الأول .

(٥) تأسو : تشفى . وتبل : تروى . والصدى : العطش .

كم ذا تَحِنّ لها وحظُّك عندها دَلٌّ يُقابِل بالمِطال هَواكا[1]

* * *

مهلًا (أبا العبّاس) فى طلب العُلا واُستبقِ منها فَضْلةً لِسواكا[2]

هل فى السماء فضيلةٌ لم تحوِها تبغى لأجل مَنالها الأفلاكا

لِلّهِ ما أهدَى يمينَك للنَّدى وأخفَّ فى طُرُق الفَخار خُطاكا[3]

أرْضَيْتَ رَبَّكَ واُعْتَصمتَ بأمرِه وتَبِعتَ هَدْىَ نبيِّه فهَداكا

وقَسَمتَ هَمَّكَ بين رَعْىِ عهودِه ورعايةِ المَلِك الّذى اُسترعاكا[4]

وسَنَنْتَ فى بَذْل النَّوال بدائعا حتى اُجتنينا العَدْلَ من جَدْواكا[5]

وظَلِلتَ فى أعداء مجدِكَ فاتكاً حتّى عَدِدنا الظُّلمَ من قَتْلاكا

بُشْراك بالعيد الكبير فإنّه وافَى وغايةُ قصدِه بُشْراكا

---

(١) دل المرأة : دلالها . يستكثر شوقه إلى محبوبته فضلا عما يلقاه فى حبها من دل وإعراض وما تجازيه به من مطل الوعود وخلف العهود .

(٢) يطلب إلى ممدوحه أن يترفق بطلاب المعالى فلا يستولى عليها كلها بل يدع شيئا منها لغيره يفخر بتحصيله ، ويشير بهذا المعنى إلى أن مآثر ممدوحه ومكارمه من شأنها أن تجمع إلى صاحبها أشتات المعالى كلها .

(٣) يتعجب من معرفة ممدوحه بمواطن الجود وإسراعه إلى كسب المفاخر .

(٤) همك ، أى عزمك . ويريد بالملك : خليفة المسلمين ، وهو سلطان تركيا إذ ذاك . واسترعاك ، أى جعلك راعيا لمصر .

(٥) سننت : شرعت ، ويشير إلى أن طرق ممدوحه فى الجود وسننه فى البذل لم يسبق بمثلها . والجدوى : العطاء .

وأُهنأ بمَقدَمِهِ السّعيدِ فقد أتى ... والشوقُ يَجْذِبُه إلى لُقْياكا

وأُبلغ بجِـــدِّك ما تريد نَوالَه ... فمُنى البريّة أن تَنال مُناكا[1]

وأسعَدْفقدقالالزّمانمؤرِّخا: ... (قد تاهَ يا توفيقُ عيدُ فِداكا)

مدحة

رفعها الى سموّه بمناسبة انتقاله من الاسكندرية الى القاهرة

في سنة ١٨٩٠ م

يا أميرا عليه من رَوْنَقِ المُلْ ... كِ جـــلالٌ وبهجةٌ وبَهاء

أنتَ إن غابت البـــدورُ لنا بد ... رٌ متى لاح تنجـــلي الظلْماء

بمعاني عُـــلاك تَفتخِر الدنـ ... يا وتَزْهو بسَـــعْدِك الأنْحاء

سِرْ إلى مصرَ يَقتفي إثرَكَ اليُمْـ ... نُ وتحـــدو رِكابَك العَلْياء[2]

وأعِدْ أُنْسَها بوجـــهٍ على الأيـــّام من نُور حُســـنه لألاء[3]

(١) الجدّ بالكسر : الاجتهاد .

(٢) يقتفي : يتبع . واليمن : البركة .

(٣) اللألاء : الضوء . يقول : إن الأيّام تكتسي من نور وجهك ضياء وبهجة .

وأَفِضْ من نَداكَ فيها غُيوثا ... قَصُرَتْ عن سِجالِها الأنْواءُ[1]

ثمّ عُدْ سالما تُرافِقُكَ البِشْـ ... ـرَى وتسعى أمامَكَ السَّرّاءُ

إنّ ثغرا عَهِدتَه بك بَسّا ... مًا عَداه — حتّى تعودَ — الهَناءُ[2]

لا تُطِلْ شَجْوَه ببُعدكَ عنه ... فهو ذو غُلّةٍ وأنت الماءُ[3]

يا دواءَ الزمانِ والأمرِ إنْ أَعْـ ... ـضَلَ خَطْبٌ وعَزَّ فيه الدّواءُ[4]

إنّ أرضا تَسْعَى إليك يقيم الْـ ... أُنْس فيها ويصطفيها الصّفاءُ[5]

فإذا سِرتَ من دِيارٍ لأخرى ... حَسَدتْ أَرْضَها عليك السماءُ

---

(١) سجالها ، أى مجاراتها ومعارضتها . والمراد بالأنواء : الأمطار ، الواحد نوء . وأصل النوء : سقوط نجم بالغد فى المغرب وطلوع نجم بحياله من ساعته فى المشرق فى كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوما ، وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السنة وإنما يكون ذلك لنجوم الأخذ ، وهى منازل القمر ، وهى ثمانية وعشرون نجما ، فلكل نجم رقيب ، هذا هو الأصل ، ثم كثر حتى سموا الأثر الذى يحدث بسقوط كل منها أو عند سقوطه نوءا ، وكانوا يضيفون الأمطار والرياح والحرّ والبرد إلى الساقط منها ، فيقولون : «مطرنا بنوء كذا» هذا ملخّص ماقاله اللغويون فى تفسير النوء .

(٢) عداه ، أى جاوزه . ويريد بالثغر : مدينة الاسكندرية .

(٣) الشجو : الحزن . والغلة : حرارة العطش .

(٤) الخطب : لفظ غلب استعماله على الأمر المكروه ، وأعضل : اشتد واستغلق .

(٥) عبّر بقوله : « تسعى إليك » مبالغة فى تعظيم ممدوحه ، كما هو ظاهر ؛ ومثله قول البحترىّ فى المتوكّل على الله :

ولو أن مشتاقا تكلّف فوق ما ... فى وسعه لسعى إليك المنبر .

تهنئـــة

بعيد جلوسه و بإياب نجله سمو الخديوى السابق عباس الثانى
من بعض سياحاته فى أوربا سنة ١٨٩١ م

عِشْ لِلْعُـلا مَوْلًى وَذُخْرا ... واسطعْ بأُفْقِ السَّعْدِ بَدْرَا
وَتَحُلْ أعيـــادُ الزَّمَا ... نِ بَوَاسِمًا بِحُـلاكَ ثَغْرَا
وَاحكم فحُـكْمُك فى البريـّـــةِ نافِـــذٌ نَهْيًا وأمْرَا
فلقـــد مَلأتَ مَهابةً ... وَهَوًى قلوبَ الناسِ طُرّا
سمِّيتَ باسم (محمّـدٍ) ... فَحُمِدْتَ أفعالا وذِكرا
وَدُعِيتَ (توفيقا) فكنْـ ... ـتَ بغاية التوفيق أحْرَى
حَالَفَ الزّمانُ بأنْ يُوَفِّـيَكَ المُـــنَى فوَفَى وَبَرّا
وغدَا يَسُوقُ لك السرو ... رَ وحظُّه فى أن تُسَرّا
هذا جُلوسُك عيــدُه ... ملأ المَلا بِشرا وبُشْرى
يومٌ بطـــابَعِ يُمْنِه ... وجهُ الزمان غدَا أغرّا
ألبســـــته مِنّنًا تَهُزُّ مَعاطِفَ الأيّام كِبْرا[1]
وإيابُ (عبّاسٍ) كَسا ... ه جَلابِيًا للحُسن أخرى

(١) المعاطف : الجوانب .

حَنَّتْ إليـــــه تَشوُّقا   مصرٌ فعاد يَؤُمّ مِصرَا

من بعـــد ما طاف المَمَا   لِكَ عابِرًا بَرًّا وبَحْرَا

وأَرَى المَغاربَ طَلعـــةً   يُتلَى الـكمالُ بها ويُقْرا

ومَـكارما منـــك اُستَمَدَّ *   جَمالَهـا غَضًّـا ونَضْرا

ومَطارفا للفضـــل أنـ   ـت بلُبْسِها فى الكَون أدْرَى (١)

ومَخـــايلا من والدٍ   فوق النجوم الشُّهْبِ قَدْرا (٢)

قد صَـــيَّرتْ كلَّ الجوا   رِحِ والقلوبِ لديه أسْرَى

فاُهْنَأْ به وبصِـــــنْوِهِ   إذْ أَشْبَهاكَ عُلاً وفَخْرا (٣)

فبفضلِ ذا وبمِثـــل ذا   حَقٌّ لعَيْنِـــك أن تَقَرّا

---

(١) المطارف فى أصل وضعها : أردية من خزّ مربعة ذوات أعلام ، الواحد مطرف بضم الميم وكسرها .

(٢) المخايل فى الانسان : مظانّ الخير فيه ، الواحدة مخيلة بفتح الميم ؛ وأصله من المخيلة بمعنى السحابة التى يظن فيها المطر .

(٣) صنوه : يشير إلى سمو الأمير محمد على توفيق .

تهنئة

بعيد الفطر مختتمة بالتاريخ الهجرى رفعها إليه فى سنة ١٣٠٨ هـ ١٨٩١ م

يا خيرَ مَوْلًى بنَـدَى كَفِّهِ   قدأصبحتْ مصرُ كَرَوْضٍ مَطِيرْ[١]
فُقْتَ الورى فى الفضلِ أو سُدْتَه   فحبّذا الفضلُ ونِعْمَ الأميرْ
وخَصَّـك اللهُ بما ترتضى   مِن سُؤْدُدٍ مَحْضٍ ومُلْكٍ كبيرْ[٢]
وزانَ أيّامَكَ حتّى غدت   خالاً على خَدِّ الزمانِ النّضيرْ[٣]
وصاغَ أخلاقَكَ تُزْرِى بأزْ   هارِ الرُّبا طِيبًا ونَشْرِ العَبيرْ[٤]
بُشرَى فأعتابُك قد أَمَّها   عيدٌ بأنواعِ الأمانى بَشيرْ[٥]
طالِعُه يُمْنٌ وتاريخُه   (توفيقُ) عيدُ الفِطرِ باهٍ منيرْ

---

(١) مطير ، أى ممطور ، فعيل بمعنى مفعول .
(٢) السؤدد : السيادة والرفعة ، يهمز ولا يهمز .
(٣) الخال : الشامة السوداء ، وغلب استعمالها فى شامة الخد ؛ شبه عهد ممدوحه بين العهود بهذه الشامة فى الشهرة والظهور وأنها مما يكسب الوجه جمالا .
(٤) نشر العبير : رائحته الطيبة المنتشرة .
(٥) أمها : قصدها .

تهنئــــة

بعيد الأضحى رفعها إليه فى سنة ١٨٩١ م مختتمة بالتاريخ الهجرىّ

مَولاىَ إنّ الزمانَ صــافٍ والعِيدُ فى حُســـنِهِ كبيرُ
فاْجتـــل بشْرَ الزمان نَضْرًا فــذاكَ رَوْضُ المنى نَضِــيرُ
واُهنَـــأْ وقُلْ للزمان أرِّخْ : (توفيقُ عِيدُ الفِـدا بشير)

تهنئــــة

رفعها إلى سموّه فى ذلك العيد أيضا

شوقٌ يهيّجــــه نَواكْ وجوًى يؤجّجه هَواكْ[1]
كم ذا أراكَ تَميـل عن مُضـناك يا غصنَ الأراكْ
وتَسومُنى صــبرًا وصبـ ـرِى عنكَ أَقتَلُ مِن جفاكْ[2]
صَــيَّرتَ بُعـدَكَ مِن مُحِبِّـك بُعْـدَ وَعْدِك مِن وَفاكْ[3]

(١) النوى : البعد . والجوى : حرقة الهوى . ويؤجّجه : يلهبه .
(٢) تسومنى صبرا ، أى تكلفنى إياه وتريدنى عليه .
(٣) يخاطب محبوبه بأنه جعل البعد بينه وبين حبيبه كالبعد بين وعده بالوصل والوفاء به فى طول المسافة واليأس من تحقيقه .

يا فتنـــةَ العشّاق حَسْـ ـبُ الناس ما جرّت يداك
وكفاكَ ما صَـــنعتْ بأرْ باب الصّـــبابة مُقْلتاكْ
أنت النعيم فـا لقلا ي ليس يَسْـلَم مِن أذاكْ
إنّى وإنْ بالغتَ فى هَجْـــرى وآلمنى قِلاكْ[1]
أَصْـــبو إليك إذا النّسيـ ـم سَرَى يمثّل لى شَذاكْ[2]
أو دارت الـكاســاتُ بالصَّهْباء تُخبر عن لَماكْ[3]
وأعُدُّ قربَك مُشتهَا ىَ وغايتى القُصْوَى رضاكْ

* * *

عِشْ يا (أبا العبّاس) وأبْـ ـلُغْ ما يسرُّك من مُنـاكْ
واسْـــتقبِل الأيّامَ ضا حِكَةَ المَباسِم عن هَنـاكْ
واحكُم تَجِـــدها بالّذى تَهوَى ملبِّيـــةً نِداكْ[4]
أنت الّذِى ألبســـتَها حُللا تُطـــرِّزها حُلاكْ

---

(١) القلى : الهجران والجافاة .

(٢) الشذا : الريح الطيبة .

(٣) الصهباء : الخمر ، سميت بذلك للونها . واللمى : سمرة فى الشفتين . واستعماله فى معنى الريق هنا على سبيل المجاز ؛ شبه ريق محبوبه بالخمر .

(٤) الضمير فى « تجدها » لمصر .

لَمْ تُبقِ فَضْـلَةَ مَفخَرٍ يُزْهى بِبَهْجَتِها سِواكْ[١]
وسَموتَ حتّى ظُنَّ أَنْ لكَ حاجةٌ عند السِّماكْ
يا (قَصْرَ رأسِ التّين) بالَغَ في جَمالكَ مَن بَناكْ[٢]
مولاى قد حَشَدَ المَفاخِرَ والمآثِرَ في ذَراكْ[٣]
وكَسَتْكَ أنواعَ المَحاسِنِ أُسْرةٌ سَكَنوا حِماكْ
فغَدوتَ بينَ مَعاهِدِ الدّنيا فريداً في بَهاكْ[٤]
مولاى ، إنّ الله خصَّكَ بالمَكارم واصطفاكْ
فاهنأْ بعيدٍ أكبرٍ هنّاه عيدٌ من لِقاكْ[٥]

---

(١) يقول : إن ممدوحه قد استولى على شتى المفاخر ، فلم يترك لغيره شيئا منها يزهى به ويختال .

(٢) قصر رأس التين ، هو مقر الملك فى الاسكندرية ؛ وهو من بناء المغفور له محمد على باشا جد الأسرة المالكة ؛ وهو أقدم القصور الملكية عهدا ؛ وهو منشأ على رأس فى داخل البحر على شكل حصن ؛ وكان فى مكانه قبل إنشائه عدة أشجار من التين ، ولذلك سمى قصر رأس التين ؛ وقد اختار محمد على لقصره هذا المكان لقربه من الميناء أولا ، ومن الحصون التى كانت مقامة هناك ولمجاورته لدار صناعة السفن « الترسانة » ؛ وقد جدد هذا القصر المغفور له إسماعيل باشا الخديوى .

(٣) حشد المفاخر : جمعها . وذرا الدار : فناؤها ونواحيها .

(٤) المعاهد : المنازل .

(٥) تنوين « أكبر » للضرورة .

أيّامُـــــه الزَّهراءُ تَرْ ... فُلُ فى ثيابٍ من سَـناك[1]
وافَتكَ مُعجِبـــةً بما ... عَقَـدَ القلوبَ على وَلاكْ[2]
من حكمةٍ ما زال يَجْـ ... لوها على الدنيا نُهـاك
وعـدالةٍ جَلَّ الّذى ... لِقَويم مَنهَجِها هَـداك[3]
نَجـلاك يابن الأكرمِيـ ... ن إلى العُلاَ تَبِعَا خُطاك
عَلِمَا بأنّ رِضـــاك فى ... أن يُشبِهاك فأَشبَهاك
فاْهنا فقـد حَقّ الهَنا ... ءُ بذا وطِبْ عَيشا بذاك
واْسعَدْ بعِيدٍ سَـــعْدُه ... فى كلّ عامٍ أنْ يَراك
متمـتِّعًا بالعِـــزّ والتّـــأييدِ منصـورا لِواك

*

---

(١) الزهراء : البيضاء . والسنا : النور .

(٢) الولاء بفتح الواو : المحبة .

(٣) قويم منهجها ، أى طريقها المستقيم .

فى شكر المحتفلين بتوديعه من الاسكندرية

حينما نقل من رآسة محكمتها إلى القاهرة

فى سنة ١٨٩١ م

شُكْراً على مابدا من صِدْقِ وُدِّكُمُ … فإنّنى من صَميم القلب ممنونُ[1]

واللهِ ما بِعْتُكمْ حُبّا بغيرِكمُ … ولو فعلتُ إذًا إنّى لَمَغبونُ

وإنّما قد قَضَى أمرُ المَليك بذا … وكلٌّ عبدٍ بأمرِ المَلْكِ مَرْهُونُ[2]

وبعدُ فالقلب إن أجسامُنا أفترقتْ … مقيَّدٌ بحبالِ الوُدِّ مَقْرونُ

فأَسألُ اللهَ إبقاءَ الهناءِ لكمْ … إنَّ الهناء بحمدِ اللهِ مضمونُ

وقال فى هذا الغرض أيضا :

يا أُلِى الفضلِ والكمالِ ويا قُرّةَ* عينِ الوَفا وعينِ الودادِ

بالّذى زانكم وميّزكُمْ بالـ … ـعِلم والحِلمِ والهُدَى والرّشادِ

أَنصِفونى من لطفكم فلقد غا … درَنى راحلا بغير فؤاد

وأُحفظوا عهدىَ القديمَ فإنّى … حافظٌ عهدَكُمْ برَغْمِ البِعاد

فإذا قرّبَ النفوسَ أئتلافٌ … هان عندى تفرُّقُ الأجسادِ

---

(١) يريد بالممنون : متحمل المنّة بكسر الميم ، وهو لفظ شائع الاستعمال فى كلام أهل العصر ؛ ولم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة ؛ والذى وجدناه بهذا المعنى «ممتن» .

(٢) الملك بسكون اللام : لغة فى الملك بكسرها ؛ ويريد الخديوى .

تهنئة

رفعها إلى المغفور له الخديوى محمد توفيق باشا بالعام الهجرى
مختتمة بالتاريخ ، نشرت فى سنة ١٨٩١ م

مَولاىَ قد وافَى حِماك مهنِّئا عامٌ يصاحِبه الصَّفاء رفيقا
يُهْدِى لِسُدَّتِك الكرِيمةِ كلَّ ما تَهْوَى كما يُهْدِى الصَّدِيقُ صَدِيقا[1]
فاُهنأ به فالسَّعد قال مؤرِّخا : (عامٌ يبشِّر بالهنا توفيقا)

(١) السدة : الباب .

تقريظ كتاب (السفر[١] إلى المؤتمر)

تأليف المرحوم أحمد زكى (بك) (باشا)

وفى هذه القصيدة يحث على السفر ويرغّب فى الترحل، سنة ١٨٩٣ م

أُهْجُرِ النَّوْمَ فى طِلابِ العَلاءِ ... وصِـــلِ الصُّبْحَ دائبًا بالمَساءِ[٢]

والْتَمِسْ بالمسِيرِ فى كلِّ قُطْرٍ ... رُتْبَـــةَ العارِفِينَ والحُكَماءِ

إنَّ غَضَّ الشَّبابِ — فَقَّهَهُ التَّرْ ... حالُ — شَيْخٌ فى أَعْيُنِ العُقلاءِ[٣]

ومُقامُ الحُسامِ فى الغِمْدِ يُزْرِى ... بالّذى حازَ مَتْنُه مِنْ جَـــلاءِ[٤]

---

(١) (السفر إلى المؤتمر): مجموعة رسائل كتبها المرحوم أحمد زكى باشا العالم المعروف أثناء سياحته فى أوربا بعد ما توجه إلى لندن نائبا عن الحكومة المصرية فى مؤتمر المستشرقين الدولى التاسع فى سنة ١٨٩٢ م؛ وهذه الرسائل تشتمل على ذكر المدن الكبيرة الأوربية، مع بسط الكلام على باريس وما فيها من ضروب الحضارة والمتاحف والمعارض، وعلى بلاد الأندلس ومدينة لندن؛ طبعت هذه الرسائل سنة ١٣١١ هـ.

(٢) دائبا، أى مستمرا مجتهدا.

(٣) غض الشباب: ناضره. وفقهه: أفهمه وعلّمه. يقول: إن الشاب بكثرة أسفاره يبلغ بخبرته وعلمه رتبة الشيوخ ذوى العقول الراجحة.

(٤) يقول: إن إقامة السيف فى غمده دون أن يجرد للحرب تصدئه وتذهب بما على ظاهره من بهجة ورواء؛ وكنى بالغمد هنا عن الوطن.

فدَعِ الغِمْدَ يَبْدُ لِلعيْنِ مِن فَضْ ... لِكَ ما كانَ فى زَوَايَا الخَفاءِ[1]

إنّ أَمْضَى الرِّجال مَن كان سَهمًا ... نافذاً فى حُشاشَـــةِ الغبْراءِ[2]

واللَّبيبُ اللَّبيبُ مَن دارَ فى الأرْ ... ضِ لعِــلْمٍ يَناله أو ثَرَاءِ[3]

إنّما الأرضُ والفَضاءِ كِتابٌ ... فاقْرَأوهُ مَعاشِر الأذْكِياءِ

واقرِنوا العِلْمَ بالسُّرَى رُبَّ عِلْمٍ ... لَم تَحُزْهُ قَرَائِحُ العُلَمَاءِ[4]

وأطِيلوا ما كانَ مِن قِصَرِ العَيْـ ... ـشِ بحَثِّ الرِّكابِ فى الأنْحاءِ[5]

وَطَنُ المَرْءِ مَهْدُه وبقَايا الـ ... ـكَوْنِ بَيْتٌ له رَفيعُ البِنـاءِ

وَمَعِيبٌ أنْ تَصْرِفَ العُمْرَ فى المَهْـ ... ـدِ وتَنْسَى البَيْتَ الوَسيعَ الفِناءِ[6]

هـٰذه الفُلْكُ يَسْتَحِثُّ خُطاها ... هَزَجُ الرِّيحِ فى صَحارِى المَاءِ[7]

---

(١) ينصح بممارسة الأسفار ومفارقة الديار .

(٢) الغبراء : الأرض ؛ شبه المسافر يجوب البلاد بالسهم النافذ فى قلب رميّته .

(٣) الثراء : الغنى .

(٤) السرى : السير بالليل .

(٥) حث الركاب : إسراعها . والأنحاء : النواحى . يقول : أطيلوا هذه الأعمار القصيرة بما تستفيدون من الرحل والأسفار ، فجعل كثرة ما يستفيده المرء فى سفره بمثابة عمر آخر يضمه المرء إلى عمره .

(٦) فناء الدار : ساحتها .

(٧) الفلك : السفينة . و« يستحث خطاها » الخ ، أى يدفعها إلى الاسراع فى السير غناء الرياح وحداؤها ؛ ولما جعل للرياح هزجا يستحث السفن على السير ناسب أن يشبّه الماء بالصحراء التى تسير فيها الابل .

كم أطالت مَدى الرَّحيل وَوَالَتْ ـهُ فعادَتْ بالخَـــيْرِ والسَّرّاءِ[١]

وهـــــلالُ السَّماءِ يَزْدادُ نُوراً كلّما خاضَ لُجّةَ الظّلْماءِ[٢]

لو وَنَى عَزْمُهُ لَمَا فَازَ بالقِدْ حِ المُعَلَّى فى القُبّـةِ الزّرْقاءِ[٣]

خُلِقَ المرْءُ للتَّنَقُّلِ فى الأرْ ضِ، وللسَّعْيِ، لا لِمَحْضِ الثَّواءِ[٤]

فتَحَرّكْ بحُكمِ طَبْعِكَ أو كُنْ حَجَرا فى مَجاهلِ البَيْـــداءِ[٥]

* * *

حَبَّذَا رِحْـلةٌ تُمَثِّلُ تمثيـــــلاً مزايا الأسْـــفار لِلقُرَّاءِ

قد أجادتْ فيها يَراعَةُ مُنْشيـ ـها اختيارَ الأخبارِ والأنباءِ[٦]

فأَجِلْ فى جَمالِهـــا نَظَراتٍ فهىَ بِكْرُ الآدابِ والإنْشاءِ[٧]

وتفَهَّـــمْ حديثَها ثُمَّ سافِرْ ليس مَن يَسْمعُ الحديثَ كرَأَى

---

(١) المدى: الغاية. ووالته: تابعته. والسرّاء: المسرة.

(٢) لجة الظلماء، أى وسطها ومعظمها، تشبيها بلجة البحر.

(٣) القدح المعلى: سابع سهام الميسر، وهو أفضلها، وله سبعة أنصباء إذا فاز، وعليه غرم سبعة إذا لم يفز. والقبة الزرقاء: السماء.

(٤) الثواء: الاقامة.

(٥) مجاهل البيداء: قفارها المجهولة الطرق.

(٦) اليراعة: القلم.

(٧) بكر الآداب، أى لم تسبق بمثلها فى الأدب.

تهنئـــــة

بعيد الفطر ، رفعها إلى سموّ الخديوى السابق عباس[1] الثانى

سنة ١٣١٠ هـ — ١٨٩٣ م

بِعلاكَ يَختال الزمانُ تَبَخْــتُرَا   وبقَدْرِكَ الأسمَى يتيه تَكَبُّرَا
ومَفاخِرُ الآباء زِدْتَ جَمالَها   كالرَّوْضِ حَيّاه الرَّبيعُ فنَوَّرا[2]
حَسْبُ الدّيار ديارِ مصرَ — إذا دَجَى   ليلُ الخُطوبِ بحُسنِ رأيك — نَيِّرا[3]
وكَفَى الرَّعيَّةَ أن يقوم برَعْيِها   مَوْلًى يَلَذُّ بأن تنامَ ويَسْهَرَا
للمُلْكِ سَيفٌ منك أُحكِمَ صَقْلُه   وبدت بمَتْنَيه خِلالُك جَوهرا[4]
شَهِدَتْ سيوفُ الهند حين رأينه   أنّ السُّيوفَ بمصرَ أكرمُ عُنْصُرا[5]

---

(١) ولد سموّ الخديوى السابق عباس حلمى الثانى ابن توفيق باشا سنة ١٨٧٤م وتولى الخديوية سنة ١٨٩٢م وخلع فى ابتداء الحرب العظمى سنة ١٩١٤م.

(٢) يريد بالربيع هنا : الغيث . ونوّر : أطلع النور بفتح النون ، وهو الزهر .

(٣) الخطوب : الأمور ، الواحد خطب ؛ وأكثر ما يستعمل فى المكروه .

(٤) صقل السيف : جلاؤه . ويريد بمتنى السيف : صفحتيه . والخلال : الخصال ؛ شبه خصال ممدوحه وسجاياه بجوهر السيف فى الرواء والبهجة .

(٥) كانت السيوف فيما مضى تنسب إلى الهند لجودة ما كان يصنع منها هناك .

وغَـدَتْ تُقِرّ بأنّ ماضىَ حَدِّه   قد رَدَّ باتِرَها المُصمِّمَ أبتَرا[1]
(عبّاس) فذ سُسْتَ البلادَ سياسةً   سيحدِّثُ التاريخُ عنها الأعصُرا
أنفَذتَ حُكْمَك بادهًا بمسائلٍ   دَقّتْ على الحكماء أن تُتصوَّرا[2]
طَرِبتْ لحِكمتها الشيوخُ وأذعَنتْ   فلو أنّ (رَسْطاليسَ) ثَمَّ لَكبَّرا[3]
زَيَّفْتَ قول المُرجِفين مبيِّنـا   للحقّ نَهْجا كاد أن يتنكَّرا[4]
وبَنَيتَ سَدًّا من ذكائك دونهمْ   فأرَيْتنا (يأجوجَ) (والإسكندرا)[5]
يا صاحبَ النِّيل الّذى جرَّتْ به   مصرٌ على البُلدان ذَيْلا أخضرا[6]

(١) الباتر : القاطع . والسيف المصمّم : الماضى فى العظام القاطع فيها . والأبتر : المقطوع . يقول : إن سيوف الهند على جودتها أقرت بأن السيف المصرىّ — يريد به الممدوح — قد جعل القاطع منها منكسرا لا ينتفع به عند القياس بينهما .

(٢) بادها ، أى مبتدئا من غير رويّة .

(٣) أرسطوطاليس ، هو ذلك الفيلسوف اليونانىّ المعروف .

(٤) المرجفون : الخائضون فى الأخبار السيئة وذكر الفتن على أن يوقعوا فى الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم شىء . ويريد بهم هنا دعاة الاستعمار . والنهج : الطريق . « وكاد أن يتنكرا » ، أى ينطمس ويمحى فلا يعرف .

(٥) يشير إلى ما ورد فى القرآن من قصة الاسكندر مع يأجوج ومأجوج وبنائه السد بينهم وبين الناس . وقد وردت هذه القصة فى سورة الكهف . شبه المرجفين بيأجوج ومأجوج فى الافساد ؛ وشبّه ذكاء الخديوى فى الحيلولة بينهم وبين ما يبتغون من الافساد ، وتمكين المستعمرين من البلاد ، بذلك السد المنيع .

(٦) كنى بالذيل الأخضر هنا عن الخصب .

حقّقْتَ آمالَ البلادِ وجُزْتَها ... شَأْوًا وما جُزْتَ الشبابَ الأنضَرا[١]

رامَتْكَ شِبْلا كى تُعزّ عَرِينَها ... فأبَيْتَ إلاّ أن تكون غَضَنْفَرا[٢]

هِمَمٌ إذا مَـــدَّت لمفتخَرٍ يدًا ... لا تَرْتضى إلاّ الأعزَّ الأكبرا[٣]

وعزيمةٌ ميمونةٌ لو لامَسَتْ ... صَخْرا لعادَ الصَّخرُ رَوضًا أزهرا

لله كيف رَكَضْتَ فى طُرُق العُلا ... فقَطَعْتَها حين المجوِّدُ قَصَّرا[٤]

لو أنَّ غيرَكَ سالكٌ هَضَباتِها ... ورأى مَجاهلَ سُبْلِها لتَعثَّرا[٥]

لكنَّ جأشَكَ لا يُمكِّن مَنهَجا ... يُفضِى إلى العَلياء أن يَتوعَّرا[٦]

يا لَيتَ أصلاً أنت خيرُ فروعِه ... يومًا يُرَدُّ إلى الحياة ليَنظُرا

ويَراكَ تَبنِى المجــدَ مِثلَ بنائه ... وتَذُودُ عن حَوْض الجُدُودِ مظفَّرا[٧]

---

(١) الشأو : الغاية .

(٢) العرين : مأوى الأسد . والغضنفر : من أسماء الأسد .

(٣) المفتخر بفتح الخاء : ما يفتخر به .

(٤) ركضت : عدوت مسرعا . والمجوّد : من جوّد بتشديد الواو ، إذا صار رائعا فى جريه . وقصّر : لم يبلغ الغاية .

(٥) مجاهل سبلها ، أى طرقها المجهولة .

(٦) الجأش : النفس . يقول : إن نفسك العالية لا تترك طريقاً إلى المجد إلا ذللته وجعلته مسلوكا .

(٧) تذود : تدفع . والحوض هنا : كناية عما يلزم الانسان حمايته والدفاع عنه .

وتُحيِّر الدّنيـــا بسيرتك التى | قد سارها قِدْمًا فأكبرَها الوَرى[1]
يابْنَ الذين سَمَوا لأبعـدِ غايةٍ | فتَسَنَّموا القُنَنَ الشَّوامخَ والذُّرا[2]
عَزِّزْ بناءهم الّذى قد وَطّـدوا | تشْكَرْ وشَيِّدْه يَشِدْ لك مَفخَرا[3]
وتَولَّ تذليلَ الصِّـعابِ فإنّها | مرهونةٌ حتّى تقبـول وتأمُرا[4]
إنّ الّذى جعل العزائمَ بعضَ ما | أُوتيتَ ، قَدَّرَ أن تُعانَ وتُنصَرا
لم يَخلُق اللهُ الشّهامةَ فى امرئٍ | إلاّ لخـير قد أراد ودَبَّرا
ومُغالِبُ العَقَباتِ حتمًا غالبٌ | إلاّ إذا أَطَّرَحَ الثَّباتَ وأَقصَرا
بُشرى فشهرُ الصَّوم أَقبَلَ باسمًا | يُهدِى إليك من السلام الأعطرا
ويُثيبُك الأجرَ المُضاعَفَ راحلا | إذ كنتَ أفضلَ من يُثاب وأجْدَرا
شهرٌ كما زِنْتَ الإمارةَ ناشِرا | فينا لواءَ العـدل زانَ الأشهُرا
للهِ دَرُّ نَداكما فلقـد جَرَتْ | أيّامُه أجْراً ، وكفُّك أبحُرا
بُشراك بالعيدِ السـعيد فإنّه | قد أَمَّ بابَك راضيا مُستبشِرا
ورأى بناديك البهىِّ مَهابةً | كَتبتْ على جَنَبات عرشِك أسطُرا
واُهنأْ فإنّ لنا هناءً طيّبا | فى أن تُسَرَّ به وحظًّا أَوفَرا

---

(١) سارها ، أى سارها أصلك .
(٢) تسنّموا : علوا . والقنن والذار : أعالى الجبال ، الواحدة قنّة وذروة .
(٣) عزّز : قوّ . ووطّدوا : ثبّتوا .
(٤) تذليل الصعاب ، أى تيسيرها .

وكتب إلى الأميرة الكسندره[1] أفيرنيوه

يرغب إليها فى أن تعيد مجلتها (أنيس[2] الجليس) إلى الظهور

بعد احتجابها سنة ١٩٠٤ م

خبِّرى القومَ يا سَمِيَّةَ (إسْكَنْـ ـدَرَ) يا رَبَّةَ النُّهَى والذَّكاءِ

هل لوجهِ (الأنيسِ) بعد احتجابٍ مِن سُـفورٍ فى عالَم الأدباءِ

فَنَرى فيـه كلَّ بحثٍ جديدٍ يَقِفُ الحقَّ فى صُفوفِ النِّساءِ

إنَّ للغانياتِ حقًّا علينا ليس يَخْفَى إلاَّ عَلَى الجُهَلاءِ

---

(١) هى الأميرة الكسندره دى أفيرنيوه فيزنيوسكا ، كريمة قسطنطين نعوم خورى ، ولدت فى بيروت وبها تلقت مبادئ العلوم ، ثم قدمت إلى مصر فى السنة العاشرة من عمرها ، فاهتمت بإتقان الفرنسية والإيطالية وآداب اللغة العربية ، ثم تزوجت الموسيو ملتيادى دى أفيرنيوه ، وأنشأت باللغة الفرنسوية (مجلة اللوتس) فنالت وافر الثناء والإعجاب من جرائد الغرب العظيمة ، وراسلت جمعية السلام النسائية فى أوربا فأعجبت بها البرنسيس فيزنيوسكا رئيسة الجمعيّة ومنحتها أحسن ما لديها ، وهو لقبها واسمها . وكان لها مكانة عظيمة عند أمراء الشرق وأميراته . وكان فيها جمال خلق وخلق يشهد بهما من عاصرها .

(٢) أنيس الجليس : مجلة نسائية علمية أدبية فكاهية ، وكانت تصدر فى آخر كل شهر ، وأول عدد صدر منها بالاسكندرية فى ٣١ يناير سنة ١٨٩٨ م — ١٣١٥ هـ ، وآخر عدد منها صدر فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٤ م — ١٣٢٢ هـ ومنشئتها الكسندره ملتيادى أفيرنيوه كريمة قسطنطين خورى .

فأجمَعى جيشَهنَّ حَوْلَكِ إنْ شِئْـ ـنَ طِلابَ الحقوقِ حَوْلَ لِواءِ
وأبعثى من ضياءِ فِكْرِكِ فى النا سِ ســـــفيرًا مسدَّدَ الآراء
وأفتحى بابَ كلِّ بحثٍ بِلُطْفٍ إنّما اللُّطْفُ عُدَّةُ الحَسْــــناء
إن تُعارِضْ بكِ الرجالَ نساءٌ عارضَتْهم بالحُجَّـــــةِ البيضاء[1]
إنَّ للفُضْليَاتِ فى كلِّ عَصْرٍ أثرًا فى خَواطِـــــرِ الفُضَلاء

إلى احمد شوقى بك[2]

يهنئه بالرتبة الثانية التى نالها فى سنة ١٩٠٥ م

(أَشَوْقِى) لقد نِلْتَ ما تَشْتَهِى بِفَضْـــــلِ أميرٍ رَفِيعِ الذُّرَا
وَمَنْ كانَ مَمْدُوحُه فى السَّماء تَسَنَّمَ مَتْنَ السَّـــنَا مِنْبَرا[3]

---

(١) يلاحظ أن فى قوله : « بالحجة البيضاء » تورية بديعة لا تخفى على أديب .

(٢) ولد المرحوم أحمد شـوقى بك الشاعر المعروف بالقاهرة حوالى سنة ١٨٦٨ م ، وبعد أن أتم علومه الابتدائية ثم الثانوية التحق بمدرسة الحقوق وبعد تخرجه منها التحق بخدمة خديوى مصر ، ثم سافر إلى أوربا ليتمم دروسه ثم عاد إلى خدمة الخديوى ثانية ، وبقى بها حتى خلع عباس الثانى فاستقال ، وتوفى رحمه الله فى ١٤ أكتوبر سـنة ١٩٣٢ م عن نحو أربعة وستين عاماً ، وله ديوان شعر مطبوع ، جمع فيه أكثر شعره ، وغير ذلك من الكتب والروايات .

(٣) يريد بممدوحه : الخديوى السابق عباس الثانى . وتسنّم : علا . والسنا : النور .

تقريظ كتاب (مختصر القاموس فى اللغة)

تأليف (محمود خاطر بك)

أيُّهــــا الناطقون بالضاد هٰذا مَنْهَلٌ قد صــفا لأَهل الضّادِ[1]

ذا كتاب تجاورتْ كلماتٌ فيه كانت مِن قبلُ كالأَضدادِ

أَلَّفَتْ بينهــــا أواصرُ معنًى خَفِيَتْ أعصُرا على النُّقّــادِ[2]

جفوةٌ عُولِجَتْ فعادت وِئاما وهوًى طَوْعَ (خاطرٍ) وَقّادِ[3]

وقال فيه أيضا :

أُخَيَّ هٰذا هو (القاموس) مختصَرا ضَمّتْ صحائفُــه فى طَيِّها عَجَبَا

يجاوِرُ اللفظُ فيـه اللفظَ ينفحُه معنًى يكون له إن يَنْتَسِبْ نَسَبا

---

(١) الضاد : كناية عن اللغة العربية .

(٢) الأواصر : الروابط والصلات ، الواحدة آصرة .

(٣) يلاحظ أن فى قوله : « خاطر » تورية ظاهرة عن اسم مؤلف الكتاب .

تقريظ كتاب (ليالى[1] سطيح)

إنشاء المرحوم محمد حافظ[2] ابراهيم بك الشاعر المعروف

سنة ١٩٠٦ م

طالِبَ الحكمةِ خُذْها جملةً   عن (سَطِيحٍ) من لَدُنْ أفصحِ لافِظْ
قِطَعٌ تبهَرَ أَلْبابَ الوَرَى   ضُرِبتْ فى مصرَ فى أيّامِ (حافِظْ)[3]

---

(١) ليالى سطيح : كتاب فى الأدب والاجتماع والأخلاق ، أنشأه المرحوم محمد حافظ إبراهيم بك فى أسلوب روائىّ على لسان سطيح ، وهو كاهن معروف من كهّان العرب القدماء .

(٢) ولد المرحوم محمد حافظ إبراهيم بك الشاعر المعروف حوالى سنة ١٨٧٢م وهو ابن إبراهيم فهمى افندى أحد المهندسين الذين كانوا يشرفون على قناطر ديروط ، وبعد أن أتم علومه فى مدرسة الحربية التحق بخدمة الجيش ، وظل به حتى أحيل إلى الاستيداع فى سنة ١٨٩٩ م والتحق بالخدمة فى دار الكتب المصرية فى سنة ١٩١١ م ، وظل بها إلى أن توفى فى سنة ١٩٣٢ م ، وله ديوان شعر مطبوع وكتب أخرى بعضها مترجم وبعضها من إنشائه .

(٣) يلاحظ أن فى الشطر الثانى من هذا البيت فكاهة طريفة ، إذ يشير إلى ما كان يكتب على النقود المصرية : « ضرب فى مصر » الخ ، ويريد بهذا التشبيه أن قيمة ما ينشئه حافظ من القطع معروفة لا تخفى على أحد كقيمة النقود .

تقريظ لمجلّة (صدق الإخاء[1])

سنة ١٩٠٨ م

يا طالبَ الآداب دونكَ فاقتطِفْ ... من رَوْضِها ما تشتهيه نَضِيرًا

إن رُمْتَ شِعرا هذه أفنانُه ... يَحمِلن من طِيب الكلام زُهورا[2]

أو رُمْتَ نثرًا هذه فقَرَاتُه ... قد مَثَّلَتْ بجمالها المنثورا[3]

حِكَمٌ تُقِرُّ لها النُّهى وَمَنَاظِرٌ ... إنْ جَالَ فِيها الطَّرْفُ عَادَ قَرِيرا

لو كانت الآدابُ تُصْبِحُ أُمَّةً ... لتَخَيَّرَتْ (صِدْقَ الإِخَاءِ) أَميرا

تقريظ الجزء الأول

من ديوان الشاعر المعروف المرحوم أحمد نسيم المطبوع فى سنة ١٩٠٨ م

لَكَ فِى الشِّعْرِ يَا (نَسِيمُ) مَعَانٍ ... بَاهِرَاتٌ تَحَارُ فِيها العُقُولُ

كُلُّ بَيتٍ يُطِلُّ مِنْهُ عَلَى أُفْقٍ ... هَامِ أَهلِ النُّهَى مُحَيًّا جَمِيلُ[4]

---

(١) صدق الإخاء : مجلة علمية اجتماعية أدبية شهرية ، صدر العدد الأول منها فى يوليه سنة ١٩٠٨ م وكان يديرها حسين افندى عزت ، وآخر عدد صدر منها فى أول نوفمبر من السنة المذكورة .

(٢) الأفنان : الأغصان ، الواحد فنن بالتحريك .

(٣) الفقرات بالتحريك : جمع فقرة بكسر الفاء وسكون القاف ، وهى من النثر كالبيت من الشعر . والمنثور : نبت طيب الرائحة جميل المنظر ، تجمّل به البساتين ، وهو المعروف بالخيرىّ ، وله زهر مختلف بعضه أبيض وبعضه أصفر .

(٤) المحيّا : الوجه .

تهنئـــــة

بعيـد الأضحى رفعها إلى سمو الخديوى السابق عبـاس الثانى فى يناير سنة ١٩٠٨ م وفيها يذكر حادثة [1] دنشواى المعروفة و يشكر سموّه على العفو عن المسجونين فى هذه الحادثة

لو أنّ أطلالَ المَنازلِ تَنطِقُ ... ما ارتَدَّ حَرّانَ الجوانحِ شَيِّقُ [2]

هل عند ذاكَ السِّرْبِ أنّا بعدَه ... فى الحىِّ مِنْ آماقِنا نتدفّقُ [3]

---

(١) فى يوم الأربعاء ١٣ يونيه سنة ١٩٠٦ م قام خمسة من الضباط الانكليز من معسكرهم وقصدوا إلى بلدة (دنشواى) باقليم المنوفية من أعمال مركز (تلا) لصيد الحمام ، وهناك أصيب بعض الأهلين ، فاصطدموا بالانجليز ، فأصيب بعض الضباط باصابات أفضت إلى الموت ، فثارت ثائرة اللورد كرومر عميد الدولة البريطانية إذ ذاك ، وعقدت المحكمة المخصوصة لمحاكمتهم ، وكان المدعى العمومى فيها ابراهيم الهلباوى بك المحامى المعروف ، وقضت هذه المحكمة باعدام أربعة من الأهالين وجلد وحبس ثمانية منهم ، ونفّذ الاعدام والجلد فى نفس البلد على مرأى ومسمع من أهله . وكان فى ذلك الحكم وفى تنفيذه من القسوة ما أثار النفوس وأطلق ألسنة الوطنيين وزعماء النهضة بما يجيش فى النفوس من أسى وحسرة ؛ ثم عفى عن المسجونين فى هذه الحادثة سنة ١٩٠٨ م .

(٢) أطلال المنازل : مابقى منها بعد بلاها . والجوانح : الأضلاع تحت الترائب مما يلى الصدر ، كالضلوع مما يلى الظهر ، الواحدة جانحة . ويريد ما فى صدره من حرارة الشوق إلى أحبابه .

(٣) السرب : القطيع من الظباء ؛ ويريد به هنا جماعة النساء . والآماق :=

أو أنَّ أضلُعَنا – على ما اُستُودِعتْ يومَ الفراقِ – من الجوى تتحرّقُ[١]

أمَنازلَ الأقمارِ أهلُكِ أسرَفوا في النَّأيِ إسرافَ الغنيِّ وأغرَقوا[٢]

لو أنَّهـــمْ قد أنصفوكِ مَنازلًا ماحازَهُمْ في الكونِ بعدَكِ مَشرِقُ[٣]

* * *

عِيدَ الفداءِ ألا سَعِدتَ بسُدّةٍ أمسَى يحيطُ بها الجلالُ ويُحدِقُ[٤]

هلاّ رأيتَ (بعابدين) مع المَلا مَلِكًا خلائقُه تَضُوعُ وتَعبَقُ[٥]

وجَمعتَ من تلك الشمائلِ طاقةً تَزْدانُ أيّاما بهـــا وتُخَلَّقُ[٦]

ورجعتَ من نور الأمير مزَوَّدا حتّى تعـــود وأنت زاهٍ مُشرِقُ

= مجارى الدموع . يقول : هل عند نساء هذا الحيّ اللاتى ظعنّ خبر بأن أنفسنا وقلوبنا تتدفق من عيوننا بدل الدمع شوقا إليهن وحزنا لبعدهن .

(١) على ما استودعت ، أى على ما أودع فيها من اللوعة والحسرة . والجوى : حرقة الهوى .

(٢) النأى : البعد . وأغرقوا : جاوزوا الحدّ .

(٣) يريد بالمشرق : الناحية . وعبّر عنها بالمشرق تقوية لتشبيه ساكنيها بالشموس المشرقة .

(٤) السدة : الباب . ويريد بها هنا حضرة الأمير .

(٥) ضاع الطِّيب يَضُوع : فاحت رائحته وانتشرت .

(٦) الطاقة : الحزمة من الأزهار ؛ ويخطئُ بعض الكتّاب فيقول : باقة وإنما الباقة هى الحزمة من البقل ، وتخلّق ، أى تطيّب بالبناء للمجهول فيهما . وأصل التخلّق : التطيّب بالخلوق بفتح الخاء ، وهو ضرب من الطِّيب مائع فيه صفرة ، كان يصنع قديما .

أَحرَزْتَ يا (عبّاس) كلَّ فضيلةٍ وبَلغتَ شَأْوًا فى العُلا لا يُلحَقُ [1]

من ذا يُجارى أَخْمَصَيْكَ إلى مَدًى وهواكَ سَبّاقٌ وعزمُك أسبَقُ [2]

إن يُرتجَلْ عُرفٌ فأنت إلى الذى لَمْ يَرْتَجِلْه المالِكون موفَّقُ [3]

***

سَدِّدْ سِهامَ الرأى (بالشُّورى) يحِطْ بك منه فى ظُلَمِ الحوادثِ فَيْلَقُ [4]

وأُسبِقْ به واُضربْ به واُفتحْ به ما شئتَ من بابٍ أمامَك يُغلَق

عَوَّدتُ مَجدَكَ أَن تنامَ وفى الحِمَى أملٌ عقيمٌ أو رجاءٌ مُخفِق [5]

ولَرُبَّ مَحْلٍ فى النُّهَى متحكِّمٍ قد كاد يَخترم النفوسَ ويُوبِق [6]

أَرسلتَ فيه نظرةً ضَمِنَ الحِجا والعِلْمُ نُصْرتَها وقلبٌ مشفِق

---

(١) الشأو : الغاية .

(٢) يريد بالأخمصين : القدمين ، والأخمص فى الأصل : ما لا يمس الأرض من باطن القدمين . والمدى : الغاية . وهواك ، أى إرادتك .

(٣) العرف : المعروف . وارتجاله : بذله ابتداء من غير سؤال . يريد بهذا البيت أن لممدوحه ابتكار فى بذل المعروف لم يسبقه إليه أحد من الملوك .

(٤) تسديد السهم : تصويبه نحو الغرض . والفيلق : الجيش . ويشير إلى ما كانت ترغب فيه الأمة إذ ذاك من إنشاء مجلس نيابى وحكم الأمة حكما دستوريا ؛ وكانت الصحف إذ ذاك فيّاضة بالإلحاح فى هذه الرغبة .

(٥) الأمل العقيم : الذى لم يحقق . والمخفق : الذى لم ينجح صاحبه . ويريد أمل الأمة إذ ذاك ورجاءها فى الدستور والحكم النيابى .

(٦) المحل : الشدة والجدب . استعاره هنا لعقم العقول وقلة مايصدر عنها =

وأخذتَ رأيَ أُلِى النُّهى مُسْتوثِقا مُسْتوزِرا وكذا الحكيم يدقِّقُ[١]
حتى اهتديتَ إلى الصّوابِ ولم يَزَلْ بين الصَّواب وبين رأيك مَوْثِقُ[٢]
ووَهَبْتَ فاً بتـكرَ النُّضارُ سَحائبا تَهمِى وتَفتقِـد المَحِيلَ وتُغْدِقُ[٣]
إنْ أمْرعتْ تلك المَواتُ وأورقَتْ فيهـا الرّياضُ فإنّما لك تُورِقُ[٤]

* * *

وأقَلْتَ عَثْرةَ قريةٍ حَكَمَ الهوى فى أهلِها وقَضَى قضـاءٍ أخرَقَ[٥]
إنْ أنَّ فيهـا بائسٌ ممّا به وأرَنَّ جاوَبَه هنـاك مطوَّقُ[٦]
وارْحمَتَى لجُناتِهـم ماذا جَنَوْا ؟ وقُضـاتِهم ما عاقَهُمْ أن يَتَّقوا ؟
مازال يُقْذِى كلَّ عَينٍ ما رأوا فيهـا ويُؤْذِى كلَّ سَمعٍ ما لَقُوا[٧]

= من الآراء النافعة . والنهى : العقول ، الواحد نُهيـة بضم النون ، ويخترم النفوس : يستأصلها . ويوبقها : يهلكها .

(١) مستوثقا : آخذا بالثقة والاحتياط . ومستوزرا ، أى مستعينا :

(٢) الموثق : العهد .

(٣) النضار : الذهب . « وتفتقد المحيل » الخ ، أى تتعهد الجديب فتمطره بغيث جودك حتى يخصب .

(٤) أمرعت : أخصبت . والموات من الأرض : ما لا نبات فيه .

(٥) يقال : « أقلت عثرته » إذا عفوت عنه وصفحت عن زلّته ودفعت عنه ما يتوقّع من مكروهها . والأخرق : الأحمق والسيئ الرأى .

(٦) أرنّ : صاح فى البكاء . ويريد بالمطوّق : المغلّل بأطواق الحديد .

(٧) القذى فى الأصل : ما يقع فى العين مما يؤذيها . ويستعمل كما هنا كناية عما يسوء منظره .

حتّى حَكمتَ فجاء حُكْمُك آيةً ... للناس طيَّ صحيفـــةٍ تتألّقُ[1]

نزلتْ تُرَفرِفُ حَوْلَ كاتبِ نصِّها ... زُمَرا ملائكةُ الرِّضا وتُحلِّق

شكرتْك مصرُ عَلَى سلامة بعضها ... شكراً يُغرِّب فى الورى ويُشرِّق

ذَكرتْ لك الصَّفح الجميلَ ولم تزَل ... تَرمِى إلى أمرٍ أجـــلَّ وتَرمُق[2]

قانونُ (دِنْشاواىَ) ذاك صحيفةٌ ... تُتْـــلى فترتاعُ القلوب وتَخفِق[3]

هل يُرْتَجَى صَفْوٌ ويَهدأ خَاطرٌ ... والموتُ حول نُصوصِها يترقرق

ومَضاجعُ القوم النيامِ أواهِلٌ ... بمعذَّبٍ يَرْدَى وآخَـــرَ يُرْهَق[4]

لن تَبلُغَ الجرحَى شِـــفاءً كاملا ... ما دام جارحُها المهنَّـــدُ يَبرُق[5]

فاُحكم بغير العُنْف واُكسِرْ سَيفَه ... فالحِلمُ أجْمَـــلُ والمكارمُ أليَق

لك مصرُ ماضيها وحاضرُها معًا ... ولك الغدُ المتحتِّم المتحقِّق

واللهُ عونُك إن رَكبتَ إلى العُلا ... طُرُقًا تَضِلُّ بها الهُداةُ وتَفْرَق[6]

والأمرُ أمرُك لا يُشابُ بريبةٍ ... والحكمُ حُكْمُكَ والإلهُ مصدِّق

---

(١) تتألق: تضيء وتشرق. ويريد الصحيفة التى كتب فيها الأمر بالعفو.

(٢) ترمق، أى تنظر. ويريد أن مصر تتوق إلى أسمى من ذلك العفو وهو استقلالها وحكمها بالدستور.

(٣) ترتاع: تفزع.

(٤) يردى: يهلك. ويرهق: يظلم ويحمّل من العذاب ما لا يطيق.

(٥) المهنّد: السيف. كنى به هنا عن الجيش الانجليزى. يقول: إن الجنايات على أهالى مصر لا تزال تتوالى ما دام الاُحتلال فيها.

(٦) تفرق: تخاف.

تقريظ (لمختارات البارودىّ[1])

المطبوعة سنة ١٩٠٩م

يا رائدَ الشِّعرِ لا تَقْرَبْ مَناهِلَه ... إلاّ وراءَ دليلٍ صادقِ النَّظَرِ

وإنْ حَفِظتَ فلا تَحفظْ سوى كَلِمٍ ... غُرٍّ جوامعَ مِثلِ الآىِ والسُّوَرِ

ما كلُّ شيءٍ تراه ناضرًا زَهَرٌ ... شتّانَ بينَ هَشيمِ النَّبْتِ والزَّهَرِ

يا طالبَ الدُّرِّ بحرُ الشعرِ ثَمَّ فقِفْ ... هٰذى مَعادِنُه مَلأَى من الدُّرَرِ

أُوتيتَ سُؤْلَكَ فاقرأْ ما تَخَيَّرَه ... من خالدِ الشِّعرِ (سامِى) خالدُ الأثَرِ[2]

---

(١) اختار البارودىّ هذا الكتاب من شعر ثلاثين شاعرا من فحول الشعراء المولّدين ، وابتدأه بشعر بشار بن برد ، ورتّبه على سبعة أبواب : الأدب والمديح والرثاء والصفات والنسيب والهجاء والزهد .

(٢) يريد محمود سامى البارودى باشا ، وهو ابن المرحوم حسن حسنى بك مدير دنقلة وبربر فى عهد المغفور له محمد على باشا ؛ ولد البارودى فى القاهرة سنة ١٢٥٥ ﻫ وتعلّم الفنون العسكرية فى المدرسة الحربية ، وكان من فحول شعراء العربية ، كما كان شاعرا باللغتين التركية والفارسية ؛ وآخر المناصب التى تولاها فى الحكومة المصرية رآسة النظار بعد شريف باشا وقبل الثورة العرابية ، ولبث فى هذا المنصب قليلا ، ثم شبت الثورة العرابية فكان من أقطابها ؛ فلما هدأت نارها نفى إلى جزيرة سرنديب مع من نفى ، ثم عفا عنه الخديوى عباس الثانى فى سنة ١٣١٧ ﻫ وتوفى فى سنة ١٣٢٢ ﻫ . وله ديوان شعر طبع منه جزءان وهذه المختارات .

مسجَّلا فى كتابٍ قيِّمٍ حَفِلٍ بقَوْلِ كلِّ طويلِ الباع ذى خَطَرِ
نِعمَ الكتابُ وما أمست صحائفُه وأصبحتْ تَهبُ الأيّامَ مِن غُرَرِ
خُذْ ما حَواه وأَغفِلْ ما تَجنّبَه واستغنِ عن عاطلِ الأوراقِ بالثَّمَرِ
يا قائلَ الشِّعرِ خذ للشِّعرِ أُهْبَتَه وطِرْ به فى سماء الحُسْنِ أو فَذَرِ
لا تأخذَنْ بتلابيبِ الكلامِ وكُنْ مِن أن يَرُدَّكَ مَدْحُورا على حَذَرِ[1]
فى النَّثر — إن لم تَعُدْ بالفخرِ قافيةٌ على امرئٍ صاغها — سَلْوَى لمُفتخِرِ
كم عَرْبَدَ الغِرُّ حَوْلَ البيت يقرِضُه وآبَ بعــــد جهادٍ بيِّنَ الحَصَرِ[2]
شِعْرُ الفتَى عِرْضُه الثانى فأَحْرِ به ألاّ يشوَّه بالأقــــذار والوَضَرِ[3]
فانقُدْ كلامَكَ قبلَ الناقدِين تَحُط ثانى النَّفِيسَيْن مِن لَغْوٍ ومِن هَذَرِ[4]
واقرأ — فديتُك — تأمَنْ ما تُحاذره من قارئٍ هازئٍ أو قارئٍ ضَجِرِ

---

(١) كنى بقوله : « لا تأخذن بتلابيب الكلام » عن أخذه بعنف وقسوة . و « مدحورا » : مبعدا مطرودا .

(٢) الغر : الجاهل . ويقرضه ، أى ينظمه . والحصر بالتحريك : عىّ المنطق والعجز عن الكلام .

(٣) الوضر : الوسخ . ويريد الردىء من الشعر .

(٤) يريد بالنفيسين هنا : العرض والشعر .

تقريظ الجزء الثاني من ديوان المرحوم (أحمد نسيم)

سنة ١٩١٠ م

أَىُّ غُصْنٍ فى الرَّوْضِ هزَّ (نَسِيمٌ) ... نُثِرَتْ منهُ هـذهِ الأَزْهَارُ[1]

حَبّذَا شِعْرُهُ الْجَنِىُّ وَأَهْـلًا ... ببَيـانٍ تُزْهَى به الأَشـعارُ

تقريظ (ديوان فؤاد الخطيب)

سنة ١٩١٠ م

يَا مُطْرِىَ الْمَوْلَى الرَّفيعِ الذُّرَا ... نِلْتَ الْمُنَى فَانْزِلْ بِوَادٍ خَصِيبْ[2]

يَا وَاقِفًا بين مَغَانى اللِّوَى ... فَتَحْتَ بالأَغْزَالِ بابَ الحبيبْ[3]

يا سَاقِىَ النَّـدْمَانِ حَسْبِى الّذى ... يُرَدِّدُ الشاعِرُ سَـاقِى الأَرِيبْ[4]

يا شُــعراءَ العَصْرِ جُوزِيتُمُ ... خيرًا عنِ الإِحْسَانِ، قُلْ يا (خَطِيبْ)

(١) لا يخفى ما فى قوله : « نسيم » من التورية .

(٢) يريد بهذا البيت أنه إذا مَدَح نال ما يتمناه من ممدوحه ، ونزل منه فى أحسن منزلة ، وذلك لحسن شعره وما يحدثه من الأثر فى قلب ممدوحه .

(٣) المغانى : المنازل . واللوى : مكان فى بلاد العرب مشهور كانت الشعراء تكثر من ذكره فى أشعارهم . والأغزال : جمع غزل بالتحريك . ويشير بهذا البيت إلى ما يظهر على غزل فؤاد الخطيب من الطابع البدوىّ . ويريد بقوله : « فتحت بالأغزال » الخ أن غزله يعطف محبوبه عليه ولا يجعله يصدّ عنه .

(٤) الندمان : جمع نديم . والأريب : الفطن البصير ، شبّه فى هذا البيت شعره بالخمر .

وقال يجيبه على تهنئة بالعيد

بعث بها إليه من السودان فى سنة ١٩١٠ م

وكان فؤاد الخطيب إذ ذاك مدرساً بكلّية غوردون بالخرطوم

أَيُّهَا السّاجعُ الْمُرَدِّدُ فى الشُّو دَانِ آىَ الْوَفاءِ وَالشَّوْق نَثْرَا[1]

قَدْ قرَأْتُ الْكِتَابَ لَاشَلَّتِ الْيُمنى الَّتِي أَوْدَعَتْ ثَنَايَاهُ دُرّا

كلّمَا قد بَعَثْتَ لِي بكِتَابٍ قلتُ : هـذا أَوْفَى الْبَرِيّةِ طُرّا

فإِذَا مَا بَحَثْتُ فِي طَيِّ قَلْبِي قُلْتُ: لا، بل أنا بذا الوَصْفِ أَحْرَى[2]

---

(١) الساجع : المغرّد ؛ شبّه به الكاتب .

(٢) أحرى ، أى أجدر . يقول : إننى بوصف الوفاء لأصدقائى أجدر من صاحبى .

تهنئـــة

بقدوم سموّ الخديوى عباس الثانى من الحج فى سنة ١٩١٠ م

كَم تَهِيمُ كَم تَجِبُ | كَم تَهِي وَتَضْطَرِبُ[١]
كُلَّمَا أَقُولُ : « سَلَا » | جَــدَّ ذٰلِكَ اللَّعِبُ
كُلَّمَا أَقُولُ : « خَبَا » | شَبَّ ذٰلِكَ اللَّهَبُ[٢]
أَيُّهَا الفُــؤَادُ تَمَا | دِيكَ فِى الهوَى عَجَبُ
مَا نِفَارُهُ فَاتَنَــتِي | يَا تُرَى لَهُ سَبَبُ ؟
غَيْرَ أَنَّنِي كَلِفٌ | فِى الهَوَى بِهَا تَعِبُ[٣]
ذَاكِرٌ إِذَا نَسِيَتْ | قَائِمٌ بِمَــا يَجِبُ
فَتَنَتِي الْجَمَالُ وَعُـذ | رِى الْجَمَالُ وَالأَدَبُ

* * *

هَلْ دَرَتْ بِمَنْ حَمَلَتْ | فِى الْمَهَامِهِ النُّجُبُ[٤]

---

(١) تجب ، أى تضطرب ، (مِن وَجَب) . وتَهِي : تضعف ، (من وَهَى) يخاطب فؤاده .

(٢) خبت النار تخبو : طفئت .

(٣) كلف بالشيء : ولع به فهو كلف .

(٤) المهامه : الصحارى ، الواحد مهمه . والنجب : كرائم الإبل ، الواحد نجيب ، والأنثى نجيبة .

هَلْ دَرَتْ مكانةَ (عَبَّاسَ) بينَ مَنْ رَكِبُوا[1]

فهْىَ لَمْ يُلِمَّ بِها	فى طَرِيقِها لَغَبُ[2]
بل عَدَتْ ولَذَّ لها	فى المَفاوِزِ الخَبَبُ[3]
هل رأت وجوهَهُمُ	فى سمائها الشُّهُبُ[4]
فهْىَ فى مَنازِلِها	ساهِرٌ ومُرْتَقِبُ
هل رأيتَ من ذَهبوا	قافِلِينَ ، لا ذَهبوا[5]
لا عَدِمْتَ رَكْبَهُمُ	فى الصَّباحِ إذ رَكِبوا
والحِجازُ قِبلَتُهُمْ	والفُروضُ والقُرَبُ
والنبيُّ يَطْلُبُهُمْ	والمُحِبّ يَقترِبُ
والحنينُ يَجْذُبُهُمْ	والمَشُوقُ يَنجذِبُ

(١) منع « عباسا » من الصرف لضرورة الوزن .

(٢) اللغب واللغوب : التعب والإعياء .

(٣) عدت : أسرعت ، من العدو . والمفاوز : القفار ، الواحدة مفازة . والخبب : ضرب من السير السريع .

(٤) الضمير فى « وجوههم » يعود على الخديوى ومن يصحبه فى هذا الحج من الحاشية والأتباع .

(٥) قافلين ، أى راجعين من السفر ؛ هذا أصل معناه . والمراد هنا : الناهضون فى السفر للحج ؛ ووصفهم بالقافلين تفاؤلا بأن ييسر الله لهم القفول أى الرجوع إلى أوطانهم ؛ وهو شائع فى كلام العرب ، كما نص عليه فى اللسان . و « لا ذهبوا » : دعوة لهم بطول البقاء ، أى لا يذهبون من الدنيا .

والجَلال يؤنِسُهـــمْ والنِّجـارُ والحَسَبُ[1]

هاتِ يا بَشـيرُ أدِرْ ذِكرَهُمْ، ألا اقتربوا

ما الّذى تُـــرَدِّدُه فى بلادِهَا العَـــرَبُ

سَـالَ فِى رُبُوعِهِـمُ مِنْ نَدَاهُمُ الذَّهَبُ

وَانْبَرَتْ تُقَـلِّدُهُمْ مِنْ سَمائِهَا السُّحُبُ[2]

فَالفَـــقيرُ جَاءَ لَهُ فِى دِيَارِهِ النَّشَبُ[3]

وَالسُّهُولُ وَاصَلَهَـا ـبعْدَهَجْرِهِـالعُشُبُ

* * *

إِيهِ يا بَشِـيرُ أفِضْ مَا تَقُولُ مُقْتَضَبُ[4]

إِنْ تُرِدْ فَذُو كَرَمٍ لِلْـكِرَامِ يَنْتَسِبُ

أَوْ تُرِدْ فَمَوْعِـــدُنَا مَاسَتَشْرَحُ الخُطَبُ

---

(١) النجار : الأصل.

(٢) يشير إلى المطر الغزير الذى هطل فى أرض الحجاز فى ذلك العام الذى حجّ فيه الخديوى .

(٣) النشب : المال .

(٤) أفض ، أى أطل فى بشراك . ومقتضب ، أى مقتطع منتقص .

وَالنَّـدِىُّ تَمْرَحُ فيـ * ـه القَصَائِدُ القُشُبُ (١)
وَالّذِى سَتَحْفَظُـهُ فِى صُدُورِهَا الكُتُبُ

يمدحه أيضا

قالها لتوضع فى غرفة المائدة بقصر عابدين

شَمْسُ المَعَالِى كَعُقُودِ الْجُمَانْ قَدْ نُظِّمَتْ فى صَدْرِ هٰذَا المَكَانْ (٢)
وَلِلْمَسَرَّاتِ بِأَنْحَائِهِ حُسْنُ قِرَانٍ يَا لَهُ مِنْ قِرَانْ (٣)
يَسْتَقْبِلُ الْعَيْنَ بِمَا تَشْتَهِى مِنْ طُرَفِ النَّقْشِ اللِّطَافِ الحِسَانْ (٤)
تَدْنُو قُطُوفُ الأُنْسِ فيه إلى أَضْيَافِ عَبَّاسٍ عَزِيزِ الزَّمَانْ (٥)

---

(١) الندىّ: مجلس القوم ومنتداهم حيث يجتمعون؛ ويريد حضرة الأمير. والقشب: الجدد، الواحدة قشيبة. يقول فى هذا البيت والذى قبله: إن أردت أيها البشير تأخير القول فى ذكر ما أسداه الأمير من النعم فى سفره هذا فموعد الإسهاب فى ذلك حضرته وما يقوله الخطباء والشعراء أمامه بعد عودته والتئام مجلسه.

(٢) الجمان: اللؤلؤ، الواحدة جمانة.

(٣) الأنحاء: الجوانب. والقران: المقارنة.

(٤) الطرف بضم الطاء وفتح الراء: جمع طرفة بضم الطاء وسكون الراء، وهى الغريب المستحسن المعجب.

(٥) العزيز: لقب كان لأمير مصر.

لَا زَالَ نَادِيهِ مَقَــرَّ القِرَى   وَمَجْدُهُ الْبَاذِخُ حِلْفَ الضَّمانْ[(1)]

تَرْتَعُ مِصْرُ الْعُــمْرَ مِنْ ظِلِّهِ   فِي نَضْرَةِ الرَّوْضِ وَطِيبِ الجِنَانْ

وَتَــكْتَسِي الأَيَّامُ مِنْ نُورِهِ   طَلَاقَةً يَغْبِطُهَا النَّـــيِّرَانْ[(2)]

* * *

مَا أَوْضَحَ الحَقَّ إِذَا مَا انْجَلَى   فِي حُلَّةِ الْحُسْنِ وَحَـلْيِ الْبَيَانْ

يَحُجُّ ذُو الرَّأْيِ بِهِ خَصْــمَهُ   مِنْ قَبْـلِ أَنْ تَعمَلَ فيـه السِّنَانْ[(3)]

فهو بلا شَــكٍّ ولا رِيبَــةٍ   إِلٰهُ رَبِّ السَّيْفِ وَالطَّيْلَسَانْ[(4)]

وَالْعَدْلُ يُعْلِي الْمُلْكَ فَوْقَ السُّهَا   وَيُلْبِسُ الدُّنْيَا ثِيَـابَ الأَمَانْ[(5)]

---

(١) القرى : ما يقدّم للضيف من طعام ونحوه .

(٢) النيّران : الشمس والقمر .

(٣) يحج خصمه ، أي يغلبه بالحجة . والسنان : الرماح . يقول : إن ذا الرأي يغلب خصمه بالحق الصراح قبل أن يغلبه بصدور الرماح .

(٤) فهو ، أي الحق . وقوله : « والطيلسان » أي ورب الطيلسان . ويشير به إلى أرباب الأقلام ، لأن خواص الكتّاب والعلماء كانوا قديما يلبسونه وهو كساء مدوّر أخضر لا أسفل له ، لحمته من صوف .

(٥) السها : كوكب صغير خفيّ الضوء لا يكاد يرى لعلوّه وبعده ؛ ويسمّى الصيدق أيضا ؛ والناس يمتحنون به أبصارهم لخفائه .

إِقَامَةُ الْقِسْطَاسِ مِنْ شَرْطِهِ وَرُكْنُهُ رَدْعٌ بلا عُنْفُوَانْ[١]

فَاسْتَعْمِلِ الرَّحْمَةَ فى أَهْلِهَا لاَ تَضَعِ الْعُنْفَ مَكَانَ الحَنانْ

لا تَسْأَلِ المالِكَ عن مُلْكِهِ فَعَدْلُه عن مُلْكِهِ تَرْجُمانْ

حُبُّ الرَّعَايَا خَيْرُ مَا يُقْتَنَى وَخَيْرُ مَا يَصْبُو إِلَيْهِ الجَنانْ[٢]

كم ظَلَّ مِنهُ الْمَرْءُ فِي جَحْفَلٍ وباتَ فى حِصْنٍ رفيعِ العِنانْ[٣]

فَاحْرِصْ عليه الدَّهْرَ مِنْ عُدَّةٍ يَعنُو لها الكَوْنُ وَيُصْغِى الزمانْ[٤]

---

(١) القسطاس : ميزان العدل ؛ وهو رومى معرّب . والردع : الزجر . وقد استعمل الشاعر العنفوان هنا بمعنى العنف والشدة ؛ وهو غير معروف فى كتب اللغة ، بل المعروف أن عنفوان الشىء : أوّله .

(٢) يصبو : يميل . والجنان : القلب .

(٣) الجحفل : الجيش . والعنان : الجانب .

(٤) العدة : ما أعددته لحوادث الدهر من سلاح وغيره . ويعنو : يذل ويخضع .

تقريظ ديوان المرحوم (أحمد شوقى بك)

المعروف (بالشوقيّات)

المطبوع قبل طبعته الأخيرة طبعتين: إحداهما فى سنة ١٨٩٨ م
والثانية فى سنة ١٩١١ م

إنّ مَا بتَّ تَشتَكِى منــــه داءٌ   هِىَ أَدْرَى بــــبُرئه لوْ تَشَاءُ
غـيرَ أنّى أراكَ تَـكْتُمُ عنهـا   لَوْعَـــةً من حقوقِهَا الإِفْشَاءُ
أَحَسِبتَ النَّوَالَ يَهْمِي على العا   شــــقِ عَفوا وتَهطِل الآلاءُ[1]
لو أُعِدَّت للصامِتِـين العَطايا   أُغرِقَ الْبُكْمُ إِذْ يَفيضُ العَطاء
نَظَرَاتٌ فِى إِثْرِهَا زَفَــرَاتٌ   تَتَّقِى حَـــرَّ نارِها الرَّمْضاءُ[2]
إنْ تُترجَمْ كانت أحاديثَ أَحْلَى   مَا يُؤَدَّى بِمِثْلِهِنَّ الرَّجاءُ[3]
أَوْ صَدًى رَدَّدَتْهُ أطْلالُ رَبْعٍ   جَرَّ أَذْيالَهُ عليـــــه العَـفاءُ[4]

---

(١) يهمى: ينصبّ. وعفوا، أى بلا كلفة ولا بذل جهد. والآلاء: النعم.

(٢) الرمضاء: الأرض الحارة الحامية من شدة حرّ الشمس.

(٣) يقول: إذا ترجمت هذه الزفرات إلى ألفاظ كانت هذه الألفاظ أحسن ما يقال للمحبوب فى رجاء وصاله.

(٤) الصدى: رجع الصوت. وعفاء الدار: دروسها وانمحاء آثارها.

بُثَّ شَكْواكَ فالحَنانُ يُرَجَّى والمواعيدُ إن يكن إصْغاء

***

شُغِلَتْ بالقَريضِ عَنَّا الغَوانِى وَأَصَاخَتْ لِرَبِّهِ العَذْرَاء[1]

ورَأَيْنا ديوانَ (أحمدَ) لا تُصـ ـرَفُ عنهُ القلوبُ والأهْواء

أيُّهَا الغَرْبُ كلُّ عِلمٍ حَديثٍ نحن فيه الثَّرَى وأنتَ السماء

فإذا يُذْكَرِ البيانُ فَأَذْعِنْ لا تَقُلْ : نحن فى البيانِ سَوَاء

إنْ يُعَدَّ الشُّيوخُ منكَ وَمِنَّا ففَتَى مصرَ للجميعِ لِوَاء[2]

وإذا أنكرَ الحقيقةَ قَوْمٌ لم يَرُقْهُمْ بِابْنٍ لمصرَ عَلاء

لا تَلُمْهُمْ لَعلّهمْ حاسِدُوهُ أوْ عَساهمْ بفضله جُهَلاء

مرحبًا بالعَلاءِ وَفَّى القوافِى حظَّهَا منه رفعةٌ وَسَناء

مرحبًا بالقَريضِ وَفَّى المَعالِى قِسْطَهَا منهُ رَوْنَقٌ وَبَهَاء[3]

---

(١) القريض : الشعر . والغوانى : النساء اللواتى غنين بجمالهن عن الحلى والزينة ، الواحدة غانية . وأصاخت ، أى استمعت . وربه ، أى رب الشعر ، ويريد به أحمد شوقى بك .

(٢) يريد بالشيوخ : شيوخ الشعر . ويريد بفتى مصر : صاحب الشوقيات .

(٣) يقول فى هذا البيت والذى قبله : إن المعالى والشعر فى أحمد شوقى قد تقارضا الحظوظ وأخذ كل منهما حظّه من الآخر ؛ فالمعالى قد أعطت الشعر رفعتها والشعر قد أعطى المعالى بهاءه ورواءه .

مرحَبًا بالمديحِ آيَاتِ صِدْقٍ ... لَمْ يُخَالِطْ رُوَاءَهُنَّ رِيَاءُ

مرحبًا بالحياة فى الوصفِ تَسْرِى ... فيُعادُ المَوْصُوفُ والأشياء[1]

مرحبا بالبيانِ سِحراً وَبالشِّعْـ ... ـرِ تُحَلِّيهِ حِكمةٌ غَرَّاء

مرحبًا بالمقَالِ سَمْحًا كريمًا ... لَمْ يَشُبْهُ هَجْوٌ ولا إيذاء[2]

مرْحبًا بالقَصِيد يَتْلُوه لِلشِّعْـ ... ـرِ أَمِيرٌ يُصْغِى لهُ أُمَرَاء

ذا يُلَبِّى الكلامُ إنْ هو نادا ... هُ وَهذا يَعْنُو لهُ العُظَمَاء[3]

مرحبًا بالشّباب ، فيهِ لمصْرٍ ... أَمَلٌ لَا يَفُوتُهَا وَرَجاء

مرحبا بالكتاب ، تَغْبِطُهُ الكُتْـ ... ـبُ وبالجزءِ بَعدَهُ أَجْزَاء

تهنئة

برتبة الباشوية بعث بها إلى المرحوم (أحمد زكى باشا) العالم المعروف
وسكرتير مجلس النظار إذ ذاك سنة ١٩١١ م

(زَكِىُّ) ياصفوةَ أَبناءِ العَرَبْ ... وَخَيْرَ مَنْ أَلَّفَ فينا وَكَتَبْ

---

(١) يصفه فى هذا البيت بأنه دقيق الوصف فى شعره حتى كأنك ترى الموصوف رأى العين إذا قرأت وصفه .

(٢) يَشُبه : يخالطه .

(٣) « ذا » : إشارة إلى القصيد فى البيت الذى قبله . و « هذا » : إشارة إلى أحمد شوقى .

نِلتَ المعالِيَ وَتَسَنَّمْتَ الرُّتَبْ ... تَسْعَى إلى بابِكَ مِنْ غيرِ طلبْ[1]

لولم تكن (باشا) لأَغْناكَ الأدبْ ... والعِلمُ والفضلُ وَذَيَّاكَ اللَّقَبْ[2]

لَوْ أَنَّ كُلَّ مُعْجَبٍ بمَا كَتَبْ ... هَنَّأَكَ اليومَ بسَطْرٍ مِنْ ذَهَبْ

لَمَا أَتَى إلاَّ بِبَعْضِ مَا وَجَبْ

تهنئـــــة

كتب بها إلى المرحوم (حافظ إبراهيم بك) بنواله رتبة البكويّة

أَخَلِقْ بِمِثْلِكَ أَنْ يَفُوزَ بِرُتْبَةٍ ... قدْ أَشرقَتْ بك للعُفاةِ سَماؤهَا[3]

يَاخيرَ كُفءٍ نَالَها عن فِطْنَةٍ ... وَكِفايَةٍ أَعْمَى الحَسودَ ضِياؤها

عِشْ لِلقَرِيضِ فأَنتَ بَانِي مَجْدِه ... بقصائِدٍ غُرٍّ يَلُوحُ سَناؤها[4]

لو لم تَفُزْ منه بأعلى رُتْبَةٍ ... لَسَأَلْتُ أَنْ يُهْدَى إِلَيْكَ لِوَاؤها

(١) تسنّمت الرتب، أى علوتها.

(٢) يشير باللقب إلى «زكى»؛ ويريد معناه اللغوىّ، أى الطاهر.

(٣) العفاة: طلاّب المعروف، الواحد عاف. وكان حافظ — رحمه الله — معروفا بالسخاء.

(٤) يريد بالسناء ممدودا: السنا بالقصر بمعنى الضوء؛ وهذا غير معروف فى كتب اللغة.

إلى الأميرة الكسندره[1] افيرنيوه

صاحبة مجلة (أنيس الجليس) يقرّظ بلاغتها سنة ١٩١٣ م

إنظِمى الدُّرَّ يا سَمِيَّةَ (إسكنـ ... ـدرَ) لافُضَّ عِقْدُهُ مِنْ فِيكِ[2]

وَانثريه فالدُّرُّ دُرٌّ وَإِنْ لمْ ... يَدَّخِرْه تُجَّارُهُ فى سُلُوكِ[3]

وَاجْعلى فوق مَفرِق العصْرِ تاجًا ... من نظيمٍ إنْ شئتِ أومن سَبِيكِ[4]

وَأَميطِى عن الحقيقة مَا يَحـ ... ـجُبُ عنّا جمالَها مِن شُكُوكِ[5]

بارك اللهُ فى خلائقِكِ الغرِّ * وفى أصلِ دَوْحةٍ تَنميكِ[6]

وَوَقَى من حوادِثِ الدَّهْرِ بَيْتًا ... عامِرًا بالشُّموس مِن أَهْلِيكِ

إنّ لِلفَضلِ رَوْنقًا وَجَمالا ... بَهَرَا الحاضِرِين فى نادِيكِ

قد تَفرّدْتِ فى الأنام برأيٍ ... غَضَّ من صوتِ مَعشَرٍ جادَلوكِ

---

(١) تقدم التعريف بالأميرة الكسندرة فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٤٩ .

(٢) يريد الاسكندر المقدونىّ الملك الرومانىّ المعروف . ويشير بقوله : « انظمى الدر » إلى شعرها .

(٣) يقول : إن الدر لا يفقد قيمته ولو كان غير منظوم ؛ شبّه به كتابتها .

(٤) المفرق : وسط الرأس حيث يفترق الشعر . جعل شعرها وكتابتها تاجا على رأس الزمن يتحلّى به .

(٥) « أميطى عن الحقيقة » الخ ، أى اكشفى عنها .

(٦) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل . و « تنميك » ، أى تنتسبين إليها .

وتجمّلت بينهم بجـــلالٍ   لم تكذّبْ سيما الإمارة فيك[١]

إيهِ لا كان سامعٌ لم يؤمّنْ   إنْ دعوتُ الإله أنْ يُبقيك[٢]

وكتب إليها أيضا

يا ربّةَ الفضلِ ، يافخرَ النساءِ وهلْ   ترضينَ إنْ قلتُ : بلْ يا طلعةَ القمرِ

يا أمّ إسكندرٍ بل يا سميّتهُ   تيهي على دولةِ الأقلامِ وافتخري

هذي الطُّروسُ وفي أصلاعنا مُهَجٌ   أبلي بلاءكِ أنّى شئتِ تنتصري[٣]

هلاّ نظمتِ لنا شيئًا نقرُّ بهِ   مِنْ ذلك الشعرِ بلْ مِنْ تلكمُ الدُّررِ

هلّا كتبتِ لأربابِ النُّهى جُملًا   تسيرُ كالمثلِ السّاري مدى الدّهَرِ[٤]

---

(١) سيما الإمارة : علامتها .

(٢) « أمّن » بتشديد الميم : قال (آمين) .

(٣) الطروس : الصحائف التي يكتب فيها . و« أبلي بلاءك » ، أي اجتهدي جهدك ؛ يقال : أبلى بلاءه في الحرب : إذا أظهر شجاعته حتى بلاه الناس وامتحنوه .

(٤) النهى : العقول ، الواحدة نهية بضم النون ؛ وحرك الهاء في « الدهر » للضرورة .

عَوَّدْتنا بَعْضَ عَادَاتٍ عُرِفتِ بِهَا   كَالنَّجْمِ بِالضَّوْءِ أَوْ كَالْعَيْنِ بِالأَثَرِ (١)

أَو كالزُّهُورِ بِرَيَّاهَا إذا عَبِقَتْ   فِي الرَّوْضِ أَوْ كَأَخِيكِ الظَّبْيِ بِالحَوَرِ (٢)

فَأَجْرِى على ذَلِكَ الطَّبْعِ الّذِى هَبَطَت   عَلَى الوَرَى منه آىُ السِّحْرِ وَابْتَكِرِى (٣)

فَالْقَوْمُ إِنْ مِسْتِ أَوْ أَرْسَلْتِ قَافِيَةً   كُلٌّ لَهُ وَطَرٌ نَاهِيكِ مِنْ وَطَرِ (٤)

لِلّهِ أَنْمُلُكِ اللاَّتِى هَزَزْنَ لَنَـا   مِنَ البَلَاغَةِ غُصْـنًا نَاضِجَ الثَّمَرِ

هل البَدَائِعُ إِلّا مَا جَلَوْتِ لَنَـا   مِنْ نَفْثَةِ السِّحْرِ أَوْ مِنْ نَفْحَةِ السَّحَرِ؟ (٥)

---

(١) عين الشىء : ذاته وشخصه . يقول : إنك عُرفتِ لدينا بعاداتك الجميلة فى مداومة الشعر والكتابة كما عرف النجم بضوئه والشىء بأثره .

(٢) ريّا الزهور : رائحتها . وعبقت : نفحت . والحور فى العين : شدة البياض فى بياضها والسواد فى سوادها .

(٣) الآى : جمع آية . وابتكرى ، أى ابتدعى فى فنون الشعر والكتابة مالم يسبقك إليه أحد .

(٤) مست : تبخترت وتمايلت . و« ناهيك من وطر » ، أى حاجة عظيمة بلغت الغاية . يريد أن الناس لهم إليك حاجات تختلف باختلاف ما وهبك الله من جمال فاتن وسحر ساحر .

(٥) شبّه آثار قلمها بنفثة السحر ، وهى النفخة التى يرسل فيها الساحر سحره . ويريد بنفحة السحر : ما تحمله النسمات فى وقت السحر من ريح طيبة .

فى تكريم الأستاذ خليل مطران بك

قيلت فى حفلة تكريم له بالجامعة المصرية سنة ١٩١٣ م

أَمْطِرِى يا سَحائِبَ الفَضْلِ ماشِئْـ ـتِ وَفيضى على الرُّبا وَالوِهَادِ (١)

وَاتْرُكِى كلَّ عاطِلٍ حالِىَ الصَّدْ رِ قَرِيرَ الْعَيْنَيْنِ فى كلِّ وَادِ (٢)

لن تَزِينِى أَحَقَّ من جِيدِ (مَطْرَا نَ) وَأَوْلَى مِنْ صَدْرِهِ بِاُفْتِقَادِ (٣)

قَلَمٌ تَصْدُرُ الحقائقُ عنه حالياتٍ فِى أَجْمَلِ الأَبْرَادِ (٤)

وَلِسَانٌ يُمسِى يُدَبِّرُه فِكْـ ـرٌ كَبِيرُ النُّهَى كَبِيرُ الْمُرَادِ

إِيهِ (عبَّاسُ) شُقَّ نَهْجًا جديدا كلَّ يَوْمٍ إِلَى ذُرَا الأمجادِ (٥)

وَتَخَيَّرْ للسّعد أمثالَ (مَطْرَا نَ) أَحَقِّ الأَنامِ بالإِسعادِ

وَأَنِلْهُمْ مِمَّا تَصُوغُ الْمَعالى نِعَمًا لا تُمَنُّ فى الأَجْيادِ

باركَ اللهُ فيكَ ، فالمُلْكُ — ما دمـ ـتَ — رَفيعُ الذُّرَا رَفيعُ العِماد

(١) يشير بسحائب الفضل إلى كرم الخديوى عباس الثانى .

(٢) العاطل : الخالى من الحلىّ والزينة .

(٣) الجيد : العنق . وافتقاد الشىء : تعهّده .

(٤) الأبراد : الأكسية ، الواحد برد بالضم ؛ شبه بها العبارات تكسو المعانى .

(٥) النهج : الطريق ، والذرا : مرتفعات الجبال ، الواحدة ذروة . والكلام هنا على الاستعارة .

فى تقريظ شعره أيضاً سنة ١٩١٣ م

قُمْ أَدِرْ يا (خليلُ) شِعْرَكَ فينا ... قَرْقفًا يَشْرَبُ النُّهَى وَعُقارًا[1]

أنت مَطرانُ دِينِ شِعْرٍ جديدٍ ... فَتَنَ المسلمينَ قَبلَ النّصارى[2]

تهنئة

بعث بها إلى سليم سركيس[3] الكاتب اللّبنانىّ المعروف

بمولود له سماه (أنور) وكتبت هذه الأبيات تحت صورة المولود فى سنة ١٩١٣ م

هٰذا شَبابُكَ يا (سَلِيمُ) تَزِينُه ... تلك الخِلالُ الغُرُّ وَالأَخلاقُ

حاكاكَ (أنوَرُ) مِثلَما حاكَيتَهُ ... فيما مضى فَتبارَكَ الخلّاقُ[4]

أنت الّذى عَلّمتَه نَقْلَ الخُطا ... وَأَرَيْتَهُ أَنَّ الحَياةَ سِباق

---

(١) القرقف والعقار: من أسماء الخمر؛ سميت قرقفاً: لأنها تقرقف شاربها، أى ترعده. وعقاراً: لمعاقرتها الدنّ وملازمتها إياه. وتشرب النهى، أى تذهب بالعقول. شبّه شعره بالخمر.

(٢) يشير إلى المطران بالمعنى الاصطلاحى فى الدين المسيحى، وهو رئيس الكهنة، وهو دون البطرك وفوق الأسقفّ؛ ولا يخفى ما فى ذلك من التورية عن اسم الممدوح.

(٣) هو سليم سركيس الكاتب اللبنانى المعروف ونزيل مصر؛ وهو محرر جريدة المشير ومجلة سركيس، ولد فى بيروت عاصمة لبنان سنة ١٨٦٩ م وكانت وفاته بمصر فى سنة ١٩٢٥ م.

(٤) حاكاك: أشبهك. و «فيما مضى»، أى أيام الطفولة.

مدحـــة

بعث بها إلى سمو الأمير عمر طوسن على ما بذله من المال والجهد لإعانة جرحى الترك فى الحرب البلقانية التى وقعت بين دول البلقان والدولة العلية فى سنة ١٩١٣ م

لكَ الإمَارَةُ ، وَالْأَقْوَام مَا بَرِحَتْ ... بكلِّ عَالِى الذُّرَا فى الكون تأْتَمِرُ[١]

لو لم تَرِثْهَا لمَا أَلْقَتْ أَعِنَّتَهَا ... إِلَّا إِلَيْكَ خِلَالٌ كلُّهَا غُرَرُ[٢]

يَابْنَ الْأُلَى لو أطَلُّوا مِنْ مَضَاجِعِهِمْ ... يوما عليك لقَالُوا : « إيه يا عُمَرُ »

أَعَدْت أَيَّامَهُمْ فى مِصْرَ ثانيةً ... حتى تَوَهَّمَ قومٌ أَنَّهُمْ نشِرُوا[٣]

وَسِرْتَ سِيرَتَهُمْ حتى كأَنَّهُمُ ... إِذَا خطَرْتَ بأرض مرّةً خَطَرُوا

لله دَرُّكَ كم نبَّهْتَ مِن هِمَمٍ ... تُثْنِى عَلَى أَهْلِها الآصالُ وَالْبُكَرُ[٤]

وكم تعهَّدْتَ جَرْحَى مِن أُسُودِ وَغًى ... إِنْ يَكْشِرِ الدَّهْرُ عن أحداثِهِ كَشَرُوا[٥]

---

(١) عالى الذرا : كناية عن رفعة القدر وشرف المنزلة فى النسب وغيره . وتأتمر ، أى تمتثل الأمر .

(٢) ألقت أعنتها : كناية عن التسليم والانقياد . والخلال : الخصال .

(٣) نشروا ، أى بعثوا بعد الموت .

(٤) الآصال والبكر : أى أواخر النهار وأوائله ، الواحد أصيل وبكرة .

(٥) يقال : كشر السبع عن أنيابه : إذا كشف عنها حين غضبه ، استعار ذلك للدهر ، والأحداث النوائب . يصف هؤلاء الشجعان بالحميّة لقومهم إذا نابتهم حوادث الزمان حتى يكشفوا غمرتها .

مستنجداً من بنى مصرٍ إلى شَمَمٍ ... إذا رأوا ثُلمةً فى حوضِهِمْ جَبَرُوا[1]

مُسْتَهْمِيًا هاميًا والنِّيلُ فى وَجل ... مِنْ أَنْ تَجُودَ به أَيمانُكُمْ حَذِرُ[2]

حتى تَفاهَمَتْ الأرحامُ وَادَّكَرَتْ ... ما بينها الأهلُ وَالْخلاَّنُ وَالأُسَر[3]

وآذَنَ البِرُّ بالسُّقيا وما فَتِئَتْ ... منهم ومِنْكَ صُنُوفُ الْبِرِّ تُنْتَظَرُ[4]

وَحرَّكَتْ كُلَّ كَفٍّ بِالنَّدَى مِقَةٌ ... حتى تَعَجَّبَتِ الأَنْهارُ وَالغُدُرُ[5]

والناسُ إن قام يَستَسْقِى الكريمُ لهمْ ... سحائبَ الفضل بِشْرُهُمْ فقد مُطِرُوا

يَأْبَى عَلاءُ (سَعِيدٍ) أَنْ يُشَابِهَهُ ... إِلَّا ابْنُ دَوْحَتِه إن قامَ يَفْتَخِرُ[6]

---

(١) إلى شمم، أى إلى قوم ذوى شمم، وصفهم بالمصدر. والثلمة فى الحوض: الفرجة فيه من هدم وكنى بالحوض عما يلزم المرء حمايته والدفاع عنه؛ وبالثلمة فيه عما يصيب المرء من ضيم.

(٢) مستهميا هاميا، أى مستمطرا ماطرا. وكنى بالكلمتين عن دعوته للمصريين أن يجودوا بأموالهم على منكوبى الحرب وجوده هو بماله أيضاً، ثم بالغ فى وصف الأمراء بالكرم فقال بعد ذلك: إن النيل خائف حذر من أن تجودوا به لغيركم.

(٣) ادكرت، أى تذكرت. يشير بهذا البيت إلى ما كان يلهج به الخطباء والداعون إلى التبرع إذ ذاك من تذكير المصريين بالأخوة فى الدين بينهم وبين المحاربين من الترك فى البلقان.

(٤) آذن: أعلم. ومنهم، أى من المصريين.

(٥) المقة: المحبة والمودة، من ومق. والغدر بضمتين: جمع غدير.

(٦) يريد المغفور له محمد سعيد باشا والى مصر الأسبق، وهو جد الممدوح =

ما زالَ يَحْمَدُهُ رَائِيكَ مُدَّكِرًا والأصلُ بالفرْعِ ـ إن حاكاهُ ـ يُدَّكَرُ[1]

جواب سمو الأمير

على هذه القصيدة فى ٢٤ مايو سنة ١٩١٣ م

سعادة الأستاذ النابغة اسماعيل صبرى باشا

إنّ قصيدتكم الشائقة التى تفضّل بتقديمها إلينا حضرة (حنّا بك) نجوم مرقومة فى ذلك اللوح المفرغ فى قالب الحسن والإحسان بعد ما أبدع تصويرها بيانكم الساحر ، وأحكم رصفها قلمكم القادر ، قد حلّت عندنا فى أرفع مكان ، وعظم لدينا موقعها على مقدار ما لكم من المكانة الرفيعة فى ديوان الشعر والأدب .

أمّا ما أشرتم إليه فى كتابكم مما جرى على لسان سعادة (محمود باشا فهمى) فإنى أرى أنى لم أقم إلا ببعض الواجب ؛ وإنما هى الآداب العالية أملت عليه وعليكم ذلك المدح والإطراء .

فأشكر الله الذى جعلنى أهلا لرضا إخوانى فى الوطن والملّة ، وأشكر لكم هذا الصنيع الجميل الذى لا أنساه أبداً .

وتقبّلوا سلامنا ؟ عمر طوسن

= ولد سنة ١٨٢٢ م وتولى سنة ١٨٥٤ م وتوفى سنة ١٨٦٣ م . والدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل .

(١) حاكاه ، أى أشبهه . ويدّكر ، أى يتذكر .

محاولة اغتيال الخديوى السابق

قالها حين ورد الخبر إلى مصر بأن ثائراً أراد اغتيال حياة سمو الخديوى السابق عباس الثانى وهو إذ ذاك فى القسطنطينية فأطلق عليه رصاصة لم تؤثر فيه إلا أثراً خفيفاً ، وقتل الجانى توا ، وكان ذلك فى أغسطس سنة ١٩١٤ م

أَبَى الْجَهْلُ إِلَّا أَنْ يَهُزَّ أَرِيكَةً ... تَقِيهَا يَدُ الرَّحْمٰنِ أَنْ تَتَزَعْزَعَا[1]

فما هَزَّ إِلَّا كُلَّ قلْبٍ مُرَوَّعٍ ... يجاورِ قلباً فى الرُّبُوعِ مُرَوَّعا[2]

يكاد إذا الأنباءُ رَابَتْهُ مَرَّةً ... يسيل بوادى النِّيلِ كالنِّيلِ أَدْمُعا[3]

ومن كاد (للعبّاس) كيداً فإنّما ... يَكِيدُ إِلَى مِصْرٍ وأحبابها معا

وَمن يَسْعَ فى إطفاءِ مِصْباحِ أُمَّةٍ ... يَرَى اللهَ حَوْلَ النُّورِ والنَّاسَ أجمعا[4]

---

(١) الأريكة : سرير الملك . وتقيها : تحفظها . وتتزعزع : تضطرب .

(٢) الروّع : الفزّع . يقول : إن هذا الجانى أراد أن يزعزع أريكة الأمير فزعزع قلوب رعيته بالفزع والاشفاق .

(٣) رابته : أوقعته فى الريبة ، أى الشك . والضمير فى « رابته » للقلب .

(٤) « يرى الله حول النور » الخ : كناية عن حفظ الله وحياطته .

تهنئـــة

رفعها إلى المغفور له السلطان حسين كامل[1] بتوليه سلطنة مصر بعد الخديوى السابق عباس الثانى فى ديسمبر سنة ١٩١٤ م

اليَوْمَ آن لشاكرٍ أنْ يَجْهَرا بالشُّكرِ مُرتفِعَ العَقِيرةِ فى الوَرَى[2]

إنّ الإمارةَ لم تزَلْ فى أهلِها شَمّاءَ عاليةَ القواعِدِ والذُّرا[3]

وَالتّاجَ مَقْصورٌ عَليهمْ يَنتقى منهم كَبيراً للعَلاءِ فأكبَرا

والعرش إنْ أخْلاهُ منهمْ ماجدٌ ذَكَرَ الأماجدَ منهمُ وتَخَيَّرا

(أحسينُ) حبُّك فى القُلُوبِ مُحقَّقٌ قد أظهرَ الإخلاصُ منه المُضمَرا

فاحرص عليهِ فهوَ مُلكٌ آخَرٌ إنْ شئتَ مُلكا جَنْبَ مُلكٍ أنضرا

وَالملكُ آلَ إليك يَحْدُو خَطْوَه شوقٌ إليك وَإنْ أتَى متأخِّرا

لم يَعْدُ — فيما فاتَ — بابَك ناسيا بل وانياً حتّى يَشِبَّ ويَكبَرا[4]

عَزَّى عن (العبّاس) أنّكَ عمُّه وأجَلُّ مَن ساسَ الأُمُورَ وَدَبَّرا

---

(١) السلطان حسين كامل ، هو ابن إسماعيل باشا خديوى مصر ، ولد سنة ١٨٥٣ م ، وتولى سلطنة مصر سنة ١٩١٤ م ، وتوفى سنة ١٩١٧م .

(٢) العقيرة : الصوت .

(٣) شماء : مرتفعة . ويريد بقوله : « أهلها » بيت محمد على .

(٤) « لم يعد بابك » . أى لم ينصرف عن بابك ولم يجاوزه .

وأَزَالَ لوعةَ كلِّ قلبٍ بعده ... أنّ الدّواءَ لِما به ، بك قُدِّرا[1]

يا ناظرَ الماضى وَشاكِرَ عهْدِهِ ... والحالُ بين يَدَيْهِ أجملُ مَنْظَرا

هٰذِى الحقائق باهراتٍ فَانْتَبِهْ ... لا يُلْهِيَنَّكَ طَيفُ مَاضٍ فى الكَرَى[2]

هذا ابْنُ إسماعِيلَ نجماً طالعا ... لهدايةِ السَّارى فَحَىَّ عَلَى السُّرَى[3]

الْمُلْكُ مِن يُمْناه فى يدِ حَازمٍ ... إنْ أَوْرَدَ الْأَقْوامَ وِرْدًا أَصْدَرَا[4]

والنِّيلُ لم يَبْرَحْ عَلَى العهدِ الّذى ... أَخَذَتْه قبلُ عليه نَاضِرَةُ القُرَى[5]

متهادِيا بين البِقاعِ مُنَاجِيا ... أرجاءها بالخِصْبِ يَكْتَنِفُ الثّرَى[6]

---

(١) يريد أن فى توليته السلطنة دواء يزيل ما أصاب القلوب من الحزن واللوعة على خلع الخديوى .

(٢) الكرى : النوم . يقول فى هذا البيت والذى قبله : يا من شهد العهدين : عهد الخديوى « عباس » وعهد السلطان « حسين » ، وسرّه أولهما لا يلهينّك الماضى عن الحاضر ، فهذه الحقائق باهرات تشهد بأن العهد الحاضر أحسن وأجمل .

(٣) السرى : السير بالليل . ويريد بقوله : « حى على السرى » حضّ الأمة على السير فى طريق الجد .

(٤) يستعمل الورد والصدر بمعنى حسن الرأى وسداد الفكرة ، فيقال : « فلان يورد الأمور ويصدرها » إذا كان حازماً لا يخفى عليه وجه الصواب فى المعضلات .

(٥) يريد بناضرة القرى : مصر . يقول : إن النيل دائم على وفائه كعهد مصر به ، فلم يتغير شىء بخلع عباس وتولية عمه بعده .

(٦) متهادياً ، أى متمايلا . والأرجاء : الأنحاء ، الواحد « رجا » .

والشَّرْعُ بين النـاسِ نَاهٍ آمِرٌ ما زالَ حُكْمُ اللهِ فيـــه مُوَقَّرَا

والبيتُ (بيتُ محمد) قد شادَه لبَنيهِ لم يَسْتَثْنِ منهـــمْ مَعْشَرَا[1]

والعَمُّ أكبرُ حِكمةً وَدِرَايَةً بالأمْرِ لو أنَّ الْمُكَابِرَ فَكَّرَا

حَالٌ إذا نَظَرَ الأَريبُ جَمالَهـا شَكَرَ الإلهَ وَحَقُّهُ أَنْ يُشْكَرَا[2]

إلى واصف غالى باشا

أنشدت هذه القصيدة فى حفل أقيم لتكريمه فى فندق شبرد تحت رعاية سمو الخديوى السابق عباس حلمى الثانى سنة ١٩١٤ م لما قام به من ترجمة بعض الشعر العربى إلى اللغة الفرنسوية فى كتاب سماه « روض الأزهار » ونشر هذا الكتاب فى باريس ، ولما كان يقوم به أيضاً من إلقاء بعض المحاضرات فى باريس فى الإشادة بفضل الشرق والشرقيين

أَىُّ صَوْتٍ حَيَّتْهُ بالأمْسِ باريـ ـسُ مَقَرُّ العـــلومِ والعلماءِ

مَنْ تُرَى ذٰلكَ الّذى جَمَّلَتْهُ حِكمةُ الشَّيْبِ فى رَبيعِ الفَتاءِ

---

(١) يريد « بمحمد » المغفور له محمد على باشا الكبير جدّ الأسرة المالكة ولد سنة ١٧٦٩ م وتولى سنة ١٨٠٥ م وتوفى سنة ١٨٤٩ م . ويشير بقوله : « لم يستثن منهم معشراً » إلى أن تولية السلطان حسين كامل لم تكن غريبة ولا خارجة عن الحق والعدل .

(٢) الأريب : العاقل الفطن .

ذلك الأسمرُ الّذى بَهَرَ البيـ ضَ مُطِلًّا مِنْ مِنبَرِ الخُطَباءِ
وَأماطَ اللِّثامَ عن أدبِ الغُرْ بِ كِرَامِ الآباءِ وَالأبْنَـاءِ[1]
بِلِسَانٍ ما اُعْتادَ مِن قبلُ أن يَخْ ضَعَ إلّا لأَهْـلِهِ من إباءِ[2]
يا سِجِلَّ الخُلود فافْسَحْ مَجالاً لاُسْمِهِ فى صَحِيفَـةِ الفُضَلاَءِ
وَأرِ الأعصُرَ الأَوَاتِىَ أنَّ الذِّ كْرَ غُمْـرٌ محجَّلُ الآناءِ[3]
ذاك صوتُ (اُبنِ بطرسٍ) قدعرفنا ه بما هَاجَهُ مِنَ الأصْداءِ[4]
أَلْقِ بالسَّمعِ تَسْتَخِفَّكَ منه نَغْمَةٌ لم تكن لغيرِ الوَفاءِ
ذاك نَجمٌ أَطْلَعْتِـهِ أنْتِ يا مصـ رُ فقَـرِّى بنجمِكِ الوُضّاءِ[5]
وَأحلِّيهِ حيث تفتقد البَـد رَ عيونُ السُّرَاةِ فى الظَّلْمَاءِ

---

(١) أماط اللثام: كشفه.

(٢) يريد باللسان: اللسان الفرنسوى. يصف هذه اللغة بأنها صعبة لا يحسن الكلام بها إلا أهلها.

(٣) الآناء: الأوقات، واحدها آن. ويريد بوصفها بالتحجيل أنها واضحة ظاهرة فى الزمن بما يفعل فيها المرء من أفعال الخير، وما يأتيه من أسباب المجد والرفعة. والتحجيل فى الأصل من صفات الخيل، وهو بياض فى قوائمها.

(٤) الأصداء: جمع صدى، وهو رجع الصوت. يقول: قد عرفنا صوت هذا الكاتب بما أثاره من أصوات المعجبين به، المردّدين لذكره. وسيأتى التعريف ببطرس غالى باشا والد الممدوح فى باب المراثى.

(٥) الوضّاء: الحسن البهيج.

كم له دون بيضة الشرق من غضـ ... ـبة حُرٍّ وكم له من بلاء[1]

كم له من مواقفٍ هزَّ عطف الـ ... ـحق فيها بالحجة البيضاء[2]

إيه يابن الأمجاد قمت بأعبا ... ء كبارٍ، والمجدُ ذو أعباء

وأريت الأنام برَّ ذوى القر ... بى ورأى الكريم فى الكرماء

فاستمع ما يقال حولك يا (وا ... صف) ذا اليوم من ضروب الثناء

إنّ من طيب الثناء لزهرًا ... تجتنيه مسامع الأكفاء

إلى السلطان حسين كامل

قالها حينما علم بأن أحد الثائرين أراد اغتيال حياة عظمته
بإلقاء قذيفة فى طريق موكبه فى ابريل سنة ١٩١٥ م

يا راميًا من تحت أجـ ... ـنحة المنايةِ مَنْ تُظِلُّ

واللهُ فوقَ الظالمـ ... ـينَ وفوقَ ظُلْمِهِمُ مُطِلُّ

---

(١) بيضة الشرق، أى حوزته وما يلزم أهله الدفاع عنه وحمايته. والبلاء: الجهد.

(٢) العطف: الجانب. والحجة البيضاء: الواضحة الظاهرة. يقول: إن الحق قد ترنح طرباً بهذه الحجج التى يدلى بها هذا الكاتب. والتنوين فى قوله: «مواقف» للضرورة.

ماذا صَنَعْتَ ؟ ودُونَ ما حَاوَلتَ أَسْيَافٌ تُسَلُّ
وكَواكبُ الْجَوْزَاءِ – وهْيَ العِقْدُ فى نَسَقٍ – تُحَلُّ[1]
لله دِرْعٌ كلُّ سَيْفٍ دونَ مَنْعَتِها يُفَلُّ[2]
سَلِمَ (الْحُسَيْنُ) وَطَاشَ سَهْمٌ رَاشَهُ حُمْقٌ وَجَهْلُ[3]
قُلْ لِلَّذِى يَرْمِى البُدُورَ تَوَقَّ لَا يَرْشُقْكَ نَصْلُ[4]
مَا الْعَيْثُ فِى ظِلِّ الْإِلٰهِ كَمَا يَرَى الْجُهَّالُ سَهلُ[5]

---

(١) يقول : إن دون قتل السلطان أهوالا هائلة ، منها انحلال كواكب الجوزاء وتساقطها من نظامها .

(٢) يفلّ ، أى يكسر ويتثلّم . وكنى بالدرع هنا عن وقاية الله للسلطان .

(٣) راش السهم يريشه : إذا ألزق به الريش ليكون أسرع فى ذهابه إلى الهدف .

(٤) « توقّ » ، أى تحفّظ على نفسك من أن تعود إليك النصال التى تصوّبها نحو البدر .

(٥) العيث : الفساد .

تقريظ كتاب (قلائد الحكمة[1])

للأستاذ (أحمد الزين)

سنة ١٩١٨ م

إذَا كُنْتَ (يا زَيْنُ) زَيْنَ الأَدَبْ — فإنَّ كِتَابَكَ زَيْنُ الكُتُبْ

(قلائِدُ) حَلَّيْتَ صَدْرَ البيان — بهنَّ وَطَوَّقْتَ جِيدَ الْعَرَبْ[2]

خَلَائِقُ تُزْرِى بِنَفْحِ الرِّيَاض — إذا ضَحِكَتْ مِنْ بكاءِ السُّحُبْ[3]

وما المرءِ إلّا بخُلْقٍ كريمْ — وَلَيْسَ بما قد حَوَى مِنْ نَشَبْ[4]

---

(١) (قلائد الحكمة): كتاب مشتمل على كثير من الأراجيز فى الآداب والأخلاق والاجتماع، جمع كثيرا من شتات الحكم المأثورة والآداب المنثورة، وعدة أبياته تسعمائة بيت تقريبا.

(٢) الجيد: العنق.

(٣) كنى بضحك الرياض عن تفتّح أزهارها، وببكاء السحب عن إمطارها.

(٤) النشب: المال الأصيل.

بيتان كتب بهما إلى صديقه (محمد بدر بك)

يهنئه بمولودة له اسمها (وفيّة) واختتمهما بالتاريخ

سنة ١٣٣٤ هـ — ١٩١٦ م

مَلأَتْ زوايا البيت بنتُ (محمّد) نُورًا وَخامَرَ ساكِنيهِ سُرُورُ[1]

وشدَا بَشِيرُ السَّعد فيه مؤرِّخا : (لِوَفِيَّةٍ) مِن نورِ (بَدْرٍ) نُورُ

بيتان بعث بهما إلى الآنسة (مىّ زيادة)

الكاتبة اللبنانية المعروفة يهنئها بحلول عام جديد

يا غرَّةَ العامِ جُوزِى الأُفْقَ صاعدةً إلى السماء بآمالِ المحبِّينـــا

إنّى سَأَلْتُ لكِ الأيّامَ صَافيــةً يا «مَىُّ» قُولِى معى — بالله — آمِينا

---

(١) « خامر ساكنيه » : خالطهم .

فى مَسْقَى « سبيل » (أمّ عباس)

وهى المغفور لها بمبا قادن والدة عباس باشا الأول والى مصر
وصاحبة الأوقاف الكثيرة على التعليم

أَسَّسَتْ هٰذا على أسِّ التُّقَى (أُمُّ عَبَّاسٍ) مَلاذُ الْمُعْوِزِينْ
أَيُّهَا الظَّامِئُ قِفْ نِلْتَ الْمُنَى فى حِمَى جَدَّةِ أُمِّ الْمُحْسِنِينْ[1]

ومن تقريظاته المنثورة

ما بعث به إلى الكاتب الكبير الأستاذ (أنطون الجميّل بك)
تقريظا لترجمته كتاب « الفتاة والبيت » تأليف السيدة ج — س — دو يوك

صديقى العزيز أنطون افندى الجميّل :

قرأت كتابك (الفتاة والبيت)، وهأنا أكتب إليك والطرب آخذٌ منّى كلَّ مأخذ، وكيف لا أطربُ وقد شاهدتُ فيه من أساليب

(١) يشير بهذا الشطر الأخير إلى ماهو معروف من أن المغفور لها بمبا قادن هانم كانت جدة للمغفور لها أمينة هانم إلهامى والدة سمو الخديوى السابق عباس الثانى، وذلك من جهة الأب إلهامى باشا حفيد الأولى ووالد الثانية، وكانت والدة عباس باشا الثانى تلقب « أم المحسنين » لكثرة ما كانت تبذل من الحسنات للفقراء والمحتاجين، وتمين جيوش الترك فى الحروب التى كانت تقع بينهم وبين أعدائهم.

الكتابة وحُسن الإنشاء ما لم يتفق قبلك لكاتب ينقل من لغة أجنبية إلى لغتنا العربية موضوعات تتعلّق بحياتنا العمرانية ، وترتبط بنهضتنا العلمية ، لذلك افتتحتُ خطابى بقولى : « قرأت كتابك » ، لأن من ترجم كما ترجمتَ حقيقٌ أن يشارك المؤلّف فى فضله ، وأن يشاطره فى فخره ، فإذا قيل لأوّلهما : «أجدتَ» ، قيل للثانى : « أجدتَ وأحسنتَ » .

نحن فى حاجة ماسّة إلى تعليم أبنائنا وبناتنا ، بل إن حاجتنا إلى تعليم بناتِنا أشدّ ، لأن بنت اليوم أُمُّ الغد ، وحضن الأمّ فى نظر العاقل مدرسةٌ أوّليةٌ يتلقّى فيها الطفل الموادَّ الأُولى لغذاء جسمه وعقله ، ولأن النساء نصفُ مجموع الأمة ، وهيهات أن ينهض مجموعٌ نصفُه أشَلّ ، وعبثاً يحاول الارتقاء إذا لم يعالَج بالعلم شلل ذلك النصف — وهو كناية عن أمهاتنا وأخواتنا وزوجاتنا وبناتنا — وإذا لم تتولّ التربيةُ الصحيحة بجانب العلم تهذيبه وتكميله .

إن كتاب « الفتاة والبيت » يفى بتلك الحاجة ، ويسدّ ذلك الفراغ الذى نشاهده فى كتبنا المدرسية ، لذلك أقدم إليك أيها الصديق العزيز أحسنَ عبارات التهنئة ، واهدى مثلَها إلى السيدة الفاضلة التى عَرفتْ أن تبسط واجبات الفتاة وربّة المنزل على أجمل منوال وأوفى أسلوب ، والله أسأل أن ينفع بناتِنا بهذا السِّفر النافع ، وأن يحفظك مثالا يتخرج عليه قومٌ يشرّفون لغتنا كما شرفتَها اليوم ، والسلام عليك وعلى كل من يحذو حذوَك كاتباً ومترجماً ؟

إسماعيل صبرى

الهجاء

فى مخادع

نشرت فى سنة ١٩٠٩ م

لكَ ألفاظٌ إذَا احتجتَ إلى خيْرٍ كانتْ شِراكَ الخيِّرينْ[1]

فإذَا استغنيتَ كانَتْ أسهُمًا نافِذاتٍ فى قلُوبِ المُحْسنينْ[2]

لو دَرَى رَبُّ المرُوءاتِ رَمَى لكَ مارجَّيْتَ مِنْ حِصْنٍ حَصِينْ

قد فَضَحْتَ الطِّينَ والماءَ مَعًا يا سَليلَ الطِّينِ والماءِ المَهينْ[3]

---

(١) يصف هذا المخادع بطلاوة ألفاظه حتى إنه يتصيد بها قلوب الخيرين . ويلاحظ أنه استعمل فى هـذا البيت الشراك بمعنى حبالة الصائد ؛ ولم نجده بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة ؛ والذى وجدناه الشرك بالتحريك .

(٢) يقول : إذا فرغت حاجتك قذفت المحسنين إليك بمطاعنك وآذيتهم بنمّك .

(٣) سليل الطين والماء ، أى المخلوق منهما .

في جاهل سفيه

في سنة ١٩٠٩ م

بَذَرْتَ جَهْلًا وهُجْرًا   فاحْصُدْ أناةَ حَليمِ (١)
رَوْثُ اللِّسانِ سَمادٌ   في رَوْضِ كُلِّ كَريمِ (٢)

في من نال العلا خداعا بلا استحقاق

هَنيئًا بِرَغْمِ العِلْمِ وَالفَضْلِ وَالتُّقَى   عُلًا نِلْتَها قَسْرًا وحاوَلْتَها خَتْلا (٣)
تَسَلَّقْتَها لمّا رَأَيْتَ حُماتَها   يَذودونَ عَنْ أَبْوابِها الْوَغْدَ والنَّذْلا (٤)

(١) الهجر : القبيح من الكلام الساقط منه .

(٢) شبه سفه السفيه في أنه داعية إلى زيادة حلم الحليم وكرم الكريم بالسماد في الرياض يزكو به الزرع وينضر النبات ، وهو من المعاني البديعة في الصفح .

(٣) القسر : القهر والإكراه . يقال : قسره على الأمر قسرا ، أي أكرهه عليه . والختل : الخداع .

(٤) يذودون : يدفعون . يقول : إنك وثبت إلى ذروة المعالي من غير طريقها ، وذلك حين رأيت أن حماة المعالي يذودون عن بابها الأوغاد والأنذال .

الفكاهات

عام[1] الكف

نشرت هذه المقطوعات الاثنتى عشرة بأسماء مستعارة فى (المؤيّد) سنة ١٩٠٢ م تعريضاً باللطمة التى حدثت لمحمد المويلحىّ بك ، وقد ذكرنا خبر ذلك فى الحاشية

— ١ —

إذا فتحَ العُداةُ عليْكَ حَرْباً ... وخِفْتَ بَوَادِرَ المُتحزِّبينَا[2]

فَقُلْ وارْفَعْ عَقِيرَةَ مَنْ يُنَادِي ... فلا يَجِدُ المُؤازِرَ والمُعينَا[3]

---

(١) نظم الشاعر هذه المقطوعات الطريفة معرّضاً بمحمد المويلحىّ بك الكاتب المعروف صاحب مصباح الشرق الصحيفة المشهورة حينما لطمه محمد نشأت بك ابن أحمد نشأت باشا على خدّه على ملأ من الناس بحانة دركوس بالقاهرة لشتم الأول أبا الثانى ، وكانت صحيفة المؤيد تنشر هذه المقطوعات لما كان بين صاحبها وبين المويلحى من الملاحاة والمهاترة ؛ وقد انتقم المويلحىّ بعد ذلك من صاحب المؤيد فى حادث زواجه بالسيدة صفية السادات ، وقضية الكفاءة التى رفعت عليه سنة ١٩٠٤ م . وكان ينشر فى صحيفته « مصباح الشرق » مقالات فى شتم صاحب المؤيد والزراية به بعنوان (عامل كفء) وفى المقطوعة الأولى من هذه المقطوعات يصف الشاعر خد المويلحى بالصفاقة والصلابة ، وأنه بذلك قد غاب لاطمه .

(٢) البوادر : مايبدر من الانسان عند غضبه ، الواحدة بادرة . والمتحزبون : المجتمعون حزبا .

(٣) العقيرة : الصوت . والمؤازر والمعين : كلاهما بمعنى واحد .

أعِرْنى يا ابنَ إبراهيمَ صُدْغًا أخُوضُ به غِمارَ الصَّافِعِينا[1]

فإنْ هُوَ قد أعارَكَ ما تُرَجِّى رايتَهُمُ أمامَكَ هارِبِينا

كما هَرَبَ الفتى الصَّفَّاعُ يوما أمامَ الكاتِبِ ابنِ الكاتِبِينا[2]

وخَافَ ثَمَّ رَبُّ الحانِ يَجْلُو عَلَى المَغْلُوبِ كأْسَ الغَالِبِينا[3]

وَيَغْبِطُ ذلك الصُّدْغَ المُفَدَّى عَلَى إرْغامِ كَفِّ الضَّارِبِينا

— ٢ —

تحت عنوان « الأسلحة الجديدة »

قلْتُ لِنَجْلِ الصَّافِعِينَ احْترِزْ مِنْ صُدْغِ إِبْرَاهِيمَ يَوْمَ الْكِفَاحْ

---

(١) ابن ابراهيم ، هو محمد المويلحى بك ابن ابراهيم المويلحى بك ، ولد بالقاهرة سنة ١٨٥٨ م وبعد أن أخذ حظه من التعلّم تولى عدة مناصب فى الحكومة المصرية ، واشترك فى تحرير عدة صحف ، وكان هو وأبوه ابراهيم بك من أعلام الكتّاب المشهورين فى مصر إذ ذاك ، وهما صاحبا صحيفة « مصباح الشرق » . ومحمد المويلحى بك هو مؤلف (عيسى بن هشام) وتوفى يوم السبت أول مارس سنة ١٩٣٠ م .

(٢) يريد بالفتى الصفاع : محمد نشأت بك . ويريد بالكاتب ابن الكاتبين محمد المويلحى بك وأباه .

(٣) يريد بالحان : حانة دركوس بالقاهرة ، والمعنى أن المغلوب فى هذه الحادثة قد صار غالباً بصلابة وجهه على احتمال اللطمة .

ولا تمَازِحْ إِنْ رَأَيْتَ ابْنَـهُ   شاكِيَ صُـدْغٍ لَا يُجِيبُ المِزَاحْ[1]
فقـال لى : إِنْ كَانَ كَفِّي مَعِي   مَا دُمْتُ حَيًّا لا أهَابُ السِّـلَاحْ

— ٣ —

ياصَرِيعَ الأَكُفِّ صُدْغُكَ أَمْسَى   خَلَقًا مِثْلَ طَيْلَسَانِ ابْنِ حَرْبِ[2]
أَنْتَ فى الحَانِ فى أمانٍ وَسِـلْمٍ   وَهْوَ فِي مَعْمَعَانِ حَرْبٍ وَضَرْبِ[3]

---

(١) لا يخفى ما فى قوله : « شاكى صدغ » من التهكم بجعله الصدغ سلاحاً يقال فيه : « فلان شاكى الصدغ » كما يقال : « شاكى السلاح » أى حادّه .

(٢) الطيلسان (بالفتح وتثليث اللام) : كساء مدور أخضر لا أسفل له ، لحمته ، وقيل سداه من صوف يلبسه الخواص من العلماء ، وأصله من لباس العجم . وطيلسان ابن حرب يضرب به المثل فى القدم والبلى ، وسبب ذلك أن ابن الرومى الشاعر المعروف كان قد مدح ابن حرب فخلع عليه طيلساناً بالياً فقال فى ذلك الطيلسان شعرا كثيرا حتى صيره مثلا لـكل ما بلى ورث ، فمن ذلك قوله :

يا بن حرب كسوتنى طيلساناً   رق من صحبة الزمان وصدى
طال ترداده إلى الرفو حتى   لو بعثناه وحـــده لتهدى

وغير ذلك من الشعر .

(٣) وهو ، أى صدغه . والمعمعان : الحر الشديد . يشير بهذا البيت إلى أنه هو وصدغه فى شغل عن صاحبه .

— ٤ —

قَفَاكَ مُحَمَّدُ نِعْمَ السِّـــلَاح إِذَا اُلتَفَّ بِالْعَسْكَرِ الْعَسْكَر
وَصُدْغُكَ إِنْ نَقَرَ النَّاقِرُون عَلَيْهِ يَرِنُّ وَلَا يُكْسَرُ

— ٥ —

بعنوان النصيحة

يا بْنَ الأُلَى رَسَخَتْ أَحْلَامُهُمْ وَرَسَتْ إِذِ الأَكُفُّ مَجَانِينٌ مَهَاوِيسُ(١)
لا تَدْخُلِ الخَانَ والصَّفَّاعُ ثَائِرَةٌ حَتّى تُقَامَ حَوَالَيْكَ المَتَارِيسُ
وقُلْ لِصُدْغِكَ يَسْتَقْبِلْ وُفُودَهُمُ بِالبَـــابِ: إِنَّهُمُ قَوْمٌ مَنَاحِيسُ

— ٦ و ٧ و ٨ و ٩ —

نشرت هذه القطع الأربع بعنوان المناجاة
وهى محاورة بين أب المويلحى إبراهيم بك وأبنه محمد بك

(الأب):

لِي خِـــلَالٌ مُخِلَّةٌ بِالمُـــرُوءَاتِ وَالوَفَا(٢)

(١) الأحلام: العقول.
(٢) الخلال: الخصال.

رَبِّ هَبْ لى نَقِيضَ ما　　بانَ مِنها وما اُخْتَفَى
يا عِمـادِى وعُدَّتِى　　يومَ لاَ يَنْفَعُ القفـا[(١)]

(الابن) :

إلٰهِىَ إِنِّى مِنْ ذُنُوبِىَ تائِبُ　　ومِنْ فِعْلِىَ المَمْقُوتِ يارَبِّ خائفُ
فلا تجْعَلِ اللّهُمّ صُدْغى صَحيفَتى　　إذا نُشِرَتْ يومَ الحِسابِ الصّحائِفُ

(الأب) :

هُنا وهُنـاكَ لى أَثر حَميدٌ　　يُشَرِّفُنى إذا أنا ما اُنْتَمَيْتُ[(٢)]
نَهَشْتُ الناسَ أَعْراضًا ومَالاً　　ونِلْتُ من البَرِيّةِ ما اُشْتَهَيْتُ
وكم صَفَعَ الجَرِىءُ أَدِيمَ وَجْهى　　فما خِفْتُ الْهَوانَ وما اُرْعَوَيْتُ[(٣)]
أَأَتْرُكُ لَذّةَ الفِتَنِ اغْتِبـاطًا　　وَأَهْجُرُها وفى المصباح زَيْتُ ؟[(٤)]

---

(١) لا يخفى ما فى قوله « يوم لا ينفع القفا » من التهكم اللاذع والدعابة البالغة فى الطرافة .

(٢) هنا ، أى مصر . وهناك ، أى فى الآستانة . وانتميت : انتسبت . ويشير بهذا البيت والبيت الثالث من هذه المقطوعة إلى إهانة وقعت فى الآستانة لابراهيم المويلحى بك تشبه هذه الاهانة التى وقعت لابنه محمد .

(٣) أديم الوجه : ظاهر جلدته . وارعويت : انتهيت وارتدعت .

(٤) « فى المصباح زيت » : كناية عن الحياة .

(الآن):

أنا فَرْعُ الأُلَى رَفَعُوا بِنَـــاءً   يُرَى لِلنَّسْرِ فَوْقَ ذُرَاهُ بَيْتُ[1]

أُرِيشُ يَرَاعَتِي بِمِدَادِ خُبْثٍ   وأَنَّى لاحَ لى هَدَفٌ رَمَيْتُ[2]

وإنْ أَحَدٌ تَعَرَّضَ لى بِسُوءٍ   وَقَفْتُ وَرَاءَ صُدْغِي وَاخْتَفَيْتُ[3]

— ١٠ —

على لسان[4] المويلحيّ مفتخرا

أَنَا وَاللهِ أَصْلُحُ لِلْمَخَازِي   وَأَفْعَلُ فَعْلَتِي وَأَتِيهُ تِيهَا

أُمَكِّنُ صافِعِي مِنْ لَطْمِ خَدِّي   وَأُعْطِي ذِمَّتِي مَنْ يَشْتَرِيهَا

(١) « يرى للنسر » الخ كناية عن العلوّ والرفعة . وذراه : أعاليه .

(٢) راش السهم بريشه : ألزق به الريش ليكون أسرع فى مضيه نحو الهدف ، شبّه به قلمه .

(٣) يشير بقوله : « وقفت وراء صدغى » الخ : إلى أن صدغه كالحصن له يتحمّل عنه لطم اللاطمين ولا يصيبه منه شىء كأن صدغه ليس منه ؛ وهو نهاية فى التهكم والسخرية .

(٤) نشر فى المؤيد هذان البيتان باسم (ولاّدة) وذلك لأن الشاعر عارض بهما بيتى ولاّدة بنت محمد بن عبد الرحمن الناصرى صاحبة الوزير أبى الوليد بن زيدون الشاعر الأندلسىّ المعروف ، وهما :

أنا والله أصلح للمعالى   وأمشى مشيتى وأتيه تيها

أمكن عاشقى من لثم خدّى   وأعطى قبلتى من يشتهيها

— ١١ و ١٢ —

الاسترحام

قال هاتين المقطوعتين : أولاهما على لسان المويلحيّ يسترحم صاحب المؤيّد مما ينشره فى صحيفته تعريضا بحادث الكفّ ، والثانية على لسان صاحب المؤيّد

أَيُّهَا المَـــوْلَى الَّذِى عَوَّدَنَا ... حِكْمَةَ الرِّفْقِ بِحالِ البائِسِينْ
إِنَّ شَهْرَ الصَّوْمِ قد حَلَّ فَفُزْ ... فيهِ بالأَجْرِ وشُكْرِ الشَّاكِرِينْ
قد كفانى كلُّ ما قد حَلَّ بى ... فَاْعْفُ عَنِّى يا أَبَرَّ القادرِينْ

* * *

صاحب المؤيّد يجيبه

اِبْنَ إبراهيمَ طِبْ إِنَّا وَإِنْ ... قد أَذَقْناكَ جَــزَاءَ الظَّالِمِينْ
لَكِرَامٌ ، إِنْ غَضِبْنَا رَدَّنَا ... عن أَذَى مِثْلِكَ طَبْعُ الكاظِمِينْ
إِنَّ هٰذا الشَّهْرَ شَهْرٌ يُجْتَنَى ... فيهِ أَمْثالُكَ صَفْحَ الصَّافِحِينْ
قد مَحَوْنَا آيَةَ الكَفِّ وَهَا ... نَحْنُ نَتْلُو اليومَ آىَ الرَّاحِمِينْ
فَاْلْزَمِ العُرْفَ تَعِشْ فى ظِلِّنَا ... فى عِدَادِ الكاتِبِينَ المُكْرَمِينْ [1]
وَاْكْتُبِ الخَيْرَ وَقُلْهُ تُرْضِنَا ... وَاْسْتَقِمْ تُرْضِ إِلٰهَ العالَمِينْ

---

(١) العرف : المعروف .

فكاهة سياسية

إلى مولاى عبد العزيز[1] سلطان مراكش

قال هذين البيتين وقد اقترح المؤيد على الشعراء أن ينظموا فى عتاب هـذا السلطان حينما بعث إلى مصر فى طلب جماعة من المطربين والمطربات ، فسافر إليه جماعة منهم ، فأنكر عليه المسلمون فعله ، لا سيما مصر ، وكتبت الصحف مستهجنة هذا الصنيع من سلطان مسلم ، وأكثر الشعراء فى ذلك من المقطوعات الطريفة ، وكان ذلك فى سنة ١٩٠٤ م

يا آلَ مُرّاكِشٍ وَفْدُ الغِناءِ أَتى　　مِنْ مِصْرَ يَسْعَى لِمَوْلاكُمْ عَلَى الرّاسِ

لا تُنْكِرُوا نُكْتَةً فى طَيِّ بَعْثَتِهِ　　فَالعُودُ أَحْسَنُ ما يُهْدَى إلى (فاسِى)[2]

---

(١) عبد العزيز سلطان مراكش ، هو ابن السلطان مولاى الحسن ، وكان مولده سنة ١٢٩٦ هـ وتولى الملك بعد وفاة أبيه فى ذى الحجة سـنة ١٣١١ هـ ثم خلع فى سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م . وكان معروفا بالاخلاد إلى المجون واللهو .

(٢) فى قوله : « العود » تورية ظاهرة عن عود الغناء وعود البخور ، كما أن فى قوله « فاسى » تورية أيضا ، فهو إما نسبة إلى فاس عاصمة مراكش ؛ أو اسم فاعل لا يخفى معناه ؛ وهو بهذا المعنى مناسب لعود البخور .

على لسان الشيخ سليمان العبد

وكان من كبار علماء الأزهر وشيخ الشافعية به ؛ ويشير الشاعر فى هذه الأبيات إلى أن الشيخ لا يبالى بتعاقب النظار على النظارات ، ولا باحتلال الجيوش الأجنبية للبلاد ، ما دام هو فى حدود عمله آمنا مطمئنا

أَمْطِرِى يا سَماءُ فى كلِّ يومٍ ... ما تشاءُ الأقدارُ مِن نُظَّارِ [(١)]

وَاقْذِفِى يا بِحارُ كلَّ جُيوشِ الْـ ... أَرْضِ فى مِصْرَ لاحْتِلالِ الدِّيارِ

أَنَا ما زِلتُ بين زَيْدٍ وعَمْرٍو ... وَشُيُوخٍ أَكابِرٍ أَحْرارِ [(٢)]

صَنْعَتِى العِلْمُ وَالقَرِيضُ لِبَاسى ... وَالقَوافى إذا التَحَفْتُ دِثارِى [(٣)]

أَنَا إِنْ طَالَ فى العِبادَةِ لَيْلِى ... قَصَّرَتْ حَلْقَةُ الدُّرُوسِ نَهارِى

لو تُفِيدُ العُلُومُ وَالشِّعْرُ أَصْبَحْـ ... ـتُ غَنِيًّا بالعِلْمِ وَالأَشْعارِ

هِمَّتِى هِمَّةُ الشُّيُوخِ وَنَفْسِى ... نَفْسُ عالِى المَقامِ وَالمِقْدارِ

---

(١) النُّظَّار فى الزمن السابق ، هم الوزراء الآن .

(٢) يشير بقوله : « زيد وعمرو » إلى ما يدرس فى الأزهر من علم النحو . ومدار أمثلة النحويين على هذين الاسمين غالبا .

(٣) القريض : الشعر . والدثار : الغطاء .

إلى لورد كرومر

قال هـــذه الأبيات مشتركا مع المرحوم حفنى ناصف بك على لسان المرحوم الشيخ حمزة فتح الله مفتش اللغة العربية بوزارة المعارف ، يشكو « شركة كوك » إلى لورد كرومر عميد الدولة الإنجليزية فى مصر إذ ذاك ، وكان المرحوم الشيخ حمزة يسافر فى بواخر هذه الشركة للتفتيش على مدارس الوجه القبلى ، وكان يلاقى من عمّال هذه البواخر ما يغضبه ويسوءه ، إذ كانوا يُكثرون من تأنيبه حين يتوضأ ويسرف فى رش الماء حتى يعم المكان الذى يتوضأ فيه . نشرت هذه الأبيات بصحيفة المقطّم بأسم الشيخ حمزة ، ولما علم بذلك ثارت ثائرته ولام صاحب المقطم على هذا العمل . ويلاحظ أن الشاعرين قد حرصا كل الحرص فى هذه الأبيات على التشبه بالشيخ حمزة فى الإكثار من الألفاظ الغريبة والحروف المتنافرة ، كما تولّى المرحوم صبرى باشا تقليد خط الشيخ تقليدا محكما فى النسخة التى بعثا بها إلى المقطم ، حتى إن الشيخ حمزة نفسه قد تعجّب من إحكام هـــذا التقليد ، كما أخبرنى بذلك المرحوم حفنى ناصف بك

يا أَيُّذَا الفَيْصَلُ المُزْجِى زَوَاجِرَهُ ‍ ‍ ‍ ‍ صَوْبَ السَّفِينِ وَثَوْبُ السَّوْسِ سَرْبَلَه (١)

---

(١) الفيصل : السيف القاطع . والمزجى : من أزجاه ، أى ساقه ودفعه . وزواجره ، أى أوامره التى تزجر المذنبين عن ذنوبهم . وصوب السفين ، أى نحوها . والسفين : جمع سفينة . والسوس : السياسة . وسربله : كساه .

أَشكُوكَ كُوكَكَ كَى يَنفكَّ عن جَنَفٍ قد كان كَلاًّ وكُلٌّ مَلَّ كَلْكَلَهُ[١]

أَباتَنِي والجِرِشَّي حَشْوُها ضَجَرٌ إِنْ مَسَّ شِقِّيَ خُشْبُ الفُلْكِ قَلْقَلَهُ[٢]

أُفٍّ لها دُجْيَةٌ شُوسًا أَساوِدُها صَرَعْنَ مِنِّيَ صِلاًّ لا حِراكَ لَهُ[٣]

لَلعَوْدُ والنابُ فى وَعْثاءِ وَخْدِهما خَيْرٌ لِمُعْلَوِّطٍ يَبْغِى تَرَحُّلَهُ[٤]

---

(١) المعروف فى كتب اللغة « أشكو إليك كذا » لا « أشكوك كذا » والجنف بالتحريك : الجور والميل عن الحق . والكلّ بفتح الكاف وتشديد اللام : الثقل . والكلكل : الصدر . يقال : « أناخ عليهم بكلكله » ، أى وقع عليهم بثقله .

(٢) الجرشّى : النفس . وخشب الفلك ، أى أخشاب السفينة . يقول : إنه أضجر نفسى حتى أصبحت لا يستقر جنبى حين أضطجع فى هذه السفينة .

(٣) الدجية : الظلمة . ويريد بها ما أصابه من بلية . والشوس : الجرآء الأشدّاء ، الواحد أشوس بسكون الشين وفتح الواو . والأساود : جمع أسود ، وهو العظيم من الحيّات . والصِّلّ : الحية التى لا ينفع من سمّها شىء .

(٤) العَود : المُسِنّ من الابل : والناب : الناقة المُسنّة أيضاً . والوعثاء : المشقّة والتعب . ووخد الابل : سرعة سيرها . والمُعلوِّط : المتعلّق بعنق البعير ليركبه ؛ أو الذى يركبه بلا خطام أو عريا . يفضّل ركوب الابل فى الأسفار على ركوب السفن فى البحار .

طرائف الغزل

من قصيدة بعث بها إلى المرحوم رياض باشا

وزير المعارف إذ ذاك ، وكان الشاعر يتأهب للسفر فى البعثة إلى أوربا ،

وقد نقلنا هذه الأبيات عن صديقه صاحب السعادة أمين سامى باشا

فؤادِى كما شاءتْ لِحَاظُ غزَالِى ... جَرِيحٌ ، فمَا لِلْعَاذِلِينَ وَمَالِى

وَدَمْعِى نَظِيمٌ فوق خَدِّى كأنّنى ... أَمَرْتُ دُمُوعى أَنْ تَخُطَّ مَقالِى

لِيَلْمَحَها اللاّحِى فَيَرْثِى لِصَبْوَتِى ... وَيَقْرَأَهَا الواشِى فَيَرْحَمَ حَالِى[1]

---

(١) اللاحى : اللائم .

التزوّد من الأحباب المودّعين(١)

وُجد بعضها مكتوبا بخطّه على كتاب مطبوع سنة ١٨٩٧ م ، ونشر بعضها فى سنة ١٩٠٩ م

تَزَوَّدْ مِنَ الأَقْمَارِ قَبْلَ أُفُولِهَا　　لِظُلْمَةِ أَيَّامِ الْفِرَاقِ وَطُولِهَا(٢)

فَرُبَّ وَداعٍ يَنْفَعُ الْمَرْءَ بَعْضُهُ　　إِذَا رَضِيَتْ نَفْسُ امْرِئٍ بِقَلِيلِهَا(٣)

غَدًا تَفْعَلُ الأَشْجَانُ بالرَّكْبِ فِعْلَهَا　　وَتُجْتَثُّ هَاتِيكَ الْمُنَى مِنْ أُصُولِهَا(٤)

وَيَدْرِى أَخُوالأَشْواقِ سِرَّ هُلُوعِهِ　　لِذِكْرِ النَّوَى والخوْفِ قَبلَ نُزُولِهَا(٥)

---

(١) يقال : إنه نظم الأبيات الأربع الأُوَل من هذه القطعة متأثرا ببيتى البحترىّ ، وهما :

ولقد تأمّلت الفراق فلم أجد　　يوم الفراق على امرئ بطويل

قصرت مسافته على متزوّد　　منـــه لدهر صبابة وعويل

(٢) أفول الكوكب : مغيبه .

(٣) يريد أن المحبّ قد ينتفع فى وداع أحبابه بالنظر إليهم والتسليم عليهم وشكوى الحب لهم ، ويرضيه ذلك منهم إذا كان ممن يرضى بالقليل .

(٤) الأشجان : الأحزان . وتجتثّ : تستأصل .

(٥) الهلوع : شدة الجزع . والنوى : البعد .

لَقد بُوغِتَتْ تلك المُنى فتَصَرَّمَتْ ولم تَقْضِ منها النفسُ أيْسَرَ سُولِهَا[١]

أَأَنْتَ رَزِينٌ أَيُّهَا القَلْبُ فِي غَدٍ كَعَهْدِكَ أَمْ سَارٍ وَرَاءَ حُمُولِهَا[٢]

لواء الحسن

نشرت فى سنة ١٩٠١ م

وقد قالها لتترجم إلى اللغة الفرنسوية ضمن مجموعة مختارة من الشعر العربى القديم يراد ترجمته إليها ، وهو فى هذه القصيدة يخالف غيره من الشعراء فى حبهم الاستئثار بالحسن ، ويرغب إلى الحسناء أن تسوّى بين محبّيها فى التمتع بالنظر إلى حسنها الباهر

يا لِوَاءَ الْحُسْنِ أَحْزَابُ الهوى أَيقَظوا الفِتنةَ فِى ظِلِّ اللِّوَاءِ[٣]

فَرَّقَتْهُمْ فى الْهَوَى ثاراتُهُمْ فاجْمَعِى الأمرَ وَصُونِى الأبْرِياءْ

إنَّ هـذا الحُسْنَ كالماءِ الَّذى فيهِ لِلأَنْفُسِ رِىٌّ وَشِفَاءْ

---

(١) بوغتت : فوجئت . وتصرمت : تقطعت . وسولها ، أى سؤلها بالهمز .
يقول : إن المنى قد تقطعت بالفراق ولم تقض منها نفس المحب أيسر ما تطلب .

(٢) يسائل قلبه هل سيستقر فى مكانه صابرا على ألم النوى ، أو سيخفّ إلى أحبابه فيتبعهم بالشوق إليهم أنّى ذهبوا .

(٣) شبّهها فى حسنها المرموق واتباع المحبّين إياها باللواء الذى يرمقه الجيش ويتبعه .

لا تَذُودِي بَعْضَنَا عن وِرْدِهِ ... دُونَ بَعْضٍ وَأَعْدِلِي بين الظِّماءِ[١]

أنتِ يَمُّ الْحُسْنِ فيهِ ازْدَحَمَتْ ... سُفُنُ الآمالِ يُزْجِيها الرَّجاءِ[٢]

يَقْذِفُ الشوْقُ بها في مائجٍ ... بين لُجَّيْنِ عَناءٍ وَشَقاءِ[٣]

شِدَّةٌ تَمْضِي وَتأْتي شِدَّةٌ ... تَقْتَفِيها شِدَّةٌ ، هل مِن رجاءِ ؟[٤]

ساعِفِي آمالَ أَنْضاءِ الْهَوَى ... بِقَبُولٍ مِن سجاياكِ رُخاءِ[٥]

وَتَجَلَّيْ وَاجْعَلِي قَوْمَ الْهَوَى ... تحتَ عَرْشِ الشَّمْسِ فِي الْحُكْمِ سَواءِ[٦]

أَقْبِلِي نَسْتَقْبِلِ الدُّنْيا وَما ... ضَمِنَتْه مِن مُعَدَّاتِ الْهَناءِ

وَاسْفِرِي ، تلكَ حُلِيٌّ ما خُلِقَتْ ... لِتُوارَى بِلِثامٍ أَوْ خِباءِ[٧]

وَاخْطِرِي بين النَّدامَى يَحْلِفُوا ... أَنَّ رَوْضًا راحَ في النَّادِي وَجاءِ[٨]

---

(١) تذودى : تمنعى . والورد : مستقى الماء :

(٢) اليمّ : البحر . ويزجيها : يدفعها ويسوقها .

(٣) بها ، أى بسفن الآمال .

(٤) تقتفيها : تتبعها .

(٥) أنضاء الهوى ، أى من أضناهم الحب وأسقمهم وأنحل جسومهم ، جمع نضو بكسر النون . والقبول : ريح الصبا ، وهى من ألطف الرياح . والرخاء : الريح اللينة التى لاتحرك شيئاً . شبه بها شمائل حبيبته وسجاياها فى رقتها ولطفها .

(٦) تجلى ، أى اسفرى واظهرى . ويشير بتشبيه حبيبته بالشمس فى هذا البيت إلى أنه ينبغى لها أن تشبه الشمس أيضاً فى شمول ضوئها .

(٧) اسفرى ، أى ارفعى لثامك . والحلى : جمع حلية .

(٨) الندامى : جمع نديم .

وَأُنطِقِي يَنْثِرْ إذَا حَـــدَّثْتِنَا ... نَاثِرُ الدُّرِّ علينَا ما نَشَـــاء

وَٱبْسِمِي ، مَن كان هٰذا ثَغْرُهُ ... يَمْـلَإِ الدُّنْيا ٱبتساما وَٱزْدهاء[1]

لا تَخافِي شَطَطًا مِنْ أَنفُسٍ ... تَعْثُرُ الصَّـــبْوَةُ فيها بالحياء[2]

رَاضَتِ النَّخْوَةُ مِنْ أَخْلَاقِنَا ... وٱرْتَضَى آدابَنَا صِدْقُ الوَلاء[3]

فلَو ٱمتَـــــدَّتْ أَمانِينا إلَى ... مَلَكٍ ما كَدَّرَتْ ذَاكَ الصَّفَاء[4]

أَنتِ رُوحانِيَّـةٌ ، لا تَدَّعِي ... أَنَّ هٰذا الحُسْنَ مِنْ طِينٍ وَماء[5]

وَٱنزِعِي عَنْ جِسْمِكِ الثَّوْبَ يَبِنْ ... لِلْمَلَا تَكْوِينُ سُكَّانِ السَّماء

وَأَرِي الدُّنْيَا جَنَاحَيْ مَلَكٍ ... خَلْفَ تِمْثَالٍ مَصُوغٍ مِنْ ضِيَاء

---

(١) الازدهاء : الاختيال .

(٢) الشطط : مجاوزة الحدّ . يقول : لا تخافى الجموح من نفوس الجلساء وخروجها عن الأدب فى التمتع بجمالك ، فانها نفوس مهذّبة يحول الحياء بينها وبين ما لا ينبغى . ولا يخفى ما فى قوله «تعثر الصبوة» الخ من خيال حسن ، إذ قد تخيل أن الصبوة قد جمحت بنفوس المحبين بطلب ما لا ينبغى حتى عثرت بالحياء فوقفت مكانها .

(٣) راضت ، أى سهّلت وذلّلت . والنخوة : المروءة : والولاء : المحبة .

(٤) يقول : إن أمانيّـنا فى التمتع بالحسن أمانىّ مهذّبة ، فلو تمنّينا ملكا من الملائكة ما أخرجناه بهذه الأمانىّ الطاهرة عن طبيعته الصافية .

(٥) يصفها فى هذا البيت بأنها من الملائكة لا من الإنس .

العناق

نشرت سنة ١٩٠٦ م

وَلمّا الْتَقَيْنا قرّبَ الشَّوْقُ جُهْدَهُ ... شَجِيَّيْنِ فَاضَا لَوْعَةً وَعِتابَا[١]

كَأَنَّ حَبِيباً فِي خِلَالِ حَبِيبِهِ ... تَسرَّبَ أَثْناءَ الْعِنَاقِ وَغَابَا[٢]

إلى حسناء

وجدت هذه الأبيات مكتوبة بخطه على غلاف كتاب مطبوع

فى سنة ١٩٠٧ م

يا فَتَاةَ الحَيِّ قد أَذْكَرْتِنَا ... نَضْرَةَ الرَّوْضِ وَمَيْلَ الغُصُنِ[٣]

أَيُّ لَحْنٍ تَرْجَمَتْ تِلْكَ الخُطا ... عنه لِلعَيْنِ هَناء الأُذُنِ[٤]

عارِضِي البَدْرَ إذا لم يَعْتَرِفْ ... لكِ بِالْحُسْنِ بوَجْهٍ حَسَنِ

---

(١) الشجىّ : الحزين ، من الشجا بالألف المقصورة .

(٢) يشبّه تلازمهما فى العناق وشدة اتصالها باتّحاد الجسمين .

(٣) نضرة الروض : بهجته .

(٤) يصفها فى هذا البيت بحسن المشية . يقول : إن خطاها فى جمال وقعها ورقّة جَرْسها تترجم للعين عن لحن بديع تهنأ بسماعه الأذن أيّما هناء .

وقال

نشر بعضها فى سنة ١٩٠٨ م و بعضها فى سنة ١٩١٣ م

تُمْسِي تُذَكِّرُنَا الشَّبَابَ وَعَهْدَهُ ... حَسْنَاءُ مُرْهَفَةُ القَوَامِ فنَذْكُرُ (١)

هَيْفَاءُ أَسْكَرَهَا الْجَمَالُ وَبَعْضُمَا ... أَوْفَى عَلَى قَدْرِ الْكِفَايَةِ يُسْكِرُ (٢)

تَثِبُ الْقُلوبُ إلى الرءوسِ إذا بَدَتْ ... وَتُطِلُّ مِنْ حَدَقِ الْعُيُونِ وتَنْظُرُ (٣)

وتَبِيتُ تَكْفُرُ بالنُّحُورِ قَلاَئِدٌ ... فإِذَا دَنَتْ مِنْ نَحْرِها تَسْتَغْفِرُ (٤)

وتَزِيدُ فى فَمِهَا اللآلِئُ قِيمةً ... حتّى يَسُودَ كَبِيرَهُنَّ الأصْغَرُ (٥)

---

(١) مرهفة القوام ، أى دقيقته .

(٢) الهيفاء : الرقيقة الخصر ، الضامرة البطن ، من الهيف بالتحريك .
وأوفى على قدر الكفاية ، أى زاد على الحاجة . يقول : إن حسنها زاد على ما يطلب من ذوات الحسن فأسكرتها هذه الزيادة .

(٣) يقول : إن القلوب تترك مواضعها فى الصدر شوقا إليها فتثب إلى عيون الناظرين وتنظر حسنها ، وهو كناية عن شدة الرغبة فيها .

(٤) يقول : إن القلائد تكفر بنحور الحسان ولا تؤمن لها بحسن إذا تقلدتها ، فاذا تقلدتها حبيبته آمنت بحسن نحرها وسألت المغفرة . يشير إلى تفضيل نحر حبيبته على نحور غيرها من الحسان .

(٥) شبه ثغرها فى بياضه وصفائه وحسن نظمه باللآلئ الصغار ، فيقول : إن هذه اللآلئ الصغار من ثناياها تفضل اللآلئ الكبار ، وما ذلك إلا لأن اللؤلؤ يزيد فى فمها قيمة على قيمته .

ساعة الوداع

نشرت فى ســـنة ١٩٠٩ م

أتَزَوَّدْتَ مِن ضِـياء البُدُورِ ... لِلَيالٍ كَثيفَةِ الدَّيْجُورِ ؟[١]

أمَلأْتَ العَيْنَيْنِ مِن قَبْلِ أَنْ يَدْ ... همكَ البَيْنُ مِن بَهاءٍ وَنُورِ ؟

صَفِرَتْ رَاحَتَاكَ إلّا مِن الذِّكْ ... رَى ، وذِكْرَى ما مَرَّ زَادُ الفَقِيرِ[٢]

أتُرَى أنتَ خاذِلِى ساعَةَ التوْ ... دِيع يا قَلْبُ فى غَدٍ أم نَصِيرِى ؟[٣]

وَيْكَ ، قُلْ لى مَتى أَرَاكَ بِجَنْبِي ... راضِـياً عن مكانِكَ المَهْجُورِ[٤]

لَسْتَ بَعْضَ الحُداةِ بل أنت بَعْضِى ... قِفْ قَلِيـلًا فلستَ بالمأجُورِ[٥]

---

(١) كثيفة الديجور ، أى شديدة الظلمة . ويريد ظلمة الحزن التى تغشاه فى ليالى الفراق .

(٢) صفرت : خلت . يريد أنه لم يبق لديه من أوقات السرور إلا تذكرها والذكرى زاد من لا زاد له .

(٣) يسائل قلبه هل سينصره بالصبر على مرارة الفراق ، أو سيخذله بالجزع والتفجع .

(٤) ويك ، أى ويلك . يسائل فى هذا البيت قلبه متى يسلو أحبابه المفارقين فيرضى عن مكانه الموحش من أنسهم .

(٥) يخاطب قلبه وهو يتبع الراحلين ويسير وراء الظاعنين فيقول : قف أيها القلب فلست من حداة هذه الظعائن تسير معها حيث سارت ، بل أنت منى فكن معى فلست فى اتباعك إياهم بمأجور على حداء رواحلهم .

سَاعةَ البَيْنِ ، قِطْعَةٌ أنتِ قُدَّتْ ... لِلْمُحِبِّينَ مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ[1]

لاتَحِينِي ، رُوحِي الفِدَاءُ لِماحِيـ ... ـكِ غَداً مِن صَحِيفَةِ المَقْـدُورِ[2]

وقال

نشرت فى سنة ١٩٠٩ م

ياراحةَ القَلْبِ، يا شُغْلَ الفُؤادِ،صِلِي ... مُتَيَّماً أَنْتِ فى الحالَيْنِ دُنْيَـاهُ[3]

زِينِى النَّدِىَّ وَسِيلِى فى جوَانِبِهِ ... لُطْفًا يَعُمُّ رَعَايَا اللُّطْفِ رَيّاهُ[4]

رَيْحَانَةٌ أنتِ فى صَحْراءَ مُجْدِبَةٍ ... مِنَ الرَّيَاحِينِ حَيَّانَا بِها اللهُ

إنْغابَ ساقِى الطِّلاَ أوصَدَّ لاحَرَجٌ ... هــذا جَمالُكِ يُغْنِينا مُحَيَّاهُ[5]

---

(١) قدّت : شقّت .

(٢) لا تحين : كلمة يراد بها معنى فوات الوقت . يقول : إن ساعة الفراق واقعة لا محالة ، وقد فات الوقت الذى يطلب فيه محوها من صحيفة القدر .

(٣) يريد بالحالين : حالىْ وصلها وصدّها .

(٤) الندىّ : المجلس يجتمع فيه القوم . ورعايا اللطف ، أى محبّوه الخاضعون له . والريّا : الرائحة الطيبة . وقد شبه حبيبته فى هذا البيت بالمـاء فى رقته وصفائه ولطفه .

(٥) يقول : إن فى جمالها غنًى عن الطِّلا ، وهو الخمر .

معارضة لقصيدة القيروانى[١]

التى أولها : « ياليل الصبّ متى غده أقيام الساعة موعده »

نشرت سنة ١٩١٠ م ، وقد عارض هذه القصيدة أيضا من شعراء العصر المرحوم أحمد شوقى بك وولىّ الدين يكن بك والأمير نسيب أرسلان

أَقَرِيبٌ مِنْ دَنِفٍ غَدُهُ فاللَّيْلُ تَمَرَّدَ أَسْوَدُهُ[٢]

والْتَفَّتْ تحت عَجاجَتِهِ بِيضٌ فى الحىِّ تُؤَيِّدُهُ[٣]

حَرْبٌ عنـدِى لمُسَعِّرِها شَـوْقٌ ما زِلْتُ أُرَدِّدُهُ[٤]

هل مِن راقٍ لصَرِيعِ هَوًى هل مِنْ آسٍ يَتَعَهَّدُهُ[٥]

---

(١) هو العلامة الأديب أبو الحسن على بن عبد الغنى الفهرىّ المقرىء الضرير الحصرىّ القيروانىّ الشاعر المشهور ، وفد على جزيرة الأندلس فى منتصف المائة الخامسة ، وتوفى بطنجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

(٢) الدنف : الذى لازمه المرض وثقل عليه حتى شارف الموت . وهو فى هذا البيت يستطيل الليل ويستبطىء طلوع الصباح ، فهو يتساءل عن غده أقريب هو أم بعيد ؟ .

(٣) العجاجة : الغبار ؛ شبّه بها ظلمة الليل . ويريد بقوله : « بيض فى الحى » : الغوانى الحسان ، يقول : إن هؤلاء الحسان يؤيدن الليل أى ينصرنه عليه ويساعدنه على التبريح به بالصد والهجر .

(٤) مسعرها : موقدها . يقول : إن شوقه زائد إلى من أوقد فى صدره حرب الغرام .

(٥) الراق : المعوّذ بالرُّقية من الأسقام .

حَتَّامَ يُسَاوِرُهُ كَمَدٌ ... يُبْلِى الأحشاء تَجَدُّدُهُ[١]

والآمَ يُصَارِعُه أَلَمٌ ... إنْ هَمَّ يُقيمُ ويُقْعِدُهُ

فى القَصْرِ غَزَالٌ تُكْبِرُهُ ... غِزْلانُ الرَّمْلِ وتَحْسُدُهُ

صَفِرَتْ كَفِّى منه ومضى ... وقد امتلأتْ مِنِّى يَدُهُ[٢]

كم صُغْتُ التِّبْرَ له شَرَكاً ... وقَضَيْتُ اللَّيْلَ أُنَضِّدُهُ[٣]

وأُشَاوِرُ شَوْقِى بل أدبى ... هل أَقْصِرُ أَمْ أتَصَيَّدُهُ

مَوْلاىَ أُعِيذُكَ مِن ضَرَمٍ ... لا يَرْحَمُ قَلْباً مُوقِدُهُ[٤]

أَدْرِكْ — بحياتِكَ — مِن رَمَقٍ ... ما باتَ هَوَاكَ يُهَدِّدُهُ

قد بانَ الحُبُّ لِذِى عَيْنَيْـ ... ـنِ وهٰذا الشَّوْقُ يُؤَكِّدُهُ

شَوْقِى ، جَوِّدْ فى الشِّعْرِ وَقُلْ ... آمَنْتُ بأَنَّكَ أَوْحَدُهُ[٥]

---

(١) يساوره : ينتابه ويواثبه .

(٢) يقول : قد عجزت عن اصطياد هذا الغزال فخلت كفّى منه ، ولم يعجز هو عن أسرى فامتلأت يده منى .

(٣) أنضده : أنظمه . ويريد شعره .

(٤) ضرم النار : لهبها . يتمنى لحبيبه الوقاية من نار غرامه .

(٥) يريد أحمد شوقى بك ، وهو ممن عارضوا قصيدة القيروانى كما سبق .

يخاطب فؤاده

نشرت سنة ١٩١١ م ولحّن فيها بعض المغنّين

أَقْصِرْ فُؤَادِى فَمَا الذِّكْرَى بِنَافِعَةٍ ... ولا بِشَافِعَةٍ فِى رَدِّ مَا كَانَا

سَلَا الْفُؤَادُ الّذِى شَاطَرْتَهُ زَمَنًا ... حَمْلَ الصَّبَابَةِ فَاخْفِقْ وَحْدَكَ الآنَا (١)

مَا كَانَ ضَرَّكَ إِذْ عُلِّقْتَ شَمْسَ ضُحًى ... لو ادَّكَرْتَ ضَحَايَا الْعِشْقِ أَحْيَانَا (٢)

هَلَّا أَخَذْتَ لِهٰذَا الْيَوْمِ أُهْبَتَهُ ... مِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْبِحَ الأَشْوَاقُ أَشْجَانَا (٣)

لَهْفِى عَلَيْكَ قَضَيْتَ الْعُمْرَ مُقْتَحِمًا ... فى الْوَصْلِ نَارًا وفى الهِجْرَانِ نِيرَانَا (٤)

---

(١) يريد بالفؤاد فى هذا البيت: فؤاد حبيبه . وشاطرته : قاسمته . واُخفق وحدك ، أى اخفق بالحب وحدك فلا مجيب لك .

(٢) عُلِّقت ، أى أحببت . وادّكرت ، أى تذكرت . يتمنى أن لو كان فؤاده قبل أن يعشق قد تذكر من أضرّ بهم العشق قبله فلا يُقدم عليه .

(٣) الأهبة : العدّة . والأشجان : الأحزان . يقول: هلا استعددت أيها الفؤاد ليوم سلوّ الحبيب عنك قبل أن تبلغ الغاية فى حبه وتصير أشواقك إليه أحزانا وآلاما .

(٤) اقتحم الشىء : دخل فى وسطه .

كَبِدٌ مقروحة

نشرت سنة ١٩١٣ م وقد لحّن فيها بعض المغنّين أيضا

يا آسِيَ الحَيِّ هَلْ فَتَّشْتَ فى كَبِدِى ... وَهَلْ تَبَيَّنْتَ داءً فى زَوَاياهَا ؟[1]

أَوَّاهُ مِنْ حُرَقٍ أَوْدَتْ بأَكْثَرِهَا ... ولم تَزَلْ تَتَمَشَّى فى بَقَاياها

يا شَوْقُ رِفقا بأَضلاعٍ عَصَفْتَ بها ... فالقَلْبُ يَخْفِقُ ذُعْرًا فى حَنَاياها[2]

ثغــــر[3] الحبيب

نُشر هذان البيتان سنة ١٩١٣ م

يا مَوْرِدًا كنتُ أُغْنَى مَا أَكُونُ بهِ ... عن كلِّ صَافٍ إذا ما باتَ يُرْوِينى

عندى لمائكَ والأَقْدَاحُ طَوْعُ يَدِى ... مَلْأَى مِنَ الماء شَوْقٌ كادَ يُرْدِينِى[4]

---

(١) الآسى : الطبيب .

(٢) الذعر: الخوف . وحنايا الضلوع : منعطفاتها، جمع حنية بتشديد الياء .

(٣) يلاحظ أنه جارى فى معنى هذين البيتين الشريف الرضىّ فى قوله :

أرى بعد وِرد المـاء فى القلب غُـلّة ... إليكِ على أنى من المـاء ناقع

(٤) يقول : إن شوق إلى ريقك العذب كاد يهلكنى على كثرة الماء لدىّ .

موعد لقاء

نشرت فى سنة ١٩١٣ م

خَبَّرُونى اليَوْمَ أَنِّى فى غَدِ . مالئٌ عَيْنِىَ منها ويَدِى[1]
كيف يَبْقَى مَن قَضَى اللّيلَ على . جُرُفٍ هارٍ إلى ذا المَوْعِدِ[2]
رَبِّ كُنْ عَوْنِى وأَخِّرْنى إلى . أنْ أَرَى شمسَ الضّحَى مِن عُوَّدِى[3]
يا أُساةَ الحىِّ لو أَجَّلْتُمُ . رأيَكُمْ فىَّ إلى يومِ غَدِ[4]
رُبَّ داءٍ لا يُرَجَّى بُرْؤُهُ . قد شَفَتْهُ زَوْرَةٌ مِنْ مُسْعِدِ[5]

---

(١) مالئٌ عينى ، أى بالنظر إليها . ويدى ، أي بالتسليم عليها .

(٢) الجرف الهارى : الجانب الذى أكله الماء من حاشية النهر كل ساعة يسقط بعض منه . وكنى بهذه العبارة عن تغليب الخوف على الرجاء وعدم الثقة . ويريد بالموعد : الغد السابق ذكره . يسأل سؤال المنكر كيف يبقى إلى هذا الموعد المنتظَر حيًّا من غلب خوفه من انقضاء الأجل على رجائه فى الحياة .

(٣) يسأل الله أن يؤخّر أجله حتى يرى حبيبته التى تشبه الشمس تعوده فى سقمه .

(٤) الأُساة : الأطبّاء ، الواحد آس . يرغب إلى أطبائه ألا يحكموا فيه بموت أو شفاء ، ويؤخروا هذا الحكم إلى غد اللّقاء .

(٥) المسعد : المعين .

إلى نزيل الفؤاد

نشرت فى سنة ١٩١٥ م وإن كان قد قالها قبل هذا التاريخ

لَمّا تبوّأ مِنْ فؤادِي منزلاً ... وغدا يُسلّطُ مُقلتيْهِ عَليْهِ[1]
ناديْتُه مُسْترْحِمًا مِنْ زَفْرَةٍ ... أَفْضَتْ بأسرار الضّمير إليه
رِفْقًا بمنزِلِك الّذِى تحْتلُّهُ ... يا مَن يُخرّبُ بيْتَه بيَدَيْهِ

وقال

يا ظَبْيةً مِنْ ظِباءِ الأُنْسِ راتعـةً ... بيْنَ القُصُورِ تعالَى اللهُ بارِيكِ[2]
هَلِ النَّعيمُ سِوَى يَوْمٍ أراكِ به ... أو ساعةٍ بِتُّ أقضِيها بنادِيكِ ؟
وهَلْ يَعُـدُّ علىّ العُمْرَ واهِبُه ... إنْ لم يُجمِّلْه نَظْمُ الدُّرِّ مِن فيكِ
إنْ قابلَتكِ الصَّبَا فى مِصرَ عاطِرَةً ... فأيْقِنِي أنّها عَـنِّى تُناجيكِ[3]
وأنّها حَمَلَتْ فِي طَيِّ بُرْدَتِها ... قلبًا بعَثتُ به كيْمَا يُحَيِّيكِ

---

(١) تبوّأ : سكن . وعليه ، أى على الفؤاد .
(٢) باريك ، أى بارئك ، من برأه ، أى خلقه .
(٣) الصّبا : ريح الشمال ، وهى من ألطف الرياح .

وكتب تحت بيتين قالتهما أديبة معروفة ، وهما :

فَدَيْتُكَ يا هَـــاجِرِى   فهَلْ تَرْتَضِى بالفِــــدَا
سَهِرْتُ عَلَيْكَ الدُّجَى   ونُحْتُ ولـكنْ سُدَى :

أهَاجِــرَتِى أطْفِئِى   لَوَاعِـــجَ لا تَنْتَهِى [1]
مَضَتْ فِى هوَاكِ السِّنُونْ   وَمَا نِلْتُ مَا أشْـتَهِى
إذا قِيلَ مَاتَ الأدِيبْ   بِفَاتِنَـةٍ ، أنْتِ هِى

فلما قرأت أبياته كتبت تحتها :

زَمَانُكَ قَبْلِى انْتَهَى   وَلَا يَرْجِـــعُ المنتَهِى [2]
فَحَسْبِىَ أنْ أزْدَهِى   وَحَسْـبُكَ أنْ تَشْتَهِى [3]

يشكو نواها ويدعوها إلى التواصل

أبُثُّـكِ مَابِى فإنْ تَرْحَمِى   رَحِمْتِ أخَا لَوْعَـةٍ مَاتَ حُبًّا [4]
وَأشْـكُو النَّوَى مَا أمَرَّ النَّوَى   عَلَى هَائِمٍ إنْ دعَا الشَّوْقُ لَبَّى

---

(١) لواعج الحب : ما أحرق الفؤاد منه .
(٢) تشير إلى مشيبه وصباها .
(٣) ازدهى : اختال بالحسن وأعجب .
(٤) أبثك ، أى أشكو إليك .

وَأَخْشَى عَلَيْكِ هُبُوبَ النَّسِيمِ وَإِنْ هُوَ مِنْ جَانِبِ الرَّوْضِ هَبَّا[١]

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ بُرْهَـــةٍ مِنَ الْعُمرِ لَمْ تَلْقَنِى فِيكِ صَبَّا

تَعَالَىْ نُجَـــدِّدْ زَمَانَ الهنَاءِ وَنَنْهَبْ لَيَالِيَهُ الْغُـــرَّ نَهْبَا[٢]

تَعَالَىْ أَذُقْ بِكِ طَعْمَ السَّلَامْ وَحَسْبِي وَحَسْبُكِ مَا كَانَ حَرْبَا[٣]

وكتب إلى الأميرة الكسندرة[٤]

بِاللهِ يَمِّمْ يَا نَسِيمَ الصَّبَا بِمِصْرَ عَنِّى دَارَ إِكْسَنْدَرَهْ[٥]

وَحَيِّهَا بَيْنَ الْمَهَا إِنْ بَدَتْ فِي سِرْبِهَا مُقْبِلَةً مُدْبِرَهْ[٦]

وَاذْكُرْ لَهَا مَا بَيْنَنَا عَلَّهَا يَاعَاطِرَ الأَنْفَاسِ أَنْ تَذْكُرَهْ

---

(١) يشير بهذا البيت إلى شدة غيرته عليها حتى من ألطف النسيم وأعطره .

(٢) الغُـرّ ، أى المضيئة المشرقة ، الواحدة غرّاء .

(٣) السلام : الأمن .

(٤) قد سبق التعريف بالأميرة الكسندرة فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٤٩ .

(٥) يَمِّم : اقصد .

(٦) المها : بقر الوحش ، الواحدة مهاة، وتشبه بها النساء فى سعة أعينها وشدة سوادها ، وكثر هذا التشبيه حتى غلب المها على النساء . والسرب : الجماعة من النساء .

تحيّـــة

أَميرةَ الغانياتِ أَهْــلاً   بوَجْهِــكِ الباهرِ المُنيرِ[1]
تيهى على صبِّكِ المُعَنَّى   تيـــهَ غَنِيٍّ على فقـيرِ[2]
وأرْمِى له بَعْضَ ما يُرَجِّى   فالحُبُّ أَرْضــاهُ باليَسيرِ

شَعرُ الحبيبة

أَرْسِلِى الشَّعْرَ خَلْفَ ظَهْرِكِ لَيْلاً   واُعْقِديهِ مِنْ فَوْقِ رَأْسِكِ تاجَا
أنتِ فى الحالتَيْنِ بَدْرٌ نَراهُ   صــادِعًا آيَـةَ الدُّجَى وَهّاجَا[3]

(١) الغانيات : اللواتى غنين بجمالهن عن الحلى والزينة ، الواحدة غانية .
(٢) التيه : التكبر .
(٣) يريد بالحالتين : إرسال شعرها وعقده فوق رأسها . « وصادعاً آية الدجى » ، أى يشق ظلمة الليل بنوره . ووهّاجا ، أى شديد الضوء . شبّه وجهها متألّقا فى ظلمة شعرها بالبدر فى ظلمة الليل .

مقرّ الغزال

كتب بها إلى أديبة معروفة إجابة لطلبها

يا مَقرَّ الغَزالِ قد صحّ عندى اِنْ ... يَوْمَ أنّى اقتَحَمْتُ مِنْكَ عَرِينَا (١)

رابَنى فيكَ ما أَرَى مِن عُيونٍ ... باتَ يُغْرِى بها السّوادُ عُيونَا (٢)

وضلوعٍ جاءَتْكَ وهِىَ خَوالٍ ... ثم عادَتْ مَلْآى هَوًى وشُجونا

ما الّذى يَبْتَغى غَــزَالُكَ مِنّى ... بعد كَوْنِى عَبْدًا له أنْ أكُونا

كلَّما قُلْتُ قد أَبَلَّ فؤادى ... ساوَرَتْه الذِّكْرَى فجُنَّ جُنُونا (٣)

حُشاشة الصبّ

إنّ الّذى أبْقَيْتَ فى مُهْجَتى ... يا مُتْلِفَ الصَّبِّ ولَمْ يَشْعُرِ

حُشاشَةٌ لو أنّهـــا قَطْرَةٌ ... تَجُولُ فى عَيْنَيْكَ لَمْ تُنْظَرِ (٤)

(١) العرين : مأوى الأسد ؛ شبّه به بيت حبيبته فى تحصينه بالرقباء والحرّاس والرهبة من اقتحامه .

(٢) يشير إلى أن عيون هذا الغزال قد أغرى سوادُها عيون العـاشقين بالتطلّع والنظر .

(٣) أبلّ المريض من مرضه : برئ منه . وساورته : انتابته .

(٤) الحشاشة : بقية الروح فى المريض . يشير إلى ضعفه من الحب وقلة ما بقى من الحياة فيه حتى لو أن هذه البقية قطرة فى عين حبيبه لم ينظرها أحد لضآلتها .

وقال

يا مَن أقامَ فؤادى إذْ تملّكهُ ... ما بين نارَيْن مِنْ شَوقٍ ومِن شَجَنِ[1]

تفْدِيكَ أعْيُنُ قومٍ حولَكَ ازدحمتْ ... عَطشى إلى نَهْلَةٍ مِنْ وَجْهِكَ الحَسَنِ[2]

وتَسْتَعِيذُ إذا ألْفَتْكَ مُبْتَسِماً ... عن لؤلؤٍ، بالنُّهَى حِرْزاً مِن الفِتَنِ[3]

جرَّدْتَ كلَّ مليحٍ مِنْ ملاحَتِه ... لم تَتَّقِ اللهَ فى ظَبْيٍ ولا غُصُنِ

فاسْتَبْقِ للبدْرِ بيْنَ الشُّهْبِ رُتْبَتَه ... تملِكْهُ فى أوْجِهِ عَبْدًا بلا ثَمَنِ[4]

الطَّيف

يا حاجبًا عن عُيُونى طَيْفَ صُورَتِهِ ... ابْعَثْهُ مُسْتَتِرًا فى لَيْلَةِ الأرَقِ[5]

ولا تَخَفْ مِنْ ضِيا صُبْحِ الجَبِينِ فقد ... عَرفتَ فَرْطَ سَوادِ الشَّعْرِ والحَدَقِ

---

(١) الشجن بالتحريك: الهم والحزن.

(٢) النهلة: الشربة الواحدة. شبّه المحاسن فى وجه حبيبه تزدحم حولها العيون المتطلعة إليها، بالمورد العذب تزدحم حوله الظماء طلبا للرىّ.

(٣) يقول: إن العاشقين يستعيذون بعقولهم الراجحة خوف الافتتان بمحاسن هذا المليح إذا رأوه مبتسما عن ثغره المنضّد.

(٤) الأوج: العلوّ.

(٥) الأرق: السهر.

السلوّ

سمعت بعض الرواة ينسب البيتين الأوّلين من هذه الأبيات الخمسة إلى صبرى ولم أتحقق ذلك ، أما الأبيات الثلاثة الأخيرة فقد سمعتها منه على أنها له ، وذكر لى أنها من أبيات طويلة نسيها ، وكان رحمه الله كثير النسيان

نَحِّ كأسَ الغَرَامِ إنِّى سُقِيتُ ... بِمُدَامِ السُّلُوِّ حَتَّى رَوِيتُ

لم يَزَلْ بِى ساقِى التَّسَلِّى يُسَاقِيـ ... ـنِى كُئُوسًا مِنْ بَعْدِهَا مَا ظَمِيتُ

أَيُّهَا التَّائِهُ المُدِلُّ عَلَيْنَا ... وَيْكَ، قُلْ لِى: مَنْ أَنْتَ إِنِّى نَسِيتُ(١)

لَوْ فَرَشْتَ الطَّرِيقَ دُرًّا لِأَخْطُو ... فَوْقَهُ نَحْوَ دارِكُمْ مَا رَضِيتُ

أَنَا أَغْنَى مِنْ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ ... وفلانٌ تَزَاوَرَا مَا حَيِيتُ

ذكرى وتشوّق

— ١ —

نشرت فى سنة ١٩٠٦ م

أَلَا مَنْ لِمَقْرُوحِ الْجَوَانِحِ سَاهِرِ ... تُسَاوِرُهُ الْآلَامُ جُهْدَ المُسَاوِرِ(٢)

---

(١) التائه : المتكبر ، من التيه بكسر التاء .

(٢) الجوانح : الأضلاع ، الواحدة جانحة . و « تساوره الآلام » الخ ، أى تواثبه وتغالبه بما فى وسعها من قوة .

يَحِنُّ إِلَى عَصْرٍ تَقَضَّى وَأُسْرَةٍ ... أَفاضَتْ عَلَيْهِ مِثْلَ عَرْفِ الأَزَاهِرِ (١)

وَتَمْنَحُهُ الذِّكرى — إذا شَفَّه الحِمَى ... وَأَهْلُ الحِمَى شَوْقًا — قَوَادِمَ طَائِرِ (٢)

أَلا أَيُّها السِّلْكُ الَّذِي مِنْهُ أَصْبَحَتْ ... تَمَشَّى عَلَى جِسْرٍ بَنَاتُ الْخَوَاطِرِ (٣)

رَعَى اللهُ عَصْرًا قد نَمَاكَ فإِنَّهُ ... أَفَادَ ذَوِي الحَاجَاتِ أَعْظَمَ نَاصِرِ (٤)

لأَنتَ غِيَاثُ المُسْتَغِيثِ مِنَ النَّوَى ... وَعَوْنُ سَخِيِّ الدَّمْعِ سَمْحِ المَحَاجِرِ (٥)

---

(١) عرف الأزاهر : رائحتها الطيبة . شبه به ما كان يلقى فى جوار أحبابه من صلة وحنان .

(٢) شفه الشوق ونحوه : أنحل جسمه وأوهنه . والقوادم : ريش مقدم الجناح ، الواحدة قادمة . يقول : إنه يتذكر الوطن والأهل فتسرع به الذكرى إلى القرب منهم وإن أبعده الفراق عنهم .

(٣) تمشى ، أى تتمشى . وبنات الخواطر : الأفكار . ويريد بالسلك : (التلغراف) .

(٤) نماك ، أى أوجدك وكشف عنك . يقال : نماه أب كريم ، يريدون معنى النسبة .

(٥) الغياث : المعين . والنوى : البعد . وسمح المحاجر ، أى كريم بدموعه . ومحجر العين : ما دار بها .

— ٢ —

إلى المرحوم أحمد شوقى بك

فى منفاه بالأندلس سنة ١٩١٧ م

وكان شوقى قد أرسل إلى المرحوم داود بركات رئيس تحرير جريدة الأهرام
ببيتين وطلب إليه عرضهما على الباشا ، وهما :

يا سارىَ البرق يَرْمِى عن جوانحنا ... بعد الهُدوء ويَهْمِى عن مآقينا[1]
تَرَقْرَقَ الماءُ فى عين السماء وما ... فاضَ الأَسَى نخضبنا الأَرضَ باكينا

فأجابه المرحوم صبرى باشا بهذه الأبيات :

يا وَامِضَ الْبَرْقِ كم نبَّهتَ مِنْ شَجَنٍ ... فى أَضْلُعٍ ذَهَلتْ عن دائها حينا[2]
فالماء فى مُقَلٍ ، والنَّارُ فى مُهَجٍ ... قَدْ حَارَ بَيْنَهُمَا أَمْرُ الْمُحِبِّينا
لولا تَذَكُّرُ أيَّامٍ لنا سَلَفتْ ... ما باتَ يَبْكِى دَمًا فى الحَىِّ باكينا
يا آل وُدِّى عُودُوا لاعَدِمتُكُمُ ... وَشَاهِدُوا وَيْحَكُمْ فِعْلَ النَّوَى فِينا[3]

---

(١) بعد الهدوء ، أى فى سكون الليل وهدوء السامرة ، ثم شبّه ما فى الجوانح من لهيب الشوق باشتعال البرق ، وتخيل أن البرق قد اقتبس اشتعاله من نار ضلوعه ، كما شبه ما يهمى به البرق من الغيث بفيض دموعه . والمآقى : مجارى الدموع .

(٢) وامض البرق : لامعه . والشجن : الحزن والهمّ . يخاطب البرق بأنه هاج الحزن الكمين ، وأثار فى الضلوع داءها الدفين .

(٣) النوى : البعد .

يا نَسْمَةً ضَمَّخت أَذْيالَها سَحَرًا   أَزْهارُ أَنْدلُسٍ ، هُبِّي بِوادِينا[1]

— ٣ —

إلى الآنسة ميّ زيادة الكاتبة المعروفة

كتب هذين البيتين إليها وقد أُضطر بسبب بعض أسفاره إلى التخلف عن زيارتها فى أحد أيام الثلاثاء — وكانت قد خصصت هذا اليوم من كل أسبوع لاستقبال زوّارها — فوصلها البيتان فى موعد الزيارة ، وكان قد بعث بهما فى يوم الأثنين

رُوحِي عَلَى دُورِ بَعْضِ الْحَيِّ حائِمَةٌ   كَظَامِئِ الطَّيْرِ تَوَّاقًا إِلَى الماءِ[2]

إِنْ لم أُمَتَّعْ بِمَيٍّ ناظِرَىَّ غَدًا   أَنْكَرْتُ صُبْحَكَ يا يَوْمَ الثُّلاثاء

— ٤ —

إلى سَرحة

قال هذه الأبيات يخاطب بها شجرة فى منازل أحبابه ويتمنّى جوارها

يا سَرْحَةً بِجِوَارِ الماءِ ناضِرَةً   سَقَاكِ دمْعِي إذا لم يُوفِ سَاقِيكِ[3]

---

(١) ضمّخت أذيالها ، أى طيّبتها وعطّرتها . يقول : أيتها النسمة المتأرجة بأريج زهر الأندلس هبى علينا بمصر لنذكر بك أحبابنا فى تلك الديار النائية .

(٢) حام الطير على المـاء : دار حوله . وتوّاقا ، أى متشوقا .

(٣) السرحة : الشجرة العظيمة . ويوف ساقيك ، أى يؤدى إليك حقّك من المـاء .

عارٌ عَلَيْكِ ـ وَهٰذَا الظِّلُّ مُنْتَشِرٌ ـ فَتْكُ الْهَجِيرِ بِمِثْلِي فِي نَوَاحِيكِ[١]

فَمَنْ مُعِيرِي جَنَاحَيْ طَائِرٍ غَرِدٍ كَيْ أَقْطَعَ الْعُمْرَ شَدْوًا فِي أَعَالِيكِ[٢]

فلا أنفرَّ عن أرضٍ غُرِسْتِ بها ولا يَرِنُّ بِصَوْتِي غَيْرُ وَادِيكِ

---

(١) الهجير : شدة الحر .

(٢) الشدو : الغناء .

الوصف

النيـــل

مَا أَعْجَبَ النِّيلَ مَا أَبْهَى شَمَائِلَهُ ... فِي ضَفَّتَيْهِ مِنَ الأَشْجَارِ أَدْوَاحُ[1]

مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ فَيَّاضٌ عَلَى تَرَعٍ ... تَهُبُّ فِيهَا هُبُوبَ الرِّيحِ أَرْوَاحُ[2]

لَيْسَتْ زِيَادَتُهُ مَاءً كَمَا زَعَمُوا ... وَإِنَّمَا هِيَ أَرْزَاقٌ وَأَرْبَاحُ

البرق والسحاب

وفيها يحن إلى عصر الشباب

وجدت هذه القصيدة ضمن أوراقه مكتوبة بخطّه

أَبَرْقٌ يُتَوِّجُ هَامَ الرُّبَا ... وَإِلَّا فَهَاتِيكَ نَارُ الْقِرَى[3]

---

(١) الأدواح : الأشجار الكبيرة المتسعة الظل ، الواحدة دوحة .

(٢) يريد بالأرواح هنا : الروائح العطرة ، أى تهب بها تلك الروائح الطيبة مختلطة بهبوب النسيم .

(٣) الهام : جمع هامة ، وهى الرأس . والربا : المرتفعات ، الواحدة ربوة . ونار القرى ، هى التى توقد ليهتدى بها طارق الليل فيأوى إلى من يقريه ويطممه . شبه البرق بها .

كَأَنَّ سَنَاهُ عُيُونٌ مِرَاضٌ ... يُحَاوِلْنَ تَحْقِيقَ شَمْسِ الضُّحَى (١)

وَإِلَّا فَتِلْكَ مَصَابِيحُ قَبْلَ أَنْ ... طِفَاءٍ يَثُرْنَ لِصَدْعِ الدُّجَى (٢)

وَإِلَّا فَتِلْكَ سُيُوفٌ تَمِيلُ ... بِأَيْدِي كُمَاةٍ عَرَاهَا الْوَنَى (٣)

وَإِلَّا مَوَاطِئُ خَيْلٍ عَلَى ... صُخُورٍ تَطَايَرَ مِنْهَا اللَّظَى (٤)

وما مِنْ صُخُورٍ تَرَاهَا الْعُيُون ... سِوَى غَادِيَاتٍ تَؤُمُّ الفَلَا (٥)

تَكَادُ تَطِيرُ اشْتِيَاقًا لَهَا ... إِذَا أَشْرَفَتْ ظَامِئَاتُ الرُّبَا (٦)

---

(١) السنا : النور . شبه وميض البرق فى وضوحه مرة وخفائه أخرى وقوته حيناً وضعفه حيناً بهذه الأشياء التى تراها فى هذا البيت والأبيات التى بعده .

(٢) صدع الدجى ، أى تفريق الظلام . وقد شبه البرق فى هذا البيت حين يقوى سناه ثم يخبو سريعاً بمصابيح الزيت حين تقوى قوة غير منتظرة ثم لا تلبث أن تخمد .

(٣) الكماة : الشجعان ، الواحد كمىّ . وعراها : أصابها . والهاء فى « عراها » تعود على الكماة . والونى : الفتور .

(٤) اللظى : لهب النار .

(٥) الغاديات : السحب التى تسير فى الغداة . وتؤم : تقصد . شبّه السحب سائرة إلى الفلوات بالصخور فى عظمها ، وتخيّل أن نور البرق الذى يلمع من بينها إنما هو شرر تطاير من سنابك خيل تعدو على هذه الصخور .

(٦) أشرفت : علت . والضمير فى «لها» و «أشرفت» يعود على الغاديات .

كأنَّ الثرى رامَ تقبيلَها ... فمدَّ إليها رءوسَ الرُّبَى [1]

إذا هي مرَّت بوادٍ محيـلٍ ... وجرَّت عليه ذيولَ الحيا [2]

كسَتْهُ مطارفَ من سُنْدُسٍ ... وأنسَتْ جوانِبَهُ ما الظمَا [3]

* * *

سقى ريَّها العذبُ عهدَ الشبابْ ... فقد كانَ روضًا شهيَّ الجنَى [4]

إذِ العيشُ كالغصنِ في لينِهِ ... يميـلُ بعبءِ ثمارِ المُنَى [5]

أقلبيَ كمْ ذا توالِي الحنينَ ... وكم ذا يشوقُكَ عصرُ الصِّبا

رُوَيدَكَ إني رأيتُ القلوبَ ... تفطَّرُ منْ ذا ومنْ بعضِ ذا

صحبتَ الأسى بعدَ ذاكَ الزمانْ ... كأنَّكَ مستعذِبٌ للأَسى [6]

---

(١) الربى بالمعجمة ، هي المرتفعات ، الواحدة ربية . يقول : إن تراب الأرض أراد تقبيل هذه السحب شوقاً إليها وتخيل أنه مد إليها رءوس الروابي تحية لها كما يمد المرء عنقه إذا أقبل عليه من يشتاق إليه .

(٢) المحيل : المجدب . والحيا : المطر .

(٣) المطارف : الأكسية ، الواحد مطرف بكسر الميم وضمها وفتح الراء وسكون ما بينهما ؛ شبه بها النبات في اختلاف ألوانه .

(٤) ريّها ، أي ماؤها . والجنى : ما يجنى من الشجر ما دام غضا .

(٥) شبه العيش في عهد الشباب في مواتاته وامتلائه بالأماني بالغصن النضر النضير الذي يميل مع الريح هنا وهنا مثقلا بالشهيّ من الثمار .

(٦) الأسى : الحزن .

اجتماعيات

يخاطب الدواة

نشرت فى سنة ١٩٠٠ م

يَا دَوَاةُ اُجعَلِي مِدَادَكِ وِرْدًا … لِوُفُودِ الأَقْلَامِ حِينًا فَحِينَا[١]

وَلْيَكُنْ كَالزَّمَانِ حَالاً فَحَالاً … تَارَةً آسِنًا وَأُخْرَى مَعِينَا[٢]

أَكْرِمِي الْعِلْمَ وَاُمْنَحِي خَادِمِيهِ … مَاءَكِ الغَالِيَ النَّفِيسَ الثَّمِينَا

وَاُبْذُلِي الصَّافِيَ المُطَهَّرَ مِنْهُ … لِهُدَاةِ السَّرَائِرِ المُرْشِدِينَا[٣]

وَإِذَا الظُّلْمُ وَالظَّلَامُ اُسْتَعَانَا … يَوْمَ نَحْسٍ بِأَجْهَلِ الْجَاهِلِينَا

وَاُسْتَمَدَّا مِنَ الشُّرُورِ مِدَادًا … فَاُجعَلِيهِ مِنْ قِسْمَةِ الظَّالِمِينَا

وَاُقْذِفِي النُّقْطَةَ الَّتِي بَاتَ فِيهَا … غَضَبُ القَاهِرِ المُذِلِّ كَمِينَا

---

(١) الوِرْد : مورد الشاربة .

(٢) الآسن من الماء : المتغير . والمعين منه : ما نبع من عين . يقول : ليكن مدادك كالزمان فى تغيّره وتقلبه من كدر إلى صفاء . وسيشير إلى ذلك فى الأبيات الآتية .

(٣) السرائر : النيّات ، الواحدة سريرة .

لِيرَاعِ أمْرِىءٍ إذَا خَطَّ سَطْرًا نَبَـذَ الْحَقَّ وَارْتَضَى الْمَيْنَ دِينَا [١]

وإذا كانَ فيكِ نُقْطَةُ سُوءٍ كُوِّنَتْ مِنْ خَبَاثةٍ تَـكْوِينَا

فاجْعَلِيهَا قِسْطَ الذين اسْتَبَاحُوا فى السِّيَاسَاتِ حُرْمَةَ الأَضْعَفِينا [٢]

وإذا خِفْتِ أنْ يكُونَ مِنَ اللَّفْـ ظِ جَلَامِيدُ تَرْجُمُ السَّامِعِينا

فَانْخَلِي بِالمِدَادِ بُخْلًا وَإنْ أُعْـ طِيتِ فيه المِئِينَ ثُمَّ المِئِينا [٣]

فإذَا أعْوَزَ المِـــــدَادُ طَبِيبًا يَصِفُ الدَّاءَ دَائِبًا مُسْتَعِينا [٤]

فَامْنَحِيــه المِدَادَ مَنًّا وَعُرْفًا وَاسْتَطِيبِى مَعُونَةَ الْمُحْسِنِينَا [٥]

وَإذَا مُهْجَةُ الْحَمَائِمِ أَسْدَتْ نُقْطَةً سِرَّهَا الزَّكِىَّ المَصُونا [٦]

---

(١) اليراع : القلم . والمين : الـكذب ، يرغب إلى الدواة أن تقذف بمداد القهر والمذلة إلى أقلام الـكتاب الـكاذبين الذين يخفون الحق ويرتضون الـكذب طريقة لهم فيما يكتبون .

(٢) القسط : النصيب . ويشير بقوله : « الذين استباحوا فى السياسات » الخ إلى أشياع الاستعمار الذين يستبيحون بقوتهم حقوق الأمم الضعيفة .

(٣) يطلب إلى الدواة أن تبخل بالمداد على كتاب القـذف والطعن الذين يرجون الأسماع بمطاعنهم مهما أعطيت فى هذا المداد من الثمن .

(٤) دائباً ، أى مواظباً مجتهدا .

(٥) العرف : المعروف .

(٦) أسدت : أعطت . ويريد بالنقطة : نقطة المداد . والمعروف فى كتب اللغة أنه يقال : « أسدى إليه كذا » لا « أسداه كذا » ، كما استعمله الشاعر هنا من تعدية أسدى إلى مفعولين بنفسه . والزكى : الطاهر . تخيل الشاعر أن الحمائم =

فاجعليها عَلَى المَوَدَّاتِ وَقفا وَهَبِيهَا رَسَـائِلَ الشَّيِّقِينَا[١]

فإذَا لَمْ يكُنْ بِقَلْبِك إلَّا مَا أَعَدَّ الإِخْلَاصُ لِلْمُخْلِصِينا

فاجعَليه خَطِّى لِأَكْتُبَ منه شَرْحَ حَالِى لِسَيِّدِ المُرْسَلِينَا

فى معنى كلمة للأستاذ الامام الشيخ محمد عبده

وهى : لا تتم نكاية الأعداء إلا بخيانة الأصدقاء

نشرا فى سنة ١٩٠٠ م

لَا تَكِلْنِى إلَى الْحَوَادِثِ وَانْهَضْ بِالَّذِى يَقْتَضِى الإِخاءِ القَدِيمُ

إنَّ سَعْىَ العِـدَا — إذا لم يُلَقَّحْ بِتَغَابٍ منَ الصَّدِيقِ — عَقِيمُ[٢]

= قد أفضت بأسرار شوقها ومكنون غرامها إلى نقطة من المداد ، فهو يرغب إلى الدواة أن تجعل هذه النقطة وقفاً على الودّات الصافية يكتب بها المحبون رسائل الشوق بينهم . وخص الحائم لما فى تغريدها من تهييج الشوق وإثارة اللوعة .

(١) الشّيّقون : المشتاقون .

(٢) التلقيح فى النخيل ، هو وضع طلع ذكورها فى إناثها ، وهو هنا على سبيل الاستعارة . والتغابى : تصنع الغباوة . والعقيم : غير المثمر . يقول : إن سعى الأعداء فى الاساءة إلى من يعادونه غير مثمر إذا لم يقترن بتغافل الصديق وإغضائه عن مكرهم بصديقه ، فيتهاون فى الدفاع عنه وتنبيهه إلى ما يراد به .

الشباب والمشيب

استوحى هذه الأبيات من المثل الفرنسوى الذى ترجمته : « ليت الشباب يعرف وليت المشيب يقدر » يشير إلى ما فى الشباب من قوة ونشاط يصرفهما فى الغواية بغير عقل ، وما فى المشيب من عقل وتجربة لا يجد من القوة ما يعينه على الاستفادة منهما . نشرت فى ١٥ يوليه سنة ١٩٠٠ م

لَمْ يَدْرِ طَعْمَ الْعَيْشِ شُبَّـانٌ ولم يُدْرِكْهُ شِيبُ

جَهْـلٌ يُضِلُّ قُوَى الفَتَى فَتَطِيشُ وَالمَرْمَى قَرِيبُ (١)

وَقُـوًى تَخُورُ إذا تَشَبَّثَ بالقُوَى الشَّيْخُ الأَرِيبُ (٢)

بَيْنَا يُقَالُ كَبَا المُغَـفَّلُ إِذْ يُقَالُ خَبَا اللَّبِيبُ (٣)

أَوَّاهُ لَوْ عَـلِمَ الشَّبَا بُ وَآهِ لَوْ قَدَرَ المَشِيبُ

---

(١) طاش السهم : أخطأ المرمى .

(٢) يخور : يضعف . وتشبث بالقوى : تعلق بها . والأريب : العاقل .

(٣) كبا : عثر . ويشير بالمغفل : إلى الشاب . وخبا : انطفأ وخمد . ويشير باللبيب إلى الشيخ .

الحلم والأناة

سنة ١٩٠٩ م

إذا مَا دَعَا دَاعٍ إلى الشَّرِّ مَرَّةً · وَهزَّتْ رِيَاحُ الْحَادثاتِ قَنَاتِى[١]

رَكِبْتُ إِلَيْهِ الْحِلْمَ خَيْرَ مَطِيَّةٍ · وسِرْتُ إليه مِنْ طَرِيقِ أَنَاتِى[٢]

الثعلب والغراب

ترجمها عن لافنتين الشاعر الفرنسوى المعروف

نشرت فى ١٧ يناير سنة ١٩١٠ م

أَبْصَرَ الثَّعْلَبُ الْغُرَابَ عَلَى غُصْـ · ـنٍ نَضِيرٍ فِى رَوْضَـــةٍ غَنَّاءِ[٣]

وَرَأَى قِطْعَةً بِفِيـــهِ مِنَ الْجُبْـ · ـنَةِ تُزْرِى بِالفِضَّـةِ الْبَيْضَاءِ

خَيْرَ مَا تَنْتَقِى وَأَطْيَبُ ما تَخْـ · ـطفُ مِنْ مأْكَلٍ لُصُوصُ الْهَوَاءِ[٤]

(١) القناة : الرمح .

(٢) الأناة : التأنى .

(٣) الغنّاء من الرياض : الكثيرة الأشجار ، سميت بذلك لحفيف الريح فى وسطها ، وهو من الغنة : صوت من اللهاة والأنف يشبّهون حفيف الأشجار به .

(٤) يريد بلصوص الهواء : الغربان ونحوها .

فَاشْتَهَاهَا ، وقال : إنْلم تَـكُنْ لِى ... أَنْـكَرَتْنِى ثَعالِبُ الْغَــبْرَاء[١]

إِرْفَعِينِي يَا قُوَّةَ الْمَكْرِ إِنْ لَمْ ... تُنْزِلِى الْجُبْنَةَ الَّتِى فِى السَّماء

ثُمَّ أَنْشَا يُثْنِى وَيَنْصِبُ أَشْرَا ... كًا وَشَرُّ الأَشْرَاكِ بَعْضُ الثَّنَاء[٢]

قائلا : يا أَمِيرُ عِمْ كُلَّ صُبْحٍ ... صابِحًا ، صادِحًا ، وكُلَّ مَسَاء[٣]

هَاتِ ، زِدْنَا عِلْمًا بِقَدْرِكَ يامَوْ ... لَاىَ مَنْ أَنْتَ مِنْ بَنِى الْعَنْقَاء[٤]

أَغُــرَابٌ ؟ تبـارَكَ اللهُ ! آمَنَّا بِفَضْلِ الْغِرْبانِ أَهْلِ الْعَــلاء

أَلْقِ دَرْسًا عَلَى الْبَـلَابِلِ غِلْمَا ... نِكَ فِى الفَنِّ يا أَبا الْفُضَـلَاء[٥]

وَتَرَنَّمْ بِمَنْ أَفَاضَ عَلَى حَلْـ ... قِكَ مَا لَمْ يُفِضْ عَلَى الْوَرْقَاء[٦]

* * *

كَلِمَاتٌ أَصْغَى الْغَــبِيُّ إِلَيْهَا ... فَاعْـتَرَاهُ مَسٌّ مِنَ الْخُيَـلَاء[٧]

---

(١) الغبراء : الأرض .

(٢) أنشا ، أى أنشأ .

(٣) عم صباحا ، أى نعم صباحك ، وهى تحية للعرب معروفة . وصادحاً : مغرداً مرنما .

(٤) المنقاء : طائر قديم يقال إنه كان أعظم الطيور وأقواها ، ويزعمون أنه انقرض فى قديم الزمان .

(٥) يريد فن الغناء .

(٦) الورقاء : الحمامة .

(٧) يريد بالغبي : الغراب .

وَتَغَنَّى فَلَمْ يُحِسَّ بِمَا أَلْ ... قَاهُ فِي فَخِّ أَشْعَرِ الشُّعَرَاءِ[1]

بَلْ رَأَى الْجُبْنَةَ الشَّهِيَّةَ تَهْوِى ... فَبَكَاهَا وَلَاتَ حِينَ بُكَاءِ[2]

وَتَلَقَّى اللِّصُّ الْغَنِيمَةَ وَاسْتَأْ ... ذَنَ فِي الحَالِ زَاهِدًا فِي الْغِنَاءِ

قَائِلاً : طِبْتَ يَا مُغَنِّى النَّدَامَى ... غَنِّ غَيْرِى قد حانَ وَقْتُ غَدَائِى

(الغراب) :

أَيُّهَا الثَّعْلَبُ ارْتَحِلْ لَا هَنِيئًا ... لا مَرِيئًا يا أَلْأَمَ اللُّؤَمَاءِ

(الثعلب) :

أَيُّهَا الطائِرُ الْغَبِيُّ تَعَلَّمْ ... ذَا جَزَاءُ الأَغْرَارِ وَالْجُهَلَاءِ[3]

(الغراب) :

لَمْ تَزِدْ يا أَبا الحُصَيْنِ عَلَى أَوْ ... لَادِ حَوَّاءَ فِى ضُرُوبِ الدَّهَاءِ[4]

(التفات إلى المكر فى الناس) :

إِنَّ مِنَّا مَنْ يَنْصِبُ الْبَيْتَ فَخًّا ... لِاقْتِنَاصِ الْقَصْرِ الرَّفِيعِ البناء

فَإِذَا مَدَّ لِلسَّمَاءِ يَمِينًا ... سَلَّ مِنها كَوَاكِبَ الْجَوْزَاءِ

بَعْضُنَا لا يَزَالُ فِي إِثْرِ بَعْضٍ ... ناهِبًا سَالِبًا بِلا اسْتِحْيَاءِ

فَتَعَوَّذْ مِنْ هَؤُلاءِ وَحَاذِرْ ... لَا تَكُنْ ـ إِنْ عُدِدْتَ ـ مِنْ هؤُلاءِ

---

(١) يريد بأشعر الشعراء : الثعلب .

(٢) ولات حين بكاء ، أى ليس الوقت وقت بكاء .

(٣) الأغرار : الحمقى الذين لم يجربوا الأمور ، الواحد غِرّ بكسر أوله .

(٤) أبو الحصين : كنية الثعلب .

أخلاق الناس

نشرت هذه القصيدة بعنوان « نجم هالى » عند ما ظهر مذنّب[١] هالى المشهور فى سنة ١٩١٠ م وفيها يصف ما فى الناس من نفاق ورياء وطمع بعضهم فى بعض واسترقاق قويهم لضعيفهم ، ويتمنى أن لو أهلك هذا المذنب جميع من فى الأرض فيستريح بعضهم من بعض ، وقد أثارت هذه القصيدة إعجاب كثير من جمهرة الأدباء وأعلامهم ، وكان من أثر ذلك أن كتب المرحوم الشيخ عبد الكريم سلمان إلى صديقه اسماعيل صبرى بكتاب بليغ أثبتناه فى الحاشية[٢] للذكرى والتاريخ ، فانظره

---

(١) فى سنة ١٩١٠ م كان هذا النجم المعروف بمذنّب هالى يقترب من الكرة الأرضية يوما فيوما آتياً من حدود العالم الشمسى منذ ظهوره آخر مرة فى سنة ١٨٣٥ م وهذا المذنب لا يظهر لنا إلا مرة فى كل خمسة وسبعين سنة ، وقد زادت حركته وضوحا من ابتداء شهر مارس سنة ١٩١٠ وفى ١٩ إبريل وصل المذنب إلى أقرب مسافة من الشمس ، ثم استمر فى سيره متجهاً إلى كرتنا الأرضية الصغيرة التى تدور بانتظام حول الشمس ، ولهذا النجم ذنب طويل مكون من غاز ، كما أن كل جزء من الأجزاء المركبة منها نواته محاط بجوّ غازىّ ، وقد ذكروا فى ذاك الحين أن ذلك المذنب الغازى ستدفعه الشمس نحونا فيصير جونا غير صالح للاستنشاق ويكون مميتاً ، وحددوا لذلك يومى ١٨ و١٩ مايو سنة ١٩١٠ وسمى مذنّب هالى نسبة إلى مكتشفه الأستاذ هالى الفلكى المعروف .

(٢) صديقى القديم .

قرأت شعرك فى «مذنّب هالى» وتمنيت لو صحت فراستك فيه ، ولكنى =

غَاضَ مَاءُ الحيَاءِ مِنْ كلِّ وَجْهٍ فغَدَا كَالِحَ الْجوَانِبِ قَفْرَا[1]
وَتَفشَّى الْعُقُوقُ فِى النَّاسِ حَتَّى كَادَ رَدُّ السَّلَامِ يُحْسَبُ بِرّا
أَوْجُهٌ مِثْلَمَا نَثَرْتَ عَلَى الأَجْ دَاثِ وَرْدًا إِنْ هُنَّ أَبْدَيْنَ بِشْرَا[2]
وَشِفَاهٌ يَقُلْنَ : «أَهْلًا» ، وَلَوْ أَدَّيْنَ مَا فِى الْحَشَا لَمَا قُلْنَ خَيْرَا
عَمْرَكَ اللّهَ ، هَلْ سَلَامُ ودَادٍ ذَاكَ أَمْ حَاوَلَ الْمُسَلِّمُ أَمْرَا
عَمِيَتْ عَنْ طَرِيقِهَا أَمْ تَعَامَتْ أَمْ فِى مَفَاوِزِ الْجَهْلِ حَيْرَى[3]
غَرَّهَا سَعْدُهَا ، وَمِنْ عَادَةِ السَّعْـ ـدِ يُوَاتِى يَوْمًا وَيَخْذُلُ دَهْرَا[4]

= خفت على شعرك هذا أن يهلك مع الهالكين ؛ لهذا ، أحببت ألا يصح حدسك ولو تعبت وشقيت بقية الحياة .

عزيزى ، ما كنت لأكتب لك إلا فى موضوع كهذا ، فزودنى منه أزدك كتابة ؛ ولعل الله يصل بيننا فيهديك إلى مثل هذا الشعر الحكيم .

والسلام عليكم إلى الأبد إذا أجاب المذنب طلباتك إن شاء الله ؟

« ليلة ١٨ مايو سنة ١٩١٠ م »

(١) غاض الماء : نقص وغار . والكالح : العابس .

(٢) الأجداث : القبور ، الواحد جدث . شبه البشاشة التى تبدو على ظاهر الوجه مخالفة لما انطوى عليه القلب من بغض وقطيعة ، بالورد الذى ينثر على القبور وتحته رمم الموتى ، وهو من طرائف التشبيه .

(٣) المفاوز : القفار ، الواحدة مفازة .

(٤) يواتى : يوافق .

فَتَجَنَّتْ عَلَى الشُّعُوبِ وَشَنَّتْ غَارَةً فِى البِلادِ من بَعدِ أُخْرَى[١]

نسِيَتْ فِى الصُّعُودِ يَوْمَ التَّدَلِّى وَالتَّدَلِّى بصاعِدِ الْجَدِّ مُغْرَى[٢]

تَعِبَ الفَيْلَسُوفُ فى الناس عَصْرًا وَتَوَلَّى السَّرَائِرَ الدِّينُ عَصْرَا

وَالوَرَى طَارِدٌ إِزَاءَ طَرِيدٍ وَعُقَابٌ يُمْسِى يُطَارِدُ صَقْرَا[٣]

وَجُيُوشٌ يُفَلُّ مِنْ بَعْضِهَا البَعْ ضُ، وَهَضْبٌ كُبْرَى تُنَاطِحُ صُغْرَى[٤]

حاذِرِى يا ذِئَابُ صَوْلَةَ أُسْدٍ مِنْكِ أَقْوَى نَابًا وَأَنْفَذُ ظُفْرَا

لا تَنَامِى يا أُسْدُ إِنَّ ذِئَابًا لَمْ تَنَمْ، مِنْ رَوَابِضِ الْغِيلِ أَضْرَى[٥]

عِبَرٌ كُلُّهَا اللَّيالِى وَلٰكِنْ أَيْنَ مَنْ يَفْتَحُ الكِتَابَ وَيَقْرَا

(١) يقال : تجنى على فلان إذا ادعى عليه ذنباً لم يفعله .

(٢) التدلّى : الانحطاط . والجد : الحظ . ومغرى به ، أى مولع .

(٣) العقاب : من جوارح الطير ، وتسميها العرب بالكاسر . ويريد بهذا البيت والذى قبله أن أخلاق الناس وما فيها من شر وفساد قد أتعبت الفلاسفة فى تهذيبها بحكمتهم وفلسفتهم كما عالج الدين سرائر الناس وإصلاح ضمائرهم والناس على حالهم يظلم قويّهم ضعيفهم .

(٤) الهضب : جمع هضبة ، وهى كل جبل خلق من صخرة واحدة .

(٥) روابض الغيل ، هى الأسود . والغيل : مأوى الأسد. وأضرى ، أى أجرأ على الافتراس . يريد بهذا البيت والذى قبله أنه يجب على الضعيف أن يحذر القوى ، كما أن على القوى أن يحذر الضعيف ، فليست القوة وحدها مغنية عن صاحبها من كيد الضعيف له .

أنتَ نِعْمَ النَّذيرُ يا نَجْمَ هالِي ... زَلْزِلَ السَّهْلَ وَالرَّوَاسِيَ ذُعْرَا[1]

ظَنَّ قَوْمٌ فيكَ الظُّنُونَ وقالوا : ... آيةٌ أُرْسِلتْ إلى الأرْضِ كُبْرَى

إنْ يكنْ في يَمِينِكَ الموْتُ فَاقْذِفـ ... ـهُ شُوَاظًا ، على الخلائق طُرًّا[2]

هَلْ تَلَقَّيتَ مِنْ لَدُنْ خاذِلِ البا ... غِي وَحَامِي الضَّعِيفِ يا نَجْمُ سِرًّا[3]

أَمُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَمُرْدٍ ... كُلَّ حَيٍّ وَتَارِكٌ السَّهْلَ وَعْرَا ؟[4]

أَغَدًا تَسْتَوِي الأُنُوفُ فَلاَ يَنْـ ... ـظُرُ قَوْمٌ قَوْمًا عَلَى الأَرْضِ شَزْرَا ؟[5]

أَغَـدًا كُلُّنَا تُرَابٌ وَلَا مُلْـ ... ـكَ خِلَافَ التُّرَابِ بَرًّا وَبَحْرَا ؟

أَغَـدًا يُصْبِحُ الصِّرَاعُ عِنَاقًا ... فِي الهَيُولَى وَيُصْبِحُ العَبْدُ حُرًّا ؟[6]

إنْ يَكُنْ مايقُولون يانَجْمُ فَاصْدَعْ ... بِالّذِي قَدْ أُمِرْتَ حُيِّيتَ عَشْرَا[7]

---

(١) الذعر : الخوف والفزع .

(٢) الشواظ : لهب النار بلا دخان .

(٣) خاذل الباغي وحامي الضعيف ، هو الله تعالى .

(٤) محيط بكل شيء ، أي محدق به لابادته . ومرد ، أي مهلك .

(٥) تستوى الأنوف ، أي يتساوى الناس جميعاً في المنزلة . والنظر الشزر ، هو نظر فيه إعراض ، أو هو النظر بمؤخر العين ، وهو نظر الغاضب الحانق .

(٦) كنى بالصراع والعناق عما يلزمهما من البغض والمحبة . والهيولى ، هي أصل العالم ومادته التي خلق منها ؛ وهو لفظ يوناني . يقول : هل سيفنى الناس غداً ويرجعون إلى مادتهم التي خلقوا منها فتصبح العداوة التي بينهم محبة ومودة ، والمراد بهذا الاستفهام تمني ذلك والتلهف عليه .

(٧) صدع بالأمر : أصاب به موضعه وجاهر به .

الكرامة

لَكِسْرَةٌ مِنْ رَغِيفِ خُبْزٍ   تُؤْدَمُ بِالْمِلْحِ وَالْكَرَامَهْ
أَشْهَى إِلَى الْحُرِّ مِنْ طَعَامٍ   يُخْتَمُ بِالشُّهْدِ وَالْمَلَامَهْ

الزواج من اثنتين

يا مَنْ تَزَوَّجَ بِاثْنَتَيْنِ أَلَا اتَّئِدْ   أَلْقَيْتَ نَفْسَكَ ظَالِمًا فِي الهَاوِيَهْ
مَا الْعَدْلُ بَيْنَ الضَّرَّتَيْنِ بِمُمْكِنٍ   لَوْ كُنْتَ تَعْدِلُ مَا أَخَذْتَ الثَّانِيَهْ

استبقاء الصديق

إِذَا خَانَنِي خِلٌّ قَدِيمٌ وَعَقَّنِي   وَفَوَّقْتُ يَوْمًا فِي مَقَاتِلِهِ سَهْمِي (١)
تَعَرَّضَ طَيْفُ الْوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ   فَكَسَّرَ سَهْمِي فَانْثَنَيْتُ وَلَمْ أَرْمِ (٢)

(١) فوقت يوماً فى مقاتله سهمى : كناية عن إرادة العقاب ومجازاة الشر بالشر . وأصله من تفويق السهم إذا جعلت له فوقا بضم الفاء ، وهو شق فى رأسه حيث يقع الوتر ؛ ومعنى تفويقه إعداده للرمى به .

(٢) يقول : أردت عقاب الصديق فتذكرت سالف وده فعفوت عنه .

الأمانّى

نَبِيتُ مِنَ الْمُنَى نَبْنِى صُرُوحًا ... وَنَدْعَمُهَا فَيَهْدِمُهَا النَّهَارُ(١)

فَيَضْحَكُ سَاخِرًا مِنَّا وُقُوفًا ... عَلَى أَنْقَاضِهَا الْفَلَكُ الْمُدَارُ(٢)

ذَرِينَا مِنْ مُعَاقَرَةِ الأَمَانِى ... يَلِيهَا الْعُمْرَ مِنْ خَبَلٍ خُمَارُ(٣)

فَكَمْ قَرَّبْنَ مِنْ أَمَدٍ بَعِيدٍ ... تَعَثَّرُ دُونَهُ الْهِمَمُ الْكِبَارُ(٤)

وَكَمْ أَوْلَيْنَ مِنْ عَالٍ فَمَدَّتْ ... إِلَيْهِ أَكُفَّهَا أَيْدٍ قِصَارُ(٥)

---

(١) الصروح : الأبنية العالية ، الواحد صرح . وندعمها ، أى نثبتها بالدعائم ، وهى العمد . يقول : إننا نؤمل الآمال الكبيرة بالليل فإذا طلع النهار بدّدها كأن لم تكن . يشير إلى قصر عمر الأمل .

(٢) الأنقاض : ما يبقى من البناء بعد هدمه ، ويشير بالفلك المدار إلى الزمان . يقول : إن الزمن يضحك منا حين نؤمل الآمال الكبيرة ، فتأتينا الأيام بضدها ، وشبّه الأمل الضائع بأنقاض البناء .

(٣) معاقرة الشراب : ملازمته والادمان عليه . شبه الأمانى بالخمر فى النشوة والذهاب بالعقول . والخبل : ضعف العقل . والخمار : ما يعقب السكر من ألم وصداع فى الرأس ، شبّه ما يحدث بعد الأمل من خيبة وإخفاق بما يحدث بعد السكر من ألم وصداع .

(٤) الأمد : الغاية . وتعثّر ، أى تتعثّر .

(٥) أولين ، أى أعطين . يقول : إن المنى كم أعطت أصحابها مراتب عالية فإذا مدوا أيديهم إليها قصرت عن إدراكها .

التوحيد والحرّيّة

نثبت هنا هـذه الكلمة البليغة فإنها وإن لم تجر على طريقة الشعر فى الوزن والقافية ، إلا أنها تشبهه فى قوة الأثر وروعة الأسلوب وسحر الفنّ ولا شك فى أن من النثر ما هو أجدر باسم الشعر ، قال :

أُحِبّ التوحيدَ فى ثلاثة : (الله) و (المبدأ) و (المرأة)

وَأُحِبّ الحرّيّة فى ثلاثة :

« حرّيّةَ المرأة فى ظلّ زوجهـا »

« وحرّيّة الرجل تحت رايةِ الوطن »

« وحرّيّة الوطن فى ظل الله »

سياسيات

إلى مصطفى[1] فهمى باشا

قالها حين استقال من نظارته الأخيرة فى سنة ١٩٠٨ م ويشير صبرى فى هذه الأبيات إلى ما كان يتهم به من موالاة المحتلّين والخضوع لهم فيما يطلبون منه

عجِبْتُ لهمْ قالوا «سَقَطْتَ» وَمَنْ يكُن ... مَكَانَكَ يَأمَنْ مِنْ سُقُوطٍ وَيَسْلَمِ

فأَنْتَ امْرُؤٌ أَلْصَقْتَ نفْسَكَ بالثَّرَى ... وَحَرَّمْتَ خَوْفَ الذُّلِّ مَا لَمْ يُحَرَّمِ

---

(١) تولّى مصطفى فهمى باشا رآسة النظار ثلاث مرات : الأولى من ١٤ مايو سنة ١٨٩١ م إلى ١٦ يناير سنة ١٨٩٢ م ، والثانية من ١٧ يناير سنة ١٨٩٢ إلى ١٤ يناير سنة ١٨٩٣ ، والثالثة وهى الأخيرة من ١٣ نوفبر سنة ١٨٩٥ إلى ١١ نوفبر سنة ١٩٠٨ م ، وشاركه فى هذه النظارة الأخيرة بطرس غالى باشا للخارجية ، وحسين فخرى باشا للأشغال ، وأحمد مظلوم باشا للمالية ، وإبراهيم فؤاد باشا للحقانية ، ومحمد عبانى باشا للحربية والبحرية ، وتولى الرئيس نظارة الداخلية ، وقد ولد رحمه الله فى سنة ١٢٥٦ هـ ، وبعد أن تلقى مبادئ العلوم ألحق بمدرسة الحربية بالقلعة فنال شهادتها ، ثم صار يترقى فى المناصب العسكرية حتى أنعم عليه برتبة فريق سنة ١٨٧٩ م ، وأسند إليه منصب محافظة الاسكندرية ، وتولى عدة نظارات فى عهد شريف باشا ورياض باشا ونوبار باشا ؛ ثم تولى رآسة النظار ثلاث مرات كما قدمنا ؛ وتوفى فى سنة ١٩١٤ م ، وقد مدحه اللورد كرومر وأثنى عليه فى الخطبة التى ألقاها حينما رحل عن مصر .

فَلَوْ أَسْقَطُوا مِنْ حَيْثُ أَنْتَ زُجَاجَةً   عَلَى الصَّخْرِ لَمْ تُصْدَعْ وَلَمْ تَتَحَطَّمِ (١)

مقطوعات سياسية

كتبها عند ما استقالت نظارة مصطفى فهمى باشا ، وتألفت نظارة بطرس غالى باشا سنة ١٩٠٨ م منها ما قاله على ألسنة النظار المستقيلين ، وهى ست مقطوعات ، ومنها ما قاله على ألسنة النظارات تحية من كل نظارة لناظرها الجديد فى نظارة بطرس غالى باشا ، وهى سبع مقطوعات ، ونشرها بعنوان : « على أبواب الدواوين » ، ومنها ما وجه به إلى بعض كبار الموظفين سواء منهم من ترك منصبه ، أم من رقى إلى منصب أعلى ، وهى عشر مقطوعات ؛ ونشرت جميع هذه المقطوعات ممضاة باسم بنتاءور ، وهو الشاعر المصرى القديم ، وقد أودع هذه المقطوعات من فكاهاته الطريفة ما ينبئ عن ظَرفه النادر

— ١ —

على لسان مصطفى فهمى باشا عند استقالته

إِنِّى أَسْتَغْفِرُ اللهَ لَكُمْ   آلَ مِصْرٍ لَيْسَ فِيكُمْ مِنْ رِجَالْ

---

(١) تُصدع : تنشق . وتتحطم : تتكسر . يقول : إنه كان فى منزلة دانية لا يؤلم السقوط منها بحيث لو أسقطوا زجاجة من ذلك المكان المنخفض على حجر لم تتكسّر .

فَلَّ غَرْبِي مَا أَرَى مِنْ نَوْمِكُمْ ... وَرِضَاكُمْ بِوُجُودِ الِاحْتِلَالْ[1]

بُحَّ صَوْتِي دَاعِيًا مُسْتَنْهِضًا ... صَارِخًا حَتَّى تَوَلَّانِي الْكَلَالْ[2]

لَمْ أَجِدْ فِيكُمْ فَتًى ذَا هِمَّةٍ ... إِنْ عَدَا الدَّهْرُ عَدَا أَوْ صَالَ صَالْ

رَحِمَ اللهُ وَزِيراً سَامَهُ ... قَوْمُهُ ما ليس يَرْضَى فَاسْتَقَالْ[3]

— ٢ —

على لسان بطرس غالى باشا[4]

بعد ما استقالت نظارة مصطفى فهمى باشا الأخيرة ، وكان بطرس باشا ناظراً للخارجية فى هذه النظارة ، ويعرّض فى هذه الأبيات بما كان يشاع عن مصطفى فهمى باشا من موالاة المحتلّين ، كما يشير إلى وطنية بطرس غالى باشا ، ومخالفته لرئيسه فى خطّته

---

(١) فل السيف يفلّه : ثلمه وكسر حدّه . والغرب : حد السيف ونحوه . وفلّ غربى ، أى ضعضع قوّتى وأوهننى .

(٢) الكلال : التعب .

(٣) سامه قومه ، أى كلّفوه . ويشير بهذا البيت إلى إنه كان يأبى فى عهد نظارته أن يساير الأمة فى رغباتها ، وقد استقال لذلك .

(٤) بطرس غالى باشا ، هو ابن غالى بك نيروز ، ولد سنة ١٨٤٧ م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم فى مصر تقلد عدة مناصب حكومية ، كان آخرها رآسته لمجلس النظار سنة ١٩٠٨ م ، وظل بذلك المنصب إلى أن توفى ضرباً بالرصاص من يد أحد الثائرين ، وهو إبراهيم ناصف الوردانى وذلك فى سنة ١٩١٠ م .

أَصْبَحْتُ فِي حَيْرَةٍ وَهَمٍّ ما بين مِصْرٍ وبين (فهمى)

هٰـذِي تُنَادِي نِدَاءَ عَانٍ : تلاف أَمْرِي وَدَاوِ سُقْمِي [1]

وَذَاكَ يَرْجُو رَجَاءَ خِـلٍّ لهُ أَيَادٍ عَلَيَّ تَهْـمِي [2]

دَعْهَا تُنَادِي بِمَـا تُنَادِي وَكُنْ عَلَى خُطَّتِي وَرَسْمِي

فالسِّـلْمُ دَرْسٌ وقد عَلِمْنَا مَغَبَّةَ السِّلْمِ كيف تحْمِي [3]

يَا رَبِّ بِأبْنِ البَتُولِ حُطْنِي وَزِنْ مَقَامِي وَطَهِّرْ أَسْمِي [4]

فَإِنَّنِي إِنْ بَرَرْتُ خِـلِّي عَقَقْتُ ـ لا شَكَّ ـ خَيْرَ أُمٍّ [5]

— ٣ —

على لسان عبانى باشا

وزير الحربية والبحرية بعد أستقالته مع النظارة الفهمية

يا جُنُودَ البَرِّ وَالبَحْرِ أشْهَـدُوا وَأَسْمَعُـــوا منِّي كُلَيْمَاتٍ فِصَاحْ

---

(١) العانى : الأسير . وتلاف أمرى ، أى تداركه .

(٢) الأيادى : النعم . وتهمى ، أى تهطل .

(٣) مغبّة السلم ، أى عاقبته .

(٤) يريد بابن البتول : عيسى عليه السلام . وحطنى : من حاطه يحوطه ، أى صانه .

(٥) خير أمّ ، أى مصر .

ذِى يَدِى قَدْ مَزَّقَتْهَــــا لُقَمٌ تُجْتَنَى مِن فَوْقِ أَطْرَافِ الرِّمَاحْ(١)
ذَاكَ جِسْمِى رَسَمَ الدَّهْــــرُ عَلَى كُلِّ عُضْوٍ منه أَهْوالَ الكِفَاحْ
إنَّنى عِفْتُ تَكَاليفَ العُـــــلَا بينكُمْ والعَيْشَ فى ظِلِّ الصِّفَاحْ(٢)
رَحِمَ اللّٰهُ وَزِيرًا عَامِــــلًا مُلِئَتْ فَخْرًا يَداهُ فَاسْــتَرَاحْ

— ٤ —

على لسان حسين(٣) فخرى باشا

إنَّ بِنَاءَ (الخَزَّانِ) أَنْهَكَنِى وَهَدَّ جِسْمِى وَزَادَ فِى سَقَمِى(٤)

(١) « تُجتنَى من فوق أطراف الرماح » : كناية عما لاقاه من المصاعب فى سبيل العيش ، وتعذّر طلب الرزق من طريق المناصب العسكرية .

(٢) عفت : كرهت ومللت . والصفاح : السيوف .

(٣) حسين فخرى باشا ، هو ابن الفريق جعفر صادق باشا ، ولد فى مصر سنة ١٢٦٢ هـ واهتم والده بتربيته فانتقى له عدة أساتذة يعلمونه بمنزله اللغة العربية والفرنسوية والتركية ، ثم أسند إليه بعض المناصب الحكومية ، وفى عام ١٨٦٧ م ندبته الحكومة لتأدية مهمة من قبلها فى معرض باريس ؛ وبعد أن قام بها استأذن من الحكومة فى البقاء فى باريس لتلقى العلوم القانونية ، فأذنت له ، واستمر حتى نال شهادة ليسانس ، وعاد إلى مصر فتولى عدة مناصب : منها نظارته للحقانية فى عهد نظارة شريف باشا ومصطفى رياض باشا ، ثم كان ناظراً للأشغال فى عهد نظارة مصطفى فهمى باشا .

(٤) يشير إلى أن بناء خزان أسوان كان فى عهد نظارة حسين فخرى باشا =

أَسْتَوْدِعُ اللهَ كُلَّ مَا صَنَعَتْ ... يَدِى وَشَادَتْ مِنْ بَاذِخٍ هِمَمِى

— ٥ —

على لسان أحمد مظلوم باشا

ناظر المالية المستقيل مع النظارة السابق ذكرها

إِنَّا إِذَا سُلِبَتْ وَظَائِفُنَا ... وَتَأَلَّفَتْ مِنْ غَيْرِنَا دُوَلُ

(نَبْنِى كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا ... تَبْنِى وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا)[1]

= للأشغال العمومية . و « أنهكنى » : أتعبنى . والمعروف فى كتب اللغة : « نهكنى » .

(١) هذا البيت الثانى لشاعر قديم ضمّنه صبرى شعره ، وقبله :

لسنا وإن أحسابنا كرمت ... يوما على الأحساب نتكل

ويشير به إلى كثرة ما كان يبنيه مظلوم باشا من العمارات الضخمة فى القاهرة والاسكندرية ؛ وهى من فكاهاته الطريفة التى عرف بها شعره .

— ٦ —

على لسان ابراهيم فؤاد باشا

ناظر الحقانية

أَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ مِنْ عَصْرٍ تَكَنَّفَنِي ... فيه الْخَبِيثَانِ مِنْ جَاهٍ وَمِنْ مَالِ[1]

أَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ مِنْ (فَهْمِي) وَشِيعَتِهِ ... وَمِنْ (عَبَانِي) وَمِنْ (فَخْرِي) وَمِنْ (فَالِي)

لو اُسْتَطَعْتُ رَكِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ ... إِلَى الْحِجَازِ رُكُوبَ الرَّاحِلِ الْقَالِي[2]

---

(١) تكنّفنى ، أى أحاط بى .

(٢) القالى : الكاره . ويشير بهذا البيت إلى ما كان يتصف به إبراهيم فؤاد باشا من الميل إلى المتصوّفين ومجاراتهم فى أحوالهم من التعبد والزهد ، وكان رحمه الله من أتباع الشيخ الحداد على الطريقة الخلوتية ، وقد ضمّن الشاعر فى هذا البيت قول المتنبي :

لو استطعت ركبت الناس كلّهم ... إلى سعيد بن عبد الله بُعرانا

على أبواب الدواوين

وهى مقطّعات نشرها تحية من كل نظارة لناظرها الجديد فى نظارة [(١)]
بطرس غالى باشا بعد استقالة النظارة الفهمية فى سنة ١٩٠٨ م

— ١ —

على باب الخارجية

تحيتها لناظرها الجديد بطرس [(٢)] غالى باشا ناظر النظّار

أَهْلًا بِبُطْرُسَ أَهْلًا ... بِالْمُلْتَوِى الْمُسْتَقِيمِ [(٣)]
قَدِيمِ كُلِّ جَدِيدٍ ... جَـدِيدِ كُلِّ قَدِيمِ [(٤)]

---

(١) تألفت نظارة بطرس غالى باشا فى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٨ م وتوزيعها كما يأتى : بطرس غالى باشا ناظرا للنظار وناظرا للخارجية ، وسعد زغلول باشا ناظرا للمعارف ، وحسين رشدى باشا ناظرا للحقانية ، ومحمد سعيد (بك) باشا ناظرا للداخلية ، وإسماعيل سرى باشا ناظرا للأشغال العمومية والحربية والبحرية وأحمد حشمت باشا ناظرا للمالية .

(٢) انظر التعريف ببطرس غالى باشا فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ١٤٩ .

(٣) يريد بقوله : « بالملتوى المستقيم » أنه يلبس لـكل زمان لبوسه ، فهو ملتو إذا اقتضى الحال الالتواء ، مستقيم إذا اقتضى الحال الاستقامة .

(٤) يشير بهذا البيت إلى نظارة بطرس غالى باشا للخارجية فى النظارة السابقة ، وعودته فى النظارة الجديدة ناظرا للخارجية أيضاً وناظرا للنظّـار .

— ٢ —

على باب الداخلية

تحيتها لناظرها الجديد محمد سعيد[1] بك (باشا)

(سَعِيدُ) أَهْلًا وَسَهْلًا   أَنْتَ الكَبِيرُ الصَّغِيرُ[2]
دَعْنَا نَقُلْ عَنْ قَرِيبٍ   أنت الكبيرُ الكَبِيرُ[3]

— ٣ —

على باب المعارف

تحيتها لناظرها الجديد سعد زغلول باشا[4]

أَهْلًا بِسَعْدٍ وَسَهْلًا   بالحاذِقِ الفَيْلَسُوفِ

---

(١) محمد سعيد باشا هو الوزير المعروف، ولد فى سنة ١٨٦٣ م، وبعد أن أتم علومه تولى عدة مناصب قضائية وعدة وزارات، ورأس الوزارة مرتين: الأولى من سنة ١٩١٠ م إلى سنة ١٩١٤ م، والثانية سنة ١٩١٩ م، وكان وزيرا للمعارف فى الوزارة السعدية سنة ١٩٢٤ م، ثم اعتزل السياسة إلى أن توفى فى ٢٠ يوليه سنة ١٩٢٨ م، وكان معروفا بالعقل والدهاء فى الشئون السياسية.

(٢) يشير بقوله: «الصغير» إلى حداثة عهده بتولى منصب النظارة إذ ذاك.

(٣) يتفاءل الشاعر بقوله: «أنت الكبير الكبير» لمحمد سعيد بأن يتولى رآسة النظار فى المستقبل.

(٤) ولد المغفور له سعد زغلول باشا بإبيانا من أعمال مركز فوّة =

رَجَعْتَ بَدْرًا مُنِيرًا   مُسْتَهْتَرًا بِالكُسُوفِ (١)

= سنة ١٨٦٠ م ، وبعد أن قضى فى الأزهر حينا من الزمن تولى بعض أعمال التحرير فى الوقائع المصرية ، وكتب فيها بعض المقالات فى الاستبداد والشورى والأخلاق ثم التحق ببعض الأعمال الادارية فى الحكومة ، وفصل لاتهامه بالاشتراك فى الثورة العرابية ، فاشتغل بالمحاماة إلى أن أختير للقضاء بمحكمة الاستئناف الأهلية سنة ١٨٩٢ م وهو أول محام ولى مناصب القضاء فى مصر ، ثم ولى منصب وزارة المعارف ، وهو أول من قرر تدريس العلوم الرياضية باللغة العربية ، ثم تولى نظارة الحقانية ، ثم كان عضواً بالجمعية التشريعية ، وتولى زعامة النهضة الوطنية ورآسة الوفد المصرى ، وظل زعيما لتلك النهضة من سنة ١٩١٩ م إلى أن توفى فى أغسطس سنة ١٩٢٧ م رحمه الله .

(١) يشير بقوله : « مستهترا بالكسوف » إلى ما حدث فى شأن تولى سعد لنظارة المعارف من أن الخديوى كان يأبى دخوله فى نظارة بطرس غالى باشا لوحشة كانت بينه وبين الخديوى إذ ذاك ، حتى اقترح اللورد كرومر إدخاله فيها ، فكان ما اقترح . وللكسوف معنيان : أحدهما المعنى الشائع ، وهو الخجل عند الاخفاق فى المسعى ، والثانى الكسوف المعروف للقمر ؛ والأحسن استعمال الكسوف للشمس والخسوف للقمر .

— ٤ —

على باب المالية

تحيتها لناظرها الجديد أحمد حشمت باشا [١]

أَبْعَدُوا (أَحمدًا) وَجَاءُوا بِثَانٍ ظَلَمُوهُ كما أَرَادَ الْغَشُـومُ [٢]

فَتَسَلَّتْ خَزَائِنُ الْمَالِ مَظْلُو مٌ تَوَلَّى وجاءَهَا (مَظْلُومُ) [٣]

---

(١) أحمد حشمت باشا الوزير المعروف ، ولد فى كفر المصيلحة من إقليم المنوفية فى سنة ١٢٧٥ هـ سنة ١٨٥٨ م وبعد أن أتم علومه ونال شهادة الحقوق تولى عدة مناصب قضائية وإدارية فى الحكومة المصرية ؛ وآخر المناصب التى تولاها نظارته للمعارف العمومية فى عهد نظارة محمد سعيد باشا ؛ وتوفى فى سنة ١٩٢٦ م

(٢) يريد بأحمد : أحمد مظلوم باشا ، وكان ناظراً للمالية فى النظارة السالفة . والغشوم : الظلوم ، ويريد به اللورد كرومر ، فهو الذى اقترح دخول أحمد حشمت باشا فى هذه النظارة .

(٣) تسلّت : تعزت . يقول : إن خزائن المال تعزت عن ناظرها السابق مظلوم باشا بناظر آخر مظلوم فى إسناد هذا المنصب الكبير إليه إذ ليس أهلا له فقد ذهب مظلوم وجاء مظلوم

— ٥ —

على باب الأشغال

تحيتها لناظرها الجديد اسماعيل[١] سرّى باشا

قَالَتِ الأشْـغَالُ لمَّا أَفَلَتْ أَنْوَارُ (فَخْرِى)[٢]
هَنِّئُونِى هَنِّئُـــونِى جاءَ مَنْ يعرِفُ (سِرِّى)[٣]

— ٦ —

على باب الحربية والبحرية

عسكرىّ إنجليزىّ ... ...[٤] !

(١) اسماعيـل سرى باشا ، هو من كبار المهندسين وأعلامهم المشهود لهم بالنبوغ فى مصر وغيرها من الممالك الأجنبية ؛ ولد رحمه الله بمدينة المنيا سنة ١٨٦١م وبعد أن تلق مبادئ العـلوم بالمنيا والفيوم حضر إلى القاهرة فدخل مدرسـة الهندسة ، ثم أرسلته الحـكومة إلى فرنسا فى نوفمبر سنة ١٨٧٨ م ثم سافر بعدها إلى انجلترا لتلقى فن هندسة المرافئ ، ثم عاد إلى باريس فأدى الامتحان النهائى بها وعاد إلى مصر فتولى عدة مناصب هندسية برهن فيها على كفايته ومقدرته ، ولم يزل يترقى فى المناصب حتى كان ناظرا للأشغال العمومية فى نظارة بطرس غالى باشا ومحمد سعيد باشا وحسين رشدى باشا ؛ وتوفى رحمه الله فى سنة ١٩٣٧ م .

(٢) أفلت : غابت . ويريد بفخرى : حسين فخرى باشا ناظر الأشغال فى نظارة مصطفى فهمى باشا .

(٣) فى قوله : « سرّى » تورية ظاهرة .

(٤) يشير بهذه الرموز إلى أن الانجليز كانوا فى حقيقة الأمر هم المدبرين =

— ٧ —

على باب الحقّانيّة

تحيتها لناظرها الجديد حسين رشدى باشا

(أَرُشْدِى) سَلَامٌ مَرْحَبًا بِكَ مَرْحَبًا ... وَأَهْلًا بِصَافِى الرُّوحِ وَالْقَلْبِ وَالْقَصْدِ

سَيَفْرَحُ قَانُونِى وَتَرْضَى شَرَائِعِى ... إِذَا زِدْتَ مِنْ شَأْنِى وَأَبْلَغْتَنِى رُشْدِى

إلى بعض كبار الموظفين

— ١ —

على لسان ديوان الأوقاف

يستقبل مديره الجديد خليل حمادة باشا

ديوانُ (أَوْقَافِ) مصرَ نادَى: ... قِفُوا عَلَى بَابِيَ الْكَبِيرِ

=الحقيقيين لأمر هاتين النظارتين وإن لم يكن كذلك فى الظاهر ، كما يشير إلى أن متولى النظارة من المصريين عليهما فى ذلك الحين ليس له من الأمر والنهى فى هاتين النظارتين ما يستحق به التحية منهما . وقد أثبتنا ذلك فى الديوان لأنه شعر فى معناه وإن لم يكن شعرا فى لفظه .

وَأُسْتَقْبلوا عِنْدَهُ (خَلِيـلًا) قد طال (شَوْقِي) إِلَى مُدِيرِ
إِنْ سَدَّ مِنْ حَاجَتِي فَأَهْـلًا بِهِ وَسَهْـلًا مَدَى الدُّهُورِ

— ٢ —

وكالة الداخلية

وداع لوكيلها السابق إبراهيم[1] نجيب باشا

يَا أَنْجَبَ الأَنْجَبِينَ مَهْـلاً فَسَوْفَ تَسْتَغْفِرُ الْمَظَاهِرْ
إِنْ فَضَّلُوا (مَاهِرًا) فَدَعْهُمْ وَشَأْنَهُمْ مَاهِرٌ بِمَاهِـــرْ[2]

(١) ابراهيم نجيب باشا ، هو ابن الدكتور ابراهيم بك نجيب ، ولد سنة ١٢٧٣ﻫ وتلقى علومه الأولية فى مدرسة الفرير ، ثم انتقل منها إلى مدرسة الادارة ، وبعد أن نال شهادتها سافر إلى فرنسا لتلقى علوم القانون ، وعاد إلى مصر فتولى عدة مناصب قضائية وإدارية ، منها محافظة القاهرة ، ثم وكالة الداخلية .

(٢) فى قوله : « ماهر بماهر » جناس واضح ، فانه أراد بماهر الأول مصطفى ماهر باشا وكيل الداخلية الجديد إذ ذاك ، وبالثانى ، المعنى اللغوىّ لكلمة «ماهر» مريدا ابراهيم نجيب باشا الوكيل السابق .

— ٣ —

إلى مصطفى[1] ماهر باشا وكيل الداخلية

يشير الشاعر فى هـذه الأبيات إلى إبطائه فى السعى إلى تولى منصب النظارة واجتهاد محمد سعيد بك (باشا) فى السعى إلى ذلك المنصب حتى ناله

مَاهِرُ السُّلْطَةُ فى مِصْرَ لَهَا ... صُوَرٌ تَسْبِي الْبَرَايَا زَاهِيَهْ[2]

فَازَ بِالأُولَى سَعِيدٌ إِذْ جَرَى ... وَتَبَاطَأْتَ فَحُزْتَ التَّالِيَهْ[3]

لَوْ تَسَرَّعْتَ وَوَسَّعْتَ الْخُطَا ... نِلْتَ أُولاهَا وَنَالَ الثَّانِيَهْ

---

(١) ولد مصطفى ماهر باشا بمدينة الاسكندرية ، وبعد أن أخذ حظه من الدراسة العالية جعل معاونا للادارة ، ثم كان مترجما فى وزارة الحربية ، فسكرتيرا لوزيرها ، وظل يترقى فى المناصب حتى عين مديرا للدقهلية ، فوكيلا للداخلية ، سنة ١٩٠٨ م واختاره المغفور له ثروت باشا وزيرا للمعارف فى سنة ١٩٢٢ م ، ثم كان بعدها رئيسا للنقابة الزراعية ، ثم اختاره المغفور له عدلى يكن باشا وزيرا للمالية فى وزارة الانتقال المعروفة سنة ١٩٢٩ م . وكانت وفاته فى مارس سنة ١٩٣٢ م .

(٢) زاهية ، أى مشرقة متألقة .

(٣) يريد بالأولى : النظارة . وبالتالية : الوكالة .

— ٤ —

النيابة العمومية

إلى عبد الخالق[1] ثروت بك (باشا)

قَدْ أَلِفَتْ عُصَبُ اللُّصُو ... صِ مُحَاكِماً فِي كُلِّ قِسْمِ

وَرَمَوْكَ (ثَرْوَتُ) بِالنَّبَا ... هَـةِ كُلِّهَا وَبِكُلِّ عِـلْمِ

وَالْعِلْمُ فِي الحُكَّامِ عِنْـ ... ـدَ الجَاهِلِينَ أَجَـلُّ جُرْمِ

فَاحْذَرْهُمُ إِنْ سِرْتَ فِيـ ... ـهِمْ سِيرَةَ اليَقِظِ الأَشَمِّ

عُوفِيتَ مِنْ قَـــومٍ إِذا ... قَدَرُوا خَلَوْا مِن كُلِّ حِلْمِ

---

(١) عبد الخالق ثروت باشا هو ابن اسماعيل عبد الخالق باشا . وولد عبد الخالق باشا فى سـنة ١٨٧٣م . وبعد أن تعلم فى مصر ونال شهادة الحقوق تقلد عدة مناصب قضائية وإدارية ، وهو أول مصرى تولى منصب النيابة العمومية وتولى رآسة الوزارة فى سـنة ١٩٢٢م . وتم فى عهد وزارته حصول البلاد على تصريح ٢٨ فبراير المعترف فيه من بريطانيا باستقلال مصر وسـيادتها ، ثم رأس الوزارة مرة أخرى أيام تآلف الأحزاب المصرية ، ثم اعتزل السياسـة أخيرا ، وسافر إلى باريس للاستشفاء بها ، فتوفى فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٨م ، وكان من سوّاس مصر المعترف بحذقهم وبصرهم بشؤون السياسة والحكم .

— ٥ —

فى جوف الحيتان

يريد صبرى بهذين البيتين نفسه ، ويشير إلى أنه قد أصبح منسيًا لا يُذكر اسمه عند توزيع هذه المناصب ، لاعتزاله وعدم طمعه فى شىء منها فكأنه فى جوف الحيتان

أيْنَ(صَبْرِى)؟مَنْ يَذْكُرُ اليَوْمَ(صَبْرِى)؟ بَعْدَ أَعْوَامِ عُزْلَةٍ وشُهُورِ
إسْأَلُوا الشِّعْرَ فهوَ أعْلَمُ هَلاَّ أَكَلَتْهُ الأَسْمَاكُ طَىَّ بُحُورِ ؟[١]

---

(١) يلاحظ أن الشاعر استعمل حرف « هلاّ » فى هذا البيت بمعنى هل الاستفهامية ، والمعروف فى كتب اللغة أنها للحث والتحضيض ، كما يلاحظ أن فى قوله : « طىّ بحور » تلميحا إلى بحور العروض المعروفة .

— ٦ —

إلى صالح[١] ثابت باشا

يشير بهذين البيتين إلى إحجام صالح ثابت باشا عن السعى مع الساعين
لتولّى إحدى هذه النظارات فى نظارة بطرس غالى باشا

قُلْتُ (يا صالحُ) أَزْمِعْ دَلْوَكَ فِي جُمْلَةِ الدِّلَا[٢]
قال : دَعْنِي كما أَشَا أَحْكُمُ اليَوْمَ فِي المَلَا[٣]

---

(١) صالح ثابت باشا ، هو من قضاة مصر المعروفين بالعدل والنزاهة والخبرة الواسعة بعلوم القانون ، وهو ابن المرحوم محمد ثابت باشا من أسرة شركسية عريقة ، تلقى مبادئ العلوم فى مدرسة الأنجال ، ثم انتقل منها إلى إحدى المدارس الراقية فى مصر ، وسافر بعد ذلك إلى أوربا ، فتلقى علوم القانون ، وعاد إلى مصر ، فتولى عدة مناصب إدارية وقضائية ، وآخر منصب تولاّه رآسة محكمة الاستئناف ، وتوفى فى سنة ١٩١٨م .

(٢) يقال : « ألق دلوك فى الدلاء » أى اسع مع الساعين .

(٣) يشير بقوله : « أحكم اليوم فى الملا » إلى منصبه القضائىّ فى رآسة محكمة الاستئناف .

— ٧ —

على لسان يعقوب[١] أرتين باشا

بعد اعتزاله منصبه فى وكالة المعارف

أَلَا فَاعْذِرُونِى إِنْ قَنِعْتُ مِنَ الْوَرَى ... بِمَا حُزْتُ مِنْ فَخْرٍ وَمَا نِلْتُ مِنْ رُتَبْ

فَمَا عَنْ قِلًى فَارَقْتُ (سَعْدًا) وَإِنَّمَا ... تَفَرَّغْتُ بَيْنَ النَّاسِ لِلْعِلْمِ وَالأَدَبْ[٢]

---

(١) يعقوب أرتين باشا ، هو ابن أرتين بك من أسرة أرمنية الأصل ، ولد فى سنة ١٨٤٢م وتلقى مبادئ العلوم على أحد أساتذة الأرمن الأكفاء ، ثم سافر إلى باريس وألحق ببعض مدارسها المختارة ، وظل بها سبع سنين ، ثم عاد إلى مصر سنة ١٨٦١ وتعلم التركية والفارسية والعربية ، وعاد ثانية إلى أوربا سنة ١٨٦٦ للتزود من العلم ، فاستفاد كثيرا ، وفى سنة ١٨٧٣ عينه المغفور له اسماعيل باشا مربيا للأمراء ، ومنهم المغفور له جلالة الملك فؤاد الأول ، ثم كان كاتما للأسرار الأوربية ، وتقلد بعد ذلك عدة مناصب ؛ وفى سنة ١٨٨٤ عين وكيلا لوزارة المعارف العمومية ، وأنشئت فى عهده دار الكتب المصرية ، ودار الآثار العربية والآثار المصرية ، وتوفى سنة ١٩١٩م .

(٢) القلى : البغض .

— ٨ —

إلى شكّور [1] باشا

عند ما اعتزل منصبه فى رآسة المجلس البلدىّ بالإسكندرية
ويشير إلى تولّيه بعد ذلك إدارة بيرة الاهرام

أين (شَكُّورُ) هل العَذْ ... ياءُ فى جُبٍّ نَفَتْهُ
أَكَلَتْهُ البِيرَةُ اليَوْ ... مَ ترى أمْ شَرِبَتْهُ ؟

---

(١) كان يوسف شكّور باشا من رجال مصر الممتازين فى العلم بالمسائل المالية ، ولد فى مدينة الاسكندرية سنة ١٨٥٥م ، ولما شب وترعرع سافر إلى فرنسا، ودخل مدارس ليون وأتم علومه بها ، ثم عاد إلى مصر ، فتقدم للامتحان فى المجلس العالى لصندوق الدين ، وبعد نجاحه فى الامتحان أسند إليه بعض المناصب فى نظارة المالية ، ثم صار يترقى حتى عهدت إليه الحكومة بتنظيم المجلس البلدى لمدينة الاسكندرية ، وبعد أن أتم تنظيمه أسندت إليه الحكومة رآسته حتى تركه فى سنة ١٩٠٨م .

— ٩ —

إلى يوسف سابا[1] باشا

يشير بهذين البيتين إلى تولّيه رآسة شركة مياه القاهرة

أين (سَابَا) أين (سابا) يا تُرَى أين (سَابَا) ذو المَزَايا الباهِرَهْ

قال لى قـــومٌ ثِقَاتٌ: إنَّهُمْ لَمَحُوهُ فِى مِيـاهِ القاهِرَهْ

---

(١) ولد يوسف سابا باشا سنة ١٨٥٢ م من عائلة سورية استوطنت القطر المصرى فى زمن محمد على باشا الكبير، وبعد أن أتم علومه عين فى مصلحة البوستة سنة ١٨٧٢م وأسندت إليه وكالتها سنة ١٨٨٥م وجعل مديرا لهـا فى سـنة ١٨٨٧م وناب عن الحكومة المصرية فى عدة مؤتمرات؛ وهو أول وطنى عين مديرا لمصلحة كبيرة، كما أشار إلى ذلك اللورد كرومر فى تقريره، وأثنى على مقدرته وكفايته ثناء عظيما، وبعد استقالته من هـذا المنصب جعل مديرا لشركة مياه القاهرة، وقد عرض عليه الصدر الأعظم مختار باشا أن يذهب إلى الآستانة ويكون وزيرا فيها للبوستة والتلغراف والتليفون، فذهب إليها، ولكنه وجد الحالة لا تمكّنه من الاصلاح الذى ينويه، فعاد إلى مصر، وأسندت إليه نظارة المـالية سنة ١٩١٠ م فبقى فى هذا المنصب أكثر من سنتين، ثم مرض أحد أبنيه وهو فريد سابا وتوفى، فأثّرت وفاته على والده تأثيرا شديدا، فاستقال وعاد لادارة شركة المياه، ولمـا أنشئ البرلـمان اختير عضوا فى مجلس الشيوخ ولم يمكث به طويلا حتى توفى فى مارس سنة ١٩٢٤ م.

— ١٠ —

إلى إسكندر(١) فهمى باشا مدير السكك الحديدية

يشير بهذين البيتين إلى اعتزاله منصبه فى هذه الإدارة

أَصُلْبٌ أَنتَ ؟ قُلْ لِى ، حارَ أَمْرِى — إِذَا فَكَّرْتُ فِيكَ — وَضَاعَ حَدْسِى(٢)

خَرَجْتَ مِنَ الشَّرِيطِ وَلَمْ تَهَشَّمْ كَأَنَّكَ خارِجٌ مِنْ بَيْتِ عُرْسِ(٣)

(١) ولد اسكندر فهمى باشا حوالى سنة ١٨٣٤ م وتلقى دروسه فى مدرسة الأقباط الكبرى التى أنشأها الأنبا كرلس الرابع ، وتعلم فيها اللغتين الايطالية والفرنسوية ، وألحق بادارة السكة الحديدية فى أول نشأتها وكان لا يزال يافعا ، وهو الموظف الوحيد الذى اتفق دخوله فى هذه المصلحة مع دخول أول قاطرة إلى مصر ، وقد أظهر من الكفاية والبراعة فى جميع الأعمال التى تقلدها ما كان سببا فى اطراد رقيه ، إلى أن صار مأمورا لادارة السكة الحديدية ، فاشترك فى وضع أنظمة الادارة والحركة والمراقبة فيها ، وقد مدت فى أيامه أكثر خطوطها ، وأنشئ معظم محطاتها ، وقد اشتهر بقوة الذاكرة حتى إنه ما كان يغيب عنه اسم موظف فى هذه المصلحة على كثرتهم وانتشارهم من شمالى مصر إلى جنوبيها ، كما أنه كان يحفظ جميع مواد اللوائح والقوانين التى تسير عليها ، ولهذا كان يدعى «قاموس السكة الحديدية» ولما اعتزل الخدمة عين رئيسا لقومسيون السكة الحديدية ، ثم عضوا دائما فى مجلسها الأعلى انتفاعا بخبرته ، وكانت وفاته فى يناير سنة ١٩٣١ م .

(٢) يلاحظ أن فى قوله « أصلب » إشارة إلى المعدن الذى تصنع منه القضبان والقاطرات وغيرها من الآلات . والحدس : الظن .

(٣) لا يخفى ما فى قوله : « خرجت من الشريط » من التلميح إلى الشريط الحديدى المعروف . وتهشم : تتهشم .

استنهاض الأمّة المصرية

إلى التشبه بالأمة التركية فى المطالبة بالحكم النيابىّ

قالها ارتجالا حينما سمع قول شوقى فى افتتاح مجلس المبعوثان التركى :

مَا بَيْنَ آمالِكَ اللَّائِى ظَفِرْتَ بِهَا ... وَبَيْنَ مِصْرَ مَعَانٍ أنتَ تَدْرِيهَا

فقال صبرى : لو أنصف شاعر الأمير لأتم قصيده بعد هذا البيت السابق بهذه الأبيات ، نشرت فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٠٨ م

يا مِصْرُ سِيرِى عَلَى آثارِهِمْ وَقِفِى ... تِلْكَ المواقِفَ فِى أَسْنَى مَجالِيها[١]

لا يُؤْيِسَنَّكِ ما قالوا وما كَتَبُوا ... بينَ البَرِيَّةِ تَضْلِيلاً وتَمْوِيها[٢]

إنْ يَمْنَعُوا النَّاسَ مِنْ قَوْلٍ فَما مَنَعُوا ... أنْ يَنْطِقَ الحقُّ بالشَّكْوَى ويُبْدِيها

اَلحقُّ أكْبَرُ مِنْ أنْ تَسْتَبِدَّ بِهِ ... يَدٌ وإنْ طَالَ فِى بُطْلٍ تَمادِيها[٣]

مَا ضَيَّعَ اللهُ ظُلْمًا أُمَّةً نَهَجَتْ ... إِلَى الْمَفَاخِرِ نَهْجًا وَهْوَ هَادِيها[٤]

---

(١) آثارهم ، أى آثار الترك . ومجاليها : مظاهرها .

(٢) يشير بهذا البيت إلى ما كان يكتبه دعاة الاستعمار من أكاذيب يراد بها تشويه النهضة الوطنية فى مصر ، والحطّ من شأن الأمة المصرية فى نظر العالم التمدين ، ويرغب الشاعر إلى مصر ألاّ يثنيها ذلك عن المطالبة بحقها فى الدستور والحكم النيابى .

(٣) البُطل : الباطل .

(٤) نهجت : سلكت . والنهج : الطريق .

فقلّدوا الأمّةَ الكُبْرى وقدْ رَكِبَتْ متْنَ الفَخَارِ وكانَ الجِدُّ حادِيها[1]

تماسَكَتْ وهىَ شتّى فهىَ واحِدَةٌ فِى القَصْدِ حينَ رأَتْ كُثْرًا أعادِيها[2]

يا آيةَ الفخرِ هَلّا تنزلِينَ — كما نزلتِ ثَمَّ — علَى مِصْرٍ وأَهْلِيها[3]

كَيْمَا تجُرَّ ذُيُولًا منْكِ جرَّرَها مِنْ قَبْلِنَا التُّرْكُ فِى أوْطَانِهِمْ تِيها[4]

(ياعابدِين) لأَنتِ اليَوْمَ مَصْدَرُها وَفى ذَرَاكِ — بإذْنِ اللهِ — مُوحِيها[5]

---

(١) الأمة الكبرى : يريد أمة الترك . والمتن : الظهر . والجِدّ : الاجتهاد .

(٢) تماسكت : اتحدت . والكثر : الكثير . يقول . إن الأتراك اتحدوا فى القصد بعد الفرقة حين رأوا كثرة أعدائهم لهم ، ويشير بذلك إلى جمعية الاتحاد والترقى .

(٣) ثم ، أى هنـاك .

(٤) جرّ الذيل : كناية عن الفخر والزهو .

(٥) ياعابدين : يخاطب الخديوى عباس الثانى . وذرا البيت : كنفه وظله . يقول : إن عابدين هى مبعث تلك النهضة ، ومنها تتلقى الأمة وحى هذه المفاخر .

إلى الخديوى السابق عباس الثانى

قالها يستنجزه وعده بأن يمنح الأمة المصرية الحكم النيابىّ ، ويلوح لنا أن هذه الأبيات من قصيدته التى هنأ بها الخديوى عباس بعيد الأضحى ، وفيها يذكر حادثة دنشواى المعروفة ، ويشكر الخديوى على العفو عن المسجونين فى هذه الحادثة ، وأوّلها : « لو أن أطلال المنازل تنطق » ، وهى منشورة فى هذا الديوان صفحة ٥٤

عَبَّاسُ طِبْتَ مَنَابِتًا وَمَنَاقِبًا ... وَبَلَغْتَ شَأْوًا فِى الْعُلَا لا يُلْحَقُ (١)

كُلُّ الْمَمَالِكِ نُوِّلَتْ مَا تَرْتَجِى ... مِنْ أَنْعُمِ الشُّورَى وَمُلْكُكَ مُطْلَقُ (٢)

مُرْ بِالَّذِى صَرَّحْتَ قَبْلُ بِهِ وَقُلْ ... وَاصْدُقْ فَمِثْلُكَ مَنْ يَقُولُ وَيَصْدُقُ

عَوَّذْتُ مَجْدَكَ بِالْكِنَانَةِ أَنْ يَرَى ... آمَالَ قَوْمِكَ فِيكَ لَا تَتَحَقَّقُ

كُنْ رَاعِيًا يَرْعَى الْأُسُودَ فَمَنْ رَعَى ... غَنَمًا يَبِتْ يَخْشَى الذِّئَابَ وَيَفْرَقُ (٣)

---

(١) المنابت : الأصول . والمناقب : الخلال الطيبة ، الواحدة منقبة . والشأو : الغاية .

(٢) ملكك مطلق ، أى محكوم بحاكم مطلق لا رقيب عليه من شعبه .

(٣) يفرق : يفزع ويخاف . يرغب إليه أن ينيل أمته حقها فى حكم نفسها فيجعل منها أسودا يرهبها العدوّ ، ولا يسترقها استرقاق الراعى لغنمه ، فيبيت قلق البال عليها خشية الذئاب .

حثّ الأمة المصرية

على طلب المجد وتذكيرها بماضيها

قالها على لسان فرعون يخاطب قومه ، نشرت فى سنة ١٩٠٩ م

لَا الْقَوْمُ قَوْمِى وَلَا الأَعْوَانُ أَعْوَانِى ... إِذَا وَنَى يَوْمَ تَحْصِيلِ الْعُلَا وَانِى

وَلَسْتُ — إِنْ لَمْ تُؤَيِّدْنِى فَرَاعِنَةٌ ... مِنكُم — بِفِرْعَوْنَ عَالِى الْعَرْشِ وَالشَّانِ (١)

وَلَسْتُ جَبَّارَ ذَا الوَادِى إِذَا سَلِمَتْ ... جِبَالُهُ تِلْكَ مِنْ غَارَاتِ أَعْوَانِى (٢)

لَا تَقْرَبُوا النِّيلَ إِنْ لَمْ تَعْمَلُوا عَمَلًا ... فَمَاؤُهُ الْعَذْبُ لَمْ يُخْلَقْ لِكَسْلَانِ

رِدُوا الْمَجَرَّةَ كَدًّا دُونَ مَوْرِدِهِ ... أَوْ فَاطْلُبُوا غَيْرَهُ رِيًّا لِظَمْآنِ (٣)

وَابْنُوا كَمَا بَنَتِ الأَجْيَالُ قَبْلَكُمُ ... لَا تَتْرُكُوا بَعْدَكُمْ فَخْرًا لِإِنْسَانِ

---

(١) فراعنة منكم ، أى رجال منكم يشبهوننى فى علو الهمة . يقول : إن لم يعاونّى منكم رجال على هذه الصفة ، فلست فيكم بذلك الملك العظيم الذى يفتخر بعرشه وأمته .

(٢) يحثّهم فى هذا البيت على مواصلة الغزو .

(٣) المجرة : عدة نجوم فى السماء تبدو للناظر كأنها بقعة بيضاء ، ويشبّهها الشعراء بالنهر . والكدّ : التعب والاجتهاد . يحث أمته على العمل للمجد فيقول : اصعدوا إلى السماء بأعمالكم العظيمة ، واشربوا من نهر المجرة قبل أن تردوا ماء النيل .

أَمَرْتُكُمْ فَأَطِيعُوا أَمْرَ رَبِّكُمُ ... لَا يَثْنِ مُسْتَمِعًا عن طاعةٍ ثانى (١)

فَالْمُلْكُ أَمْرٌ وَطَاعَاتٌ تُسَابِقُهُ ... جَنْبًا لِجَنْبٍ إلى غَايَاتِ إِحْسَانِ

لَا تَتْرُكُوا مُسْتَحِيلًا فِى اسْتِحَالَتِهِ ... حَتَّى يُمِيطَ لَكُمْ عَنْ وَجْهِ إِمْكَانِ (٢)

مَقَالَةٌ هَبَطَتْ مِنْ عَرْشِ قَائِلِهَا ... عَلَى مَنَاكِبِ أَبْطَالٍ وَشُجْعَانِ

مادَتْ لها الْأَرْضُ مِنْ ذُعْرٍ ودانَ لها ... مافى المُقَطَّمِ مِنْ صَخْرٍ وَصَوَّانِ (٣)

لو غَيْرُ فِرْعَوْنَ أَلقاها عَلَى مَلَإٍ ... فِى غيرِ مصرَ لَعُدَّتْ حُلْمَ يَقْظانِ

لَكِنّ فرعونَ إِنْ نادَى بها جَبَلًا ... لَبَّتْ حِجارتُه فى قَبْضَةِ البانى

وآزَرَتْهُ جَماهِيرٌ تَسِيلُ بها ... بِطاحُ وادٍ بماضى القَوْمِ مَلآنِ (٤)

يَبْنُونَ ما تَقِفُ الْأَجْيالُ حائرةً ... أَمامَه بين إِعْجابٍ وإِذْعانِ (٥)

مِنْ كُلِّ مالَمْ يَلِدْ فِكْرٌ ولا فُتِحَتْ ... عَلَى نَظَائِرِهِ فى الكَوْنِ عَيْنانِ

---

(١) يثنى : يصرف .

(٢) يميط لكم ، أى يكشف لكم . يقول : اعملوا حتى تدعو المستحيل ممكنا .

(٣) مادت : مالت . والذعر : الخوف . ودان لها : استذل وخضع . يقول : إن الأرض اهتزت بهذه المقالة واضطربت فزعا وخضعت لها حجارة الجبل فاتخذوا منها ما يشاءون من تماثيل وأبنية .

(٤) آزرته : عاونته . و«تسيل بها» الخ كناية عن امتلاء الوادى بساكنيه .

(٥) يشير بهذا البيت والذى بعده إلى ما فى الآثار المصرية من إعجاز بهر الأجيال وملأ أهلها إيمانا بعظمة مصر .

ويُشْبِهُونَ إذَا طارُوا إلَى عَمَلٍ ... جنًّا تَطِيرُ بأَمْرٍ مِنْ (سُلَيْمانِ)

برًّا بذِي الْأَمْرِ لا خَوْفًا ولا طَمَعًا ... لَـٰكِنَّهُمْ خُلِقُوا طُلَّابَ إتْقَانِ [1]

أَهْرَامُهُمْ تلك حَىّ الْفَنِّ مُتَّخِذًا ... مِنَ الصُّخُورِ بُرُوجًا فَوْقَ كِيوانِ [2]

قد مَرَّ دَهْرٌ عليها وهىَ ساخِرةٌ ... بما يُضَعْضِعُ مِنْ صَرْحٍ وَإيوَانِ [3]

لَمْ يأخُذِ الليْلُ منها والنّهارُ سِوَى ... ما يَأْخُذُ النّمْلُ مِن أَرْكانِ ثَهْلانِ [4]

كأنّهَا — والعَوادِى فى جَوانِبِها ... صَرْعَى — بِنَاءُ شَيَاطِينٍ لِشَيْطَانِ [5]

جاءَتْ إلَيْهَا وُفُودُ الأرضِ قاطِبَةً ... تَسْعَى اشْتِياقًا إلى ما خَلَّدَ الفَانِى

فصَغَّرَتْ كُلَّ مَوْجُودٍ ضَخَامَتُهَا ... وغَضَّ بُنْيَانُها مِنْ كلِّ بُنْيَانِ [6]

---

(١) برًّا بذى الأمر ، أى طاعة لملكهم .

(٢) حىّ الفن : موطنه ومعهده . وكيوان : اسم كوكب زحل ؛ وهو لفظ معرّب .

(٣) الصرح : البناء العالى . يقول : إن هـذه الأهرام قد توالت عليها الأزمان وهى ثابتة على حالها لا تتغير ، فجعل ثبوتها على الزمن كأنه سخرية بما يهدم من بناء شامخ ، وما يُهدّ من قصر منيف .

(٤) ثهلان : جبل عظيم فى بلاد بنى نمير بنجد .

(٥) العوادى : حوادث الزمان ونوائبه . وصرعى : ملقاة . يقول : إن حوادث الزمان قد عجزت عن أن تنال من الأهرام ، فكأنها صريعة حولها لا تستطيع النيل منها ، وكأن الأهرام من بنـاء الشياطين التى لا يذهب بها الزمن .

(٦) غض ، أى نقص .

وعادَ مُنْكِرُ فَضْلِ القَوْمِ مُعْتَرِفًا يُثْنِى عَلَى القومِ فى سِرٍّ وَإعْلَانِ
تلكَ الهَيا كِلُ فى الأمْصارِ شاهِدَةٌ بأنَّهُمْ أهْلُ سَبْقٍ ، أهلُ إمْعانِ [1]
وأنَّ فِرْعَوْنَ فى حَوْلٍ وَمَقْدِرَةٍ وقَومَ فِرْعَونَ فى الإقْدامِ كُفْؤانِ [2]
إذَا أقامَ عَليهِمْ شاهِداً حَجَرٌ فى هَيْكلٍ قامَتِ الأُخْرَى بِبُرْهانِ
كأنَّما هِىَ والأقْوامُ خاشِعَةٌ أمامَها صُحُفٌ مِنْ عالَمٍ ثانى [3]
تَسْتَقْبِلُ العَيْنَ فى أثنائِها صُوَرٌ فَصيحةُ الرَّمْزِ دارَتْ حَوْلَ جُدْرانِ
لو أنَّها أُعْطِيَتْ صَوْتاً لَكانَ له صَدًى يُرَوِّعُ صُمَّ الإنْسِ والجانِ [4]

* * *

أيْنَ الأُلَى سَجَّلُوا فى الصَّخْرِ سِيرَتَهُمْ وصَغَّرُوا كُلَّ ذِى مُلْكٍ وَسُلْطانِ
بادُوا وبادَتْ عَلَى آثارِهِمْ دُوَلٌ وأُدْرِجُوا طَىَّ أَخْبارٍ وأَكْفانِ [5]
وخَلَّفُوا بَعْدَهُمْ حَرْباً مُخَلَّدَةً فى الكَوْنِ مَا بَيْنَ أَحْجارٍ وأزمانِ [6]

---

(١) يريد بالإمعان : الاستقصاء والمبالغة فى إتقان الفن .
(٢) الحول : القوة . والكفء : المثيل .
(٣) يريد بالأقوام : جموع السائحين من الأمم الأخرى . و « عالم ثانى » أى غير العالم الذى يقع تحت حسهم . يريد أن هؤلاء السائحين يرون من فن المصريين القدماء مالا عهد لهم به .
(٤) يشير بهذا البيت والذى قبله إلى دقة التصوير فى الفن المصرى القديم .
(٥) بادوا : هلكوا .
(٦) يقول : إن هؤلاء القوم قد ذهبوا وتركوا آثارهم تغالب الزمن ويغالبها فهى معه فى حرب دائمة .

وَزَحْزَحُوا عَن بَقَايَا مَجْدِهِمْ وَسَطَا عليهمُ العِلْمُ ذَاكَ الجاهلُ الجانى[١]

وَيْلٌ له هَتَكَ الأَسْتَارَ مُقْتَحِماً جَـلالَ أَكْرَمِ آثارٍ وَأَعْيانِ

لَلْجَهْلُ أَرْجَحُ منـهُ فى جَهَالَتِهِ إذا هُمَـا وُزِنَا يَومًا بِمِيزانِ[٢]

الانقلاب العثمانىّ

وخلع السلطان عبد الحميد[٣]

قالها فى ثورة الأتراك وتولية السلطان محمد الخامس سنة ١٩٠٩ م

يا نَاظِرَ التُّرْكِ قد فارَتْ مَرَاجِلُهُمْ بَيْنَ الدُّرُوبِ وَفى عَرْضِ المَيَادِينِ[٤]

قُلْ لِلْبَرَاكِينِ كُفِّى نحن فى شُغُلٍ ذا اليومَ عَنكِ بِبُرْكانِ البَرَاكِينِ[٥]

---

(١) يقول : إنهم أبعدوا بالموت عن تلك الآثار العظيمة وسطا العلم الحديث عليهم فى مقابرهم فأخرجهم منها لعرض جثثهم على أنظار الناس ؛ والشاعر يلوم العلم على استباحة حرمتهم بذلك .

(٢) منه ، أى من العلم .

(٣) ولد السلطان عبد الحميد فى ٢١ سبتمبر سنة ١٨٤٢ م وولى الملك فى أغسطس سنة ١٨٧٦ م وخلع فى ٢٧ ابريل سـنة ١٩٠٩ م وتوفى فى ١٠ فبراير سنة ١٩١٨ م .

(٤) المراجل : القدور ، الواحد مرجل بكسر الميم وفتح الجيم . وفورة المراجل : كناية عن الثورة . والدروب : الطرق الضيّقة .

(٥) يشبّه ثورة الترك بثورة البركان العظيم ، ويخاطب البراكين بأن تكف عن ثورانها اكتفاء بثورة هذا البركان التركى .

هل الجبالُ الرّواسى عِندها خبَرٌ ... بما تَصَدَّعَ مِن شمٍّ العَرَانينِ ؟ (١)

وهَلْ رأى النَّسْرُ شيئاً فى السَّماء حَكَى ... ما هَزَّ يَلْدِزَ مِن بأسِ الشَّوَاهينِ ؟ (٢)

قَالُوا: لقدْ خَرَّ مِنْ صرْحِ العُلاَ وهَوَى ... ذُو السُّلطَتَيْنِ وَرَبُّ الكافِ والنُّونِ (٣)

أَهْوِلْ بِها صَيْحَةً فِى الكَوْنِ قاصِفَةً ... تُزَلزِلُ الأَرْضَ مِنْ حينٍ إلى حينِ ؟

وَتَقْشَعِرُّ لها التِّيجَانُ مِنْ فزَعٍ ... فوقَ العُرُوشِ عَلَى هَامِ الخَوَاقِينِ (٤)

تاللهِ إنْ صَدَقُوا فِى قَوْلِهِمْ كَذَبَتْ ... أَلْقَابُ ذِى المُلْكِ مِنْ عِزٍّ وتَمْكِينِ (٥)

---

(١) تصدّع : تشقق . والعرانين : أعالى الجبال ، الواحد عرنين . شبه بها مكانة السلطان عبد الحميد فى علوها وقد نالت الأمة منها واستباحت حرمتها فأنزلته عن عرشه .

(٢) الشواهين : الصقور ، الواحد شاهين ؛ وهو لفظ معرب . ويلدز : قصر الخليفة بالآستانة . يشير إلى دخول الثوار من الأتراك على السلطان فى قصره واضطراب القصر لهذا الحادث العظيم ، فشبه الثوار وهم أعضاء جمعية الاتحاد والترقى بالصقور ، ويقول : هل رأى النسر وهو يطير صقورا تهز بيأسها النجم فى السماء ، ويشير إلى أن يلدز معناه بالتركية النجم .

(٣) خر : سقط . والصرح : ما علا من البناء . وذو السلطتين : عبد الحميد . والسلطتان ، هما السلطة الدينية والزمنية . ورب الكاف والنون ، أى يقول للشىء : كن ، فيكون .

(٤) تقشعر : تتقبض خوفا وفزعا . والهام : الرءوس ، الواحدة هامة . والخواقين : جمع خاقان ، وهو لقب لسلطان الترك .

(٥) يقول : إذا صدق هذا النبأ وسقط السلطان من عرشه كان ما يلقبون به السلطان من ألقاب تنبئ عن العز والقوة كذبا لا حقيقة له ، لما تبين من أن لا قوة ولا عز للملوك .

يا نائماً والقَنَا غابٌ تَحُفُّ به أَفِقْ فَرُبَّ أَمَانٍ غَيْرِ مأمون [1]

وَانْظُرْ حوَالَيْكَ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ حَذَرٍ فالغابُ مذ خُلِقَتْ مَأْوَى السَّرَاحِينِ [2]

لم تأمن الشمسُ ـ وهى الشَّمسُ ـ ماخبأَتْ لها المَقَادِيرُ فِي طَيِّ الأَحَايِينِ

(عبدالحميد) سَيُحْصَى مَاصَنَعْتَ غَدًا بين الأنام وَيُلْقَى فِي الْمَوَازِينِ

إِنْ يرْجَحِ الْخَيرُ ـ نِعْمَ الْخَيرُ مِنْ عَمَلٍ ـ دَخَلْتَ فِي زُمْرَةِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ

أو يَغْلِبِ الشرُّ ـ لا كَانَتْ عِصَابَتُهُ ـ عُدِدْتَ فِي صَرْحِهِ أَقْوَى الأَسَاطِينِ [3]

إِنْ لم تَكُنْ ـ لَا ثَنَاكَ الدَّهْرُ عَنْ أَمَدٍ ـ شَيْخَ السَّلَاطِينِ كُنْ شَيْخَ الفَرَاعِينِ [4]

إِنَّا عَهِدْنَاكَ لَا تَرْضَى إِذَا اسْتَبَقَتْ صِيدُ الْمُلُوكِ ـ إلى الغاياتِ ـ بالدُّونِ [5]

لَا يُرْهِقَنَّكَ حُكْمُ النَّاسِ فَهوَ غَدًا مُسْتَأْنَفٌ عند سُلْطَانِ السَّلَاطِينِ [6]

---

(١) القنا : الرماح ، الواحدة قناة . يقول : أيها الآمن المستنيم إلى الزمن أقصر عن استنامتك واستئمانك فان ما تحصّنت به من أسلحة تحيط بك إحاطة الغاب بالأسد لا تغنى عنك شيئا .

(٢) السراحين : الذئاب ، الواحد سرحان .

(٣) أساطين البناء : دعائمه ، الواحدة أسطوانة .

(٤) ثناك : صرفك . والأمد : الغاية .

(٥) الصيد : جمع أصيد ، وهو الرافع رأسه كبرا وزهوا ، من الصيد بالتحريك ، وتوصف به الملوك والأشراف .

(٦) لا يرهقنك ، أى لا يشق عليك ، وسلطان السلاطين ، هو الله تعالى . يقول : إذا حكم عليك قومك اليوم بما لا ترضاه ، فان الله سيحكم بينك وبينهم يوم القيامة .

يَاقَوْمَ عُثْمَانَ حَيُّوا فِي مَعَاهِدِكُمْ … عَصْرَ الرَّشَادِ وَرِيشُوا البَأْسَ بِاللِّينِ (١)

إِنْ تَنْصُرُوهُ تَرَوْا تَحْقِيقَ مَا طَمَحَتْ … إِلَيْهِ أَنْفُسُ هَاتِيكَ الْمَلَايِينِ (٢)

الحَقُّ أَبْلَجُ سُلُّوا دُونَ بَيْضَتِهِ … قَبْلَ السُّيُوفِ سُيُوفًا مِنْ بَرَاهِينِ (٣)

لَا تَلْبَسُوا ثَوْبَهُ بَيْنَ الأَنَامِ غَدًا … مُلَطَّخًا بِدَمِ القَوْمِ المَسَاكِينِ (٤)

* * *

يَا مُقْفِرَ الْمُلْكِ إِلَّا مِنْ جَلَالَتِهِ … وَمُلْبِسَ الْقَوْمِ ثَوْبَ الْعِزِّ وَالْهُونِ (٥)

وَجَاعِلَ الأَمْرِ وَالأَحْكَامِ بَيْنَهُمُ … سِرَّ المَلَائِكِ أَوْ سِرَّ الشَّيَاطِينِ (٦)

---

(١) عصر الرشاد ، أى عصر السلطان محمد رشاد . وراش السهم يريشه : إذا ألزق به الريش ليكون أسرع فى مضيه نحو الهدف . والبأس : القوة . يوصى الأتراك أن يخلطوا الشدة باللين فى معاملة أعوان السلطان عبد الحميد ، ولا يبالغوا فى أعمال العنف والعسف .

(٢) طمحت إليه ، أى طمعت فيه وتاقت إلى تحقيقه .

(٣) أبلج ، أى واضح مشرق . وبيضة الحق : حوزته . يخاطب بهذا البيت والذى بعده الثوار من الأتراك ، ويرغب إليهم ألا يلجأوا إلى قتل أنصار السلطان المخلوع ، ويقول : إن الحق واضح فأقنعوا خصومكم فيه بالبرهان قبل السيف .

(٤) ثوبه ، أى ثوب الحق . وغدا ، أى يوم القيامة . ويريد بالقوم المساكين : الذين قتلهم الثوار ظلما .

(٥) يريد بالشطر الأول من هذا البيت أن السلطان المخلوع قد أخلى بلاده من كل شيء إلا ما يفيده العظمة والجلال لشخصه دون أمته . والهون : الذل .

(٦) يشير إلى ما كان يحيط بأوامر السلطان وتدبيراته من الكتمان والخفاء فشبهها بسر الملائكة أو سر الشياطين لا يظهر للناس .

نداء(١) إلى الأقباط

قالها فى التوفيق بينهم و بين المسلمين فى الفتنة التى وقعت بين العنصرين فى سنة ١٩١١ م

مَعْشَرَ القِبْطِ يا بَنِى مِصْرَ فى السَّــــرَّاءِ قد كُنْتُمُ وفى الضَّــــرَّاءِ *

---

(١) فى ٦ مارس سنة ١٩١١ م عقد الأقباط مؤتمرا بمدينة أسيوط للنظر فى حالهم مع المسلمين ، وطلبوا من الحكومة عدة مطالب ظنا منهم أن المسلمين قد استأثروا بكل شىء فى هذه البلاد دونهم ، فاجتمع المسلمون للرد عليهم فى مؤتمر سموه المؤتمر المصرى أو الاسلامى ، وتوالت جلساته خمسة أيام ، وكان لهذا المؤتمر غرضان : أولهما النظر فى حال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والأدبية ، والثانى الرد على مطالب الأقباط التى طلبوها فى مؤتمرهم ، وشبت نار الفتنة بين العنصرين وسعى أهل الشر فيها سعيهم ؛ وإلى هـذا يشير صبرى فى قصيدته . وقد أرسل واصف بك (باشا) بطرس غالى إلى المرحوم صبرى باشا بهذا الكتاب الآتى بعد رغب إليه أن يتوسط فى الصلح بين الطائفتين ، لما لشعره من الأثر البليغ فى قلوب مواطنيه ، قال حفظه الله :

سعادة سيدى المفضال اسماعيل باشا صبرى .

قيل إن الشعراء أنبياء إذ هم ساسة الأفكار وقادة الشعوب ، فعسى أن يتبعك شعب مصر فتسلك به مسلك الحق والشرف .

والآن يجب على كل عضو من أعضاء العائلة المصرية أن يعمل لما فيه التوفيق بين جميع العناصر ، وقد رفعت صوتى الضعيف مناديا بالاتحاد والوئام ، على أنى لست ذلك الرجل الذى فى استطاعته أن يحرك عواطف الأمة ، فهل لك يا سيدى أن تبذر بذور السكينة والوفاق لتثبت شجرة المحبة والصفاء فتثمر ثمار العز والمجد =

قد فَقَدْنَا مِنّا ومنكمْ كبيراً ... كان بالأمسِ زينةَ الكُبَرَاءِ [1]

فأَقَمْنَا عليـــه فى كلّ نادٍ ... مأْتَمًا دَاوِيًا بصَوْتِ البُكاءِ [2]

ومَزَجْنَا دُمُوعَنــــا بِدُمُوعٍ ... بَذَلَتْهَا عُيونُكُمْ عن سَخَاءِ

وَرأَيْنَا فَتْكَ الرَّزِيئـــةِ بالعَقْـ ... ـلِ وفِعْلَ المُصابِ بالعُقَلاءِ

بارَكَ اللهُ فيكمُ أنتمُ النـــا ... سُ وَفاءً إنْ عُدَّ أهْلُ الوَفاءِ

أَدْمُعٌ جاوَزَتْ مَدَى كلِّ حُزْنٍ ... وتَخَطَّتْ حُدُودَ كلِّ عَزَاءِ

وَعَـــدِيدٌ وَرَاءَ كُلِّ خَيَالٍ ... وعَوِيلٌ فى إِثْرِ كُلِّ هَنَاءِ [3]

= للبلاد ، لعمرى إن صوتك هو المسموع المجاب ، فنظمك سحر يجمع القلوب المتنافرة وها نحن على مقربة من تاريخ ذكرى وفاة صديقك الحميم (٢١ فبراير) فهل تتفضل بنظم قصيدة تضمّنها ما كنت ذكرته لى فى كتابك الكريم : « مَثَل الأقباط والمسلمين فى مصر — وهما العنصران المكوّنان للأمة — كمَثَل العينين فى الوجه يؤلم اليمنى ما يؤلم اليسرى » وتكللها بالدعوة إلى أن يكون جدث الفقيد العظيم كعبة يقصدها الوطنيون الصادقون ، ووصلة الارتباط المتين بين الأقباط والمسلمين ؛ وإنى أشكرك من أجل ذلك باسم والدى ، بل بصفتى ابن حنون على وطنه وأمته ؛ وتفضل بقبول احترام أخيك الحافظ لك ود أبيه »؟

٨ فبراير سنة ١٩١١ م ... واصف بطرس غالى

(١) يريد بالكبير : المأسوف عليه بطرس غالى باشا انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٤ من صفحة ١٤٩ .

(٢) المعروف فى كتب اللغة « مدوّيا » بتشديد الواو .

(٣) العديد على الميت معروف فى مصر ، وهو عدّ مآثره فى البكاء عليه . أولعله البكاء على الميت تشبيها له بعديد القوس ، أى رنينه . والعويل : البكاء .

لو بَلَغْتُمْ عَلَى النُّجومِ صُعودًا   لَاتَّهَمْتُمْ كَوَاكِبَ الجَوْزَاءِ[١]

عُذْرُكُمْ أنّ (بُطْرُسًا) كانَ فى مِصْـ   ـرَ كَبيرا فى الفَضْلِ جَمَّ العَلاءِ

خَفِّفُوا مِنْ صِياحِكُمْ ليس فى مِصْـ   ـرَ لأَبْنَاءِ مِصْرَ مِنْ أَعْدَاءِ

دِينُ عيسَى فِيكُمْ ودِينُ أخيهِ   (أحمـــــدٍ) يأمُرانِنَا بالإخاءِ[٢]

وَيْحَكُمْ ما كذا تكونُ النَّصارى   راقِبوا اللهَ بارِئَ العَــذْراءِ[٣]

مِصْرُ أَنتُمْ ونحن ، إلّا إذا قا   متْ بتَفْرِيقِنا دَوَاعِى الشَّـقاءِ

مِصْرُ مِلْكٌ لَنَا إذا ما تَماسَكْـ   ـنَا ، وإلّا فَمِصْرُ للغُــرَباءِ[٤]

لا تُطيعُوا مِنَّا ومِنكُمْ أُنَاسًا   بَذَرُوا بيْنَنا بُذُورَ الجَفــاءِ[٥]

لا تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَ مَنْ عَكَّرَ* ما فى قُلوبِنَا مِنْ صَــفاءِ

إنَّ دِينَ المَسِيحِ يَأْمُرُ بالعُرْ   فِ ويَنْهَى عن خُطَّةِ الجُهَلاءِ[٦]

---

(١) الجوزاء : كواكب معروفة . يشير بهذا البيت والذى قبله إلى أن الأقباط دائمو البكاء والشكوى ، فلا يرضون عن شىء مهما وافق مرادهم ، حتى لو تبوّءوا النجوم لاتهموا الجوزاء بأنها تستأثر بالعلوّ دونهم .

(٢) صرف « أحمد » لضرورة الشعر .

(٣) بارئ : خالق .

(٤) يقول : إذا اتحدنا فبلادنا لنا ، وإذا اختلفنا فهى للمحتلّين .

(٥) يشير بهذا البيت والذى بعده إلى دعاة الفتنة والتفريق من العنصرين .

(٦) العرف : المعروف .

لا يَكُنْ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ عَدُوًّا لَعَنَ اللهُ مُسْتَبِيحِي العِـــداء
أَيُّها القَاتِلُ أَشْرَبِ الموتَ كَأْسًا فى نَضِيرِ الصِّبَا وغَضٌّ الفَتَاء[1]
لَوْ مَلَكْنَا شيئا أَشَدَّ مِن القَتْ لِ جَزَاءً لَنِلْتَه مِنْ جَزاء

الحرب[2] بين الإيطاليّين والأتراك

فى طرابلس سنة ١٩١١ م

بعضَ هٰذا الجَفاءِ والعُدْوَانِ راقِبِي اللهَ أُمَّةَ الطِّلْيانِ[3]
قد مَلأْتِ الفَضاءَ غَدْرًا وَجَهْلاً وَتَسَنَّمْتِ غارِبَ الطُّغْيَانِ[4]
وَبَعَثْتِ السَّفِينَ تَرْمِي طَرَابُلْ سَ بِحَرْبٍ مَشْبُوبَةِ النِّيرانِ
تَخْرِقُ الْبَحْرَ وَالمَواثِيقَ وَالعَهْ دَ جِهاراً وَذِمَّةَ الجِيرانِ

---

(١) يريد قاتل المأسوف عليه بطرس غالى باشا ، وهو ابراهيم ناصف الوردانى .

(٢) ترجع أطماع إيطاليا فى طرابلس منذ بدأت أوربا تسعى إلى اقتسام افريقيا ، ولما رأت إيطاليا أن انجلترا وفرنسا صارتا صاحبتى النفوذ فى مصر وتونس ، قويت أطماعها فى طرابلس ، ولم تأت سنة ١٩١١م حتى أغارت عليها تريد انتزاعها من تركيا ، وفى هذه الحرب يقول الشاعر قصيدته .

(٣) العدوان : الاعتداء والظلم . وبعضَ بالنصب : مفعول لفعل محذوف ، يقال : « بعضَ هذا » أى افعل بعضَ هذا لا كلَّه ؛ أو اترك بعض هذا . والمراد أنه لا يُحتمل كلُّ هذا الفعل .

(٤) تسنم الشىء : علاه . والغارب : العنق .

سَيَّرَتْهَا أَضْغانُ قَوْمٍ لِقَوْمٍ سَلِمُوا مِنْ دَنَاءةِ الْأَضْغانِ [1]

مَن رآها تَجْرِى توَهَّمَ أَنَّ الـ قَوْمَ هَبُّوا لِلثَّأْرِ لِلأَوْطانِ

لا وَرَبِّ الْأُسْطُولِ مَا حَمَلَ الأُسْـ طُولُ جَيْشاً إِلَى حِمَى الحُبْشانِ [2]

إِنَّ قَوْمَ الطُّلْيانِ أَحْرَصُ مِنْ أَنْ يُفْضَحوا مَرَّتَيْنِ فى مَيْدانِ

ليست الحَرْبُ للعَدُوِّ الَّذِى با تَ عزيزاً بالرَّجْلِ وَالفُرْسَانِ

إِنَّمَا الْحَرْبُ للأُلَى حَفِظوا العَهْـ دَ فنامَتْ جِيرانُهُمْ فى أَمانِ [3]

وَأَباحوا أَبْوَابَهُمْ حاتِمِيَّـا تٍ لِمَنْ أَمَّهُمْ مِنَ الضِّيفانِ [4]

وَأَنالُوهُمُ حُقُوقَ بَنِيهِمْ فِعْلَ أَهـلِ المَعْرُوفِ باللَّهْفانِ [5]

وَيْحَهُمْ ما لِصُنْعِهِمْ أَبْطَرَ القَوْ مَ فعقُّوا ما كان مِنْ إِحسانِ

---

(١) سلموا من دناءة الأضغان ، يريد بهـذا الوصف المعتدَى عليهم من الأتراك والطرابلسيين .

(٢) يشير بهذا البيت والذى بعده إلى انهزام الطليان فى الحرب الحبشية فى معركة عدوة المعروفة سنة ١٨٩٦ م ويعـيّرهم بالسكوت عن الثأر فى هذه الموقعة .

(٣) يقول فى هذا البيت والذى قبله : إن الحرب الحقيقية ليست لمن تيسرت له أسبابها بكثرة الجيوش والعدد ، وإنما الحرب لمن حفظ العهد ورعى حق الجوار . ويريد بذلك أن أعظم الحروب محاربة الأطماع والشهوات .

(٤) حاتميّـات ، أى كريمة ، نسبة إلى حاتم الطائى الذى يضرب به المثل فى الـكرم . وأمهم : قصدهم .

(٥) يشير بهـذا البيت والذى بعده إلى الامتيازات الأجنبية التى منحتها تركيا فى بلادها لدول أوربا تسهيلا لتجارة الأوربيين فى بلاد الشرق .

وَلِمَاذا تَمَخَّضَ السِّلْمُ عَنْ حَرْ ... بٍ لَظاهَا يَشْوِى الوُجوهَ عَوانِ [(١)]

مِنَحٌ قد بُذِرْنَ فى شَرِّ أَيْدٍ ... كُنَّ مُذْ كُنَّ مَنْبتَ الكُفْرانِ [(٢)]

هٰكذا فَلْتَكُ الْمُروءاتُ فى عَصْرِ البَهَالِيلِ من بَنِى الرُّومانِ

* * *

لا يَثِقْ بَعْضُنا بِبَعْضٍ وهٰذا ... ما أَعَدَّ الإِنسانُ للإِنْسَانِ

إِنْ تُسَلِّمْ عَلَى الغَرِيبِ فسَلِّمْ ... فى ظِلالِ السُّيُوفِ والُمرّانِ [(٣)]

رُبّمَا أَصْبَحَ العِناقُ صِراعًا ... فى زَمانِ الآدابِ والعِرْفانِ [(٤)]

---

(١) الحرب العوان : التى تأتى بعد الحرب الأولى ، وهى أشد الحروب وأفتكها .

(٢) يشير بهذا البيت إلى أن الامتيازات التى أعطتها تركيا لدول أوربا إنما كانت على سبيل المنحة والاحسان تيسيرا لسبل التجارة والصناعة فى بلاد الشرق لا ضعفا من تركيا . ويقول : إن الأوربيين قد كفروا بهذه النعم وظنوا هذه المنح حقوقا لهم .

(٣) يريد بالمرّان : الرماح . يقول : كن على حذر من الغريب ولا تطمئن إليه ، وسلّم عليه وأنت متحصّن منه لئلاّ يغدر بك .

(٤) لا يخفى ما فى هذا البيت من التهكّم بمدنية أوربا الحاضرة التى لا تأبى الغدر ونقض العهود .

الحرب الإيطالية فى طرابلس أيضا

سنة ١٩١١ م

يا بِنْتَ رُومَا لاتَكُونِى كما ... كانت أَثِينَا بين قِيلٍ وقالٍ [(١)]
دَفَنْتِ عَدْلَ اللهِ فى أَرْضِهِ ... فاسْتَوْثِقِى مِنْ شَرِّ ذاكَ المَآلِ
أَهْلُكِ قومٌ يَبْحَثُونَ الدُّمَى ... وَيَزْجُرُونَ الطَّيْرَ طَيْرَ الخَيَالِ [(٢)]
لا بِدْعَ إِنْ طارُوا بِأَلْبَابِهِمْ ... وأَصْبَحُوا مِنْ غَيِّهِمْ فى خَبَالِ [(٣)]
هٰذِى طَرَابُلسُ وَأَبْنَاؤُها الشُّجْعانُ يُزْجُونَ صُفُوفَ القِتَالِ [(٤)]
دَوارِعُ الطُّلْيَانِ لم تَسْتَطِعْ ... صَبْرًا على النَّسْفِ وَرَشْقِ النِّبَالِ
حَتَّى هَوَتْ لِلْقاعِ مَعْمُورَةً ... فَدَنَّسَتْ مَثْوَى نَفِيسِ اللآلى

---

(١) يذكّر بهذا البيت والذى بعده الايطاليين بمصرع الدولة الرومانية القديمة فى أثينا حين طغوا وغرّهم السلطان واتساع الملك فظلموا وعتوا حتى دالت دولتهم . ويقول : إن عاقبة الدولة الرومانية الحديثة شبيهة بعاقبة أختها فى أثينا .

(٢) يريد بالدمى : التماثيل ، الواحدة دمية . ويشير بالشطر الأول من هذا البيت إلى براعة الايطاليين فى صنع التماثيل ؛ وبالشطر الثانى إلى براعتهم فى الشعر والموسيقى .

(٣) الخبال : الجنون .

(٤) يزجون ، أى يسوقون .

حَلُمْتَ يالَيْثُ وَلَمّا تَثِبْ ... فَازْأَرْ فقد حانَ وُضوحُ الهِلالِ (١)
في يَدِكَ الْمِنْجَلُ فَاحْصُدْ به ... أَعْمارَ أَقْوامٍ طَغَوا في الضَّلالِ (٢)

وقال في الكولونيل روزفلت رئيس الولايات المتَّحدة

حين حضر إلى مصر وألقى خطبته السياسية المعروفة
في الجامعة المصرية

إذَا سِيقَ تِبْرٌ إلَى مَسْمَعٍ ... تَعَثَّرَ خالِصُهُ في الرَّغَامْ (٣)
وَإِنْ ساقَ رُزْفِلْتُ ما دُونَهُ ... إليه تَنَحَّتْ سَرَايَا الكَلَامْ (٤)
صَدَقْتُمْ وَأَخْطَأَ مَنْ لَمْ يَقُلْ ... كَلَامُ الرَّئيسِ رئيسُ الكَلامْ

---

(١) يريد بالليث : تركيا . والهلال : كان شعارا للدولة العثمانية .

(٢) المنجل : آلة معروفة يحصد بها الزرع .

(٣) الرغام : التراب . وكنى بالتبر والرغام عن جيد الكلام ورديئه .

(٤) سرايا الكلام : جيوشه ، الواحدة سرية . يقول في هذا البيت والذى قبله : إن كل جيد من الكلام لا بد أن يختلط برديئه ، ولكن روزفلت إذا تكلم أسكت كل متكلم دونه .

شكوى الحياة

الســــاعة

كتب هذه الأبيات وكان قد دخل كنيسة رمس المشهورة بفرنسا ، فرأى مكتوباً على عقرب إحدى ساعاتها ما ترجمته : « كلهن جارحات والأخيرة القاتلة » ، يريد ساعات العمر والساعة الأخيرة ، فأوحت إليه هذه العبارة ما تقرأه فى قصيدته تلك التى يشكو فيها الساعات وتعاقبها عليه بما يكره ، نشرت فى ١٥ أغسطس سنة ١٩٠٠ م

كَمْ ساعةٍ آلمَنِي مَسُّها وَأَزْعجَتْنِي يَدُها القَاسِيَهْ

فَتَّشْتُ فيها جاهِدًا لم أَجِدْ هُنَيْهَةً واحدةً صَافِيَهْ (١)

وكم سَقَتْنِي المرَّ أُخْتٌ لها فَرُحْتُ أَشْكُوها إلى التَّالِيَهْ

فَأَسْلَمَتْنِي هٰذه عَنْوَةً لِساعةٍ أُخْرَى وَبِي ما بِيَهْ (٢)

وَيْحَكَ يامِسْكِينُ هل تَشْتَكِي جارِحَةَ الظُّفْرِ إلى ضارِيَهْ ؟ (٣)

حَاذِرْ مِنَ السَّاعاتِ وَيْلٌ لِمَنْ يَأْمَنُ تلكَ الفِئَةَ الطاغِيَهْ

---

(١) الهنيهة : اللحظة اليسيرة .

(٢) عنوة ، أى كرها .

(٣) الضارية : الجريئة على الصيد . شبه الساعات بالوحوش المفترسة التى ليس بعضها أرفق من بعض .

وَإنْ تَجِدْ مِنْ بَيْنِها ساعةً ... جَعْبَتُها مِنْ غصَصٍ خاليَهْ(١)

فَأْلَهُ بها لَهْوَ الْحَكيمِ الَّذِى ... لَمْ يُنْسِه حاضِرُه ماضِيَهْ

وأُمْرَحْ كما يَمْرَحُ ذو نَشْوَةٍ ... فى قُلَّةٍ مِنْ تَحْتِها الهاوِيَهْ(٢)

فَهِيَ وإنْ بَشَّتْ وإن دَاعَبَتْ ... مُخْتَالَةٌ خَتَّالَةٌ عادِيَهْ(٣)

عِناقُها خَنْقٌ وَتَقْبِيلُها ... كما تَعَضُّ الْحَيَّةُ الباغِيَهْ

هٰذا هو العَيْشُ فقُلْ لِلَّذِى ... تَجْرَحُهُ السَّاعةُ والثانيَهْ

ياشاكِيَ السَّاعاتِ، أَسْمِعْ، عَسَى ... تُنْجِيكَ منها الساعةُ القاضِيَهْ(٤)

---

(١) الجعبة : كنانة السهام .

(٢) المرح : الفرح . والنشوة : السكر . والقلة : أعلى الجبل . يريد بهذا البيت والبيتين اللذين قبله أنه ينبغى للعاقل إذا سنحت له فرصة صفاء فى هذا الزمن المملوء بالكدر ألاّ يطلق العنان لشهواته ودواعى لذّاته ، وأن يفرح بهذه الفرصة فرح الحكيم الذى يتذكر الماضى ولا ينسى الحاضر . وشبّه ذلك بالسكران فى ذروة الجبل إذا نسى الحذر هوى من مكانه فهلك .

(٣) ختّالة : خدّاعة .

(٤) يريد بالساعة القاضية : ساعة الموت .

راحة القبر

نشرت فى سنة ١٩٠٢ م

إنْ سَئِمْتَ الحياةَ فارْجِعْ إلى الأَرْ ض تَنَمْ آمِنًا مِنَ الْأَوْصَابِ [١]

تِلْكَ أُمٌّ أَحْنَى عليكَ مِنَ الْأُمْ مِ الَّتِى خَلَّفَتْـكَ للأَتْعابِ

لاَ تَخَفْ فالمَماتُ ليسَ بماحٍ منكَ إلاّ ما تَشْتَكِى مِن عذابِ

كلُّ مَيْتٍ باقٍ وَإِنْ خالَفَ العَنْ وانُ ما نُصَّ فى غُضُونِ الكِتَابِ [٢]

وَحَيَاةُ المرءِ اغْتِرابٌ فإِنْ ما تَ فقد عادَ سالِمًا للتُّرابِ

موت الحياة

فى سنة ١٩٠٦ م

مَقَابِرُ مَنْ مَاتُوا مَوَاطِنُ رَاحَةٍ فلاَ تكُ إِثْرَ الهالِكِينَ جَزُوعَا

وَإِنْ تَبْكِ مَيْتًا ضَمَّهُ القَبْرُ فادَّخِرْ لِمَيْتٍ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ دُمُوعَا [٣]

---

(١) الأوصاب : الأوجاع ، الواحد وصب بالتحريك .

(٢) يريد بالعنوان هنا : التسمية بما يفيد معنى الموت .

(٣) يشير بهذا البيت إلى قول الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميْت ميّت الأحياء

تمنّى الموت

نشرا فى سنة ١٩١١ م

يا مَوْتُ هاأَنَذَا فَخُذْ　　مَا أَبْقَتِ الأَيَّامُ مِنِّى

بَيْنِى وَبَيْنَكَ خُطْوَةٌ　　إِنْ تَخْطُهَا فَرَّجْتَ عَنِّى

الإلهيات

بين الخوف من الله والأمل فى عفوه

وجدت مكتوبة بخطه

خَشيتُكَ حتّى قِيلَ إِنِّىَ لَمْ أَثِقْ ... بأَنَّكَ تَعفُو عَنْ كَثِيرٍ وَتَرْحَمُ

وَأَمَّلْتُ حَتّى قِيلَ ليسَ بخائفٍ ... من اللهِ أَن تَشْوِى الوُجوهَ جَهَنَّمُ

فشأْنِىَ فى حَالَىَّ يارَبِّ حَيْرةٌ ... بها أَنتَ مِنْ دُونِ البَرِيَّةِ أَعْلَمُ (1)

أَقِلْنِى من الشَّكِّ الَّذِى قد أَحاطَ بى ... فَشَأْنِىَ فى حَالَىَّ يارَبِّ مُبْهَمُ

مُرِ الحُجْبَ تُرْفَعْ عَنكَ أَستَقْبِلِ الهُدَى ... صَرِيحًا وَيَنْهَجْ مَنْهَجَ الحقِّ مُجْرِمُ (2)

الأمل فى الله

نشرت فى سنة ١٩١١ م

أَنَا يا إِلٰهِى عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفٌ ... لَا أَبْتَغِى عَنْهُ الزَّمانَ عُدُولَا

---

(١) يريد حالىْ خشيته وأمله .

(٢) ينهج منهج الحق ، أى يسلك طريقه . يرغب إلى الله تعالى أن يكشف له عن حقيقته ليكون على بينة من أمره فيهتدى إن كان ضالاً ، ويحسن إن كان مسيئا .

ما جِئْتُ أَطْلُبُ أَجْرَ ما قَدَّمْتُه   حاشَا لِجُودِكَ أَنْ يَكُونَ قَليلاَ
عَظُمَتْ آمَالِي وَصَغُرَتْ الوَرَى   مَنْ ذَا لَها إِنْ لَمْ تَكُ الْمَأْمُولا
إِنِّي لَيُعْجِبُنِي وُقوفِي سائِلاً   إِنْ كُنْتَ أَنتَ السَّيِّدَ الْمَسْئُولا

إلى الله

نشرت فى سنة ١٩١٣ م

يَا رَبِّ أَيْنَ تُرَى تُقَامُ جهَنَّمُ   لِلظَّالِمِينَ غَداً ولِلأَشْرارِ
لَمْ يُبْقِ عَفْوُكَ فِى السَّمٰوَاتِ العُلَا   والأَرْضِ شِبْرًا خالِيًا لِلنّارِ
يا رَبِّ أَهِّلْنِي لِفَضْلِكَ واكْفِنِي   شَطَطَ العُقُولِ وفِتْنَةَ الأَفْكارِ (١)
ومُرِ الوُجُودَ يَشِفُّ عَنْكَ لِكَيْ أَرَى   غَضَبَ اللَّطِيفِ وَرَحْمَةَ الجَبّارِ (٢)
يا عَالِمَ الأَسْرارِ حَسْبِي مِحْنَةً   عِلْمِي بِأَنَّكَ عالِمُ الأَسْرَارِ (٣)

---

(١) شطط العقول : مجاوزتها الحدّ حتى تضل .

(٢) يشف ، أى يكشف . وفى قوله « غضب اللطيف » و « رحمة الجبار » مقابلة بالغة الحسن . ووجه الحسن فى هاتين العبارتين إضافة الغضب إلى اللطيف الذى ليس من شأنه أن يغضب ، والرحمة إلى الجبار الذى ليس من شأنه أن يرحم .

(٣) المحنة : ما يمتحن به المرء فى الدنيا من بلاء .

أخْلِقْ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي تَسعُ الوَرَى ... أَلَّا تَضِيقَ بأعْظَمِ الأوْزَارِ ! (١)

إنِّي لتُعْجِبُنِي الغَـداةَ صَحِيفَتِي ... مَلْأَى مِنَ الآثَامِ وَالأوْضَارِ (٢)

حَاشَا لِمِثْلِي أَنْ يُدِلَّ بِطَاعَةٍ ... فِيهَا مُسَجَّلَةٍ عَلَى الغَفَّارِ (٣)

أَوْ أَنْ يُعِدَّ وَثِيقَةً يَنْجُو بِهَا ... يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ يَدِ القَهَّارِ

لَيْسَ الكَرِيمُ بِطَالِبٍ عَنْ صُنْعِهِ ... أجْرًا ، وليس العَفْوُ صَفْقَةَ شَارِي

وجود الله

قالها سنة ١٩١٨ م

تَعَالَى اللهُ لَا يَعْلَـمُ ... كُنْهَ اللهِ إنْسَانُ

أَتَبْحَثُ عنه فى وَادٍ ... ومنهُ الكَوْنُ مَلْآنُ ؟!

أَتُنْكِرُه وَأَنْتَ عَلَيْـهِ ... لَوْ فَكَّرْتَ بُرْهَانُ ؟!

---

(١) أخلِق ، أى أجدر ؛ يقال : « هو خليق بكذا » أى جدير به . والأوزار : ما يثقل المرء من ذنوب .

(٢) الأوضار : الأوساخ .

(٣) يُدِلّ بطاعة ، أى يُزهى بها .

المراثى

رثاء عبد الله[1] فكرى باشا

سنة ١٨٨٩ م

إِنَّ اللَّيَالِيَ مِنْ أَخلاقِهَا الكَدَرُ ... وَإِنْ بَدَا لَكَ مِنهَا مَنْظَرٌ نَضِرُ

فكُنْ عَلَى حَذَرٍ مِمَّا تَغُرُّ بِهِ ... إِنْ كَانَ يَنفَعُ مِنْ غِرَّاتِهَا الحَذَرُ

قدْ أَسْمَعَتْكَ اللَّيَالِى مِنْ حوادِثِهَا ... مَافيه رُشْدُكَ، لَكِنْ لَسْتَ تَعْتَبِرُ

إنْ كُنْتَ ذَا أُذُنٍ لَيْسَتْ بِواعيةٍ[2] ... قُل لِى بِعَيْشِكَ ماذَا تَنْفَعُ العِبَرُ

لِلدَّهْرِ لو كنتَ تَدْرِى هَوْلَ مَنْطِقِهِ ... وَعظٌ تُرَدِّدُهُ الآصالُ وَالبُكَرُ[3]

---

(١) عبد الله فكرى باشا من أعلام الأدب فى عصر الخديو اسماعيل ، ولد بمكة ، وتعلم اللغة والفقه والحديث وما إليها من علوم الدين واللغة بالأزهر ، وتولى عدة مناصب فى الحكومة المصرية آخرها نظارة المعارف فى عهد محمود سامى البارودى باشا ، ولما انقضت الثورة العرابية كان ممن اتهم بالاشتراك فيها فأثبت براءته ، وندبته الحكومة المصرية لحضور مؤتمر المستشرقين فى مدينة استوكهلم سنة ١٨٨٨ م . ولما عاد أخذ فى تدوين رحلته ، فوافته المنية قبل أن يتمها سنة ١٨٨٩ م .

(٢) واعية : حافظة .

(٣) يريد بالآصال والبكر : مطلق الأزمان . والآصال : جمع أصيل ، وهو آخر النهار . والبُكَر : جمع بكرة ، وهى أوله .

يا من يُغــرُّ بدُنياهُ وزُخرُفِها ... تاللهِ يُوشِكُ أنْ يُودِي بكَ الْغَرَرُ (١)

ويا مُدِلًّا بحُسْنٍ راقَ مَنْظَرُهُ ... لِلْقَبْرِ وَيْحَكَ هذا الدَّلُّ وَالخَفَرُ (٢)

تَهوَى الحياةَ ولا ترْضَى تُفارِقُها ... كَمَنْ يُحاوِلُ وِرْدًا ما لَهُ صَـدَرُ (٣)

كلُّ امرِئٍ صائِرٌ حَتْمًا إلى جَدَثٍ ... وإن أطالَ مَدَى آمالِهِ الْعُمُرُ (٤)

* * *

أَبعْدَ أَنْ مَاتَ عَبدُ اللهِ — مُرْتَهَنًا ... تحتَ الثَّرَى — يُرْتَجَى صَفْوٌ وَيُنْتَظَر

يا وَيْحَ مَنْ أَوْدَعُوهُ الْقَبْرَ، هل عَلِموا ... أَنَّ المَكَارِمَ كانت بَعْضَ مَا قَبَرُوا ؟

قد غَيَّبُوا ماجِدًا كانت مَناقِبُهُ ... بها الزَّمانُ إِذَا مَا زَلَّ يَعْتَـذِرُ (٥)

وَعَطَّلُوا مِنْ رُبُوعِ الْعِلْمِ أَنْدِيَةً ... كانت بِعَلْيَاهُ يَوْمَ الْفَخْرِ تَفْتَخِر (٦)

مضى وخَلَّفَ فِينَا مِن فضائِلِهِ ... بدائعًا يَجْتَلِيها السَّمْعُ والبَصَر

---

(١) يودى بك : يهلكك . والغرر بالتحريك : الغفلة .

(٢) المدلّ بالحسن ونحوه : التيّاه به . والخفر : الاستحياء ، وهو خاص بالنساء .

(٣) الورد : ورود الشارب الماء . والصدر : الانصراف عنه . شبه الحياة والموت بهما .

(٤) الجدث : القبر . والمدى : الغاية .

(٥) المناقب : المآثر . وزل : سقط وأخطأ . يقول : إن الزمان كان إذا أساء إلى أهله اعتذر بمآثر الفقيد وأخلاقه . كأن الزمان يقول : إن أسأت إليكم ببعض الذنوب فلقد أحسنت إليكم بحياة من له هذه الأخلاق الكريمة بينكم .

(٦) التعطيل : التجريد من الحليّ والزينة .

برغمِ أنفِ المعالي يابْنَ بجْدَتِها | أَنْ غيَّبتْ شخصكَ الأيَّامُ والغِيَرُ[1]
تَفْدِي النفوسُ حياةً منكَ غاليةً | لو كانَ يُدْفَعُ عنها بالفِدَا ضَرَرُ
قد أَصْبَحَتْ ظُلُمَاتُ الْجَهْلِ حَالِكَةً | لَمَّا تغيَّبَ عن آفاقِنا القَمَرُ
يا عَيْنُ جودِي بمُنْهلِّ الدُّموعِ عَلَى | مَن كانَ ذُخرًا لِرَيْبِ الدَّهْرِ يُدَّخَرُ[2]
أو فاسأَلِي اللهَ سُلْوَانًا وَمُصْطَبَرًا | إنْ كَانَ يَجْمُلُ سُلْوَانٌ وَمُصْطَبَرُ

وقال مؤرخا عام وفاته

سنة ١٣٠٧ هـ

اَلْفَضْلُ أَصْبَحَ زَائِلاً في إِثْرِ مَنْ | جَلَّتْ مَنَاقِبُه عن الأَشْبَاهِ
فَبَكَى الزَّمانُ وقالَ فيه مؤرِّخا: | الفَضْلُ زَالَ بفَقْدِ (عبدِ اللهِ)

---

(١) برغم أنف المعالى، أى على الكره منها. ويقال: هو ابن بجدتها: للعالم بالشىء المتقن له. والبجدة: الأصل. والغير: نوائب الزمان وتغيراته.

(٢) ريب الدهر: تصرفه بأهله.

رثاء المغفور له محمد توفيق باشا الخديوى

وتهنئة ابنه عباس الثانى الخديوى السابق بالولاية بعد أبيه سنة ١٨٩٢ م

نحن لِلّهِ مَا لِحَيٍّ بَقَاءُ ... وَقُصَارَى سِوَى الإِلٰهِ فَنَاءُ [(١)]

نحن للّه راجعونَ فَمَنْ مَا ... ت ومن عاشَ أَلْفَ عَامٍ سَوَاءُ

يَفْرَحُ المرءُ فى الصَّبَاحِ وما يَعْـ ... ـلَمُ مَاذَا يُكِنُّهُ الإِمْسَاءُ

وَمتَاعُ الدُّنْيا قليلٌ وما يَلْـ ... ـهو به المرءُ مِنْ حُطَامٍ هَبَاءُ [(٢)]

***

زَهَّدَ النَّاسَ فى الحَيَاةِ مُلِمٌّ ... رَوَّعَتْنَا بِهَوْلِهِ الأَنْبَاءُ [(٣)]

(قَصْرَ حُلوَانَ) كنتَ أَنْضَرَ قَصْرٍ ... فيه يَحلو وَيُسْتَطَابُ الهوَاءُ [(٤)]

كنتَ ذَا هَيْبَةٍ يُحاذِرُهَا الدَّهْـ ... ـرُ وَتَكْبُو أَمَامَها الْبَأْسَاءُ [(٥)]

---

(١) قصارى الأمر : غايته ومنتهاه .

(٢) حطام الدنيا : ما فيها من مال قليل أو كثير . والهباء بالفتح : الغبار أو ما ينبث فى ضوء الشمس يشبه الدخان .

(٣) حادث ملم ، أى داهم .

(٤) قصر حلوان ، هو القصر الذى بناه الخديوى محمد توفيق باشا فى سنة ١٨٨٥ م فى الجهة البحرية لمدينة حلوان ، وقد شيد على عشرين ألف متر مسطح منها عشرة آلاف متر للسكن الخصوصى ، وعشرة آلاف متر لمعيته وحاشيته .

(٥) تكبو ، أى تعثر . والبأساء : الشدة .

كَيفَ أصبحتَ مُسْتَضَامًا ولِلْخَطْ ... بِ إلى رُكْنِكَ الْمَنِيعِ ارْتِقَاء؟
ما كذا عَهِدْنَا بعزِّكَ تَرْمِيـ ... ـه اللَّيالِى أَوْ يَعْتَرِيهِ انْقِضَاء
كَانَ بالأمسِ فى ذَرَاكَ (أَبُو الْعَبَّاسِ) تَحْيَا بِبِشْرِهِ الأحْيَاء[1]
فَطَوَتْ بُرْدَهُ الْخُطُوبُ وكانت ... قبلُ تَشْقَى بِسَعْدِهِ وَتُسَاء
وَيْحَ مَنْ شَيَّعُوهُ قد أَوْدَعوا القبْـ ... ـرَ كَرِيمًا يَبْكِى عليه العَلاء
وَارْتَضَوْا بالبُكا وما الحُزْنُ إلَّا ... أَنْ تَسِيلَ الْقُلُوبُ وَالأحْشَاء
عاش فينا عَذْبَ الْبَشَاشَةِ والأخـ ... ـلاقِ تَرْوَى به النفوسُ الظِّمَاء
وَتَوَلَّى وفى الصُّدُورِ من الوَجْـ ... ـدِ عليه ما ليس يُرْوِيهِ ماء[2]
عُطِّلَتْ مِصْرُ مِن سَنَاهُ كما قد ... عُطِّلَتْ مِن حُلِيِّهَا الْحَسْنَاء[3]
كلُّ خَطْبٍ فى جَنْبِ خَطْبِكِ يا مِصْـ ... ـرُ يُرَجَّى للناسِ فيه عَزاء[4]
ما يقولُ الرَّاثُونَ فى فقدِ (تَوْفِيـ ... ـقٍ) وماذا تُحَاوِلُ الشُّعَرَاء؟
والرَّزَايا فى بعضِهَا يُطْلَقُ القَوْ ... لُ وَتَعْيَا فِى بعضِهَا البُلَغَاء[5]

---

(١) ذراك، أى ظلك وحماك.

(٢) الوجد: الحزن.

(٣) السنا: النور.

(٤) يقول: إن الأرزاء مهما عظمت فهى صغيرة يمكن العزاء عنها إذا قيست برزء مصر فى فقيدها.

(٥) تعيا: تعجز عن النطق.

إنّ مَوْلاكَ كانَ أَحْسَنَ مَنْ تُزْ ... هَى بأنوارِ وَجهِهِ الْبَطْحَاءُ [1]

كانَ للتَّاج فوق مَفْرَقِهِ ضَوْ ... ءٌ لَدَيْهِ تُحقَّرُ الأَضْوَاءُ [2]

كان يَجْلُو دُجَى الكَوارِثِ إنْ جَلَّتْ ... بِرأْيٍ تَعْنُو له الآراءُ [3]

كانَ أَدْرَى المَلا بِكَسْبِ ثَناءٍ ... آهِ لو خَلَّدَ النُّفُوسَ ثَناءُ

* * *

آلَ توفيقٍ الكِرَامَ الْبَسُوا الصَّبْ ... رَ رِدَاءً ، فالصَّبرُ نِعْمَ الرِّدَاءُ

أنتم الراسخُونَ فى عِلْمٍ ما كا ... نَ فَقُولوا : مَن ذَا عَدَاهُ الفَنَاءُ ؟ [4]

أين قومٌ شادُوا البِلادَ وَسَادُو ... ها وكانت تَهْوَاهُمُ العَلْيَاءُ

مَلَكُوا الأرْضَ حِقْبَةً ثمَّ أَمْسَوْا ... وَهُمُ فِي بُطُونِهَا نُزَلاءُ [5]

كُلُّ نفسٍ لها كِتَابٌ ومِيعا ... دٌ إذَا جاءَ لا يُرَدُّ قَضَاءُ

سُنَّةُ اللهِ فى البريَّةِ لم يُسْ ... تَثْنَ منها الملُوكُ وَالأَنبياءُ

لَا أُعزِّيكُمُ ، وَأَنَّى لِقَوْلِي ... أَنْ تُعزَّى بِمِثْلِهِ الحُكَمَاءُ

* * *

(١) البطحاء : مسيل المـاء ؛ يريد وادى النيل .

(٢) مفرق الرأس : حيث يفترق الشعر منه .

(٣) دجى الكوارث : ظلمات الحوادث . وتعنو : تذل وتخضع .

(٤) عداه : جاوزه .

(٥) الحقبة : الدهر .

إِحْمَدُوا اللّهَ فِى العَشِيَّةِ وَالإِصْ ... بَاحِ فَالبُؤْسُ قَدْ تَلَاهُ هَنَاءُ

إِنْ يَكُنْ خَرَّ مِنْ سَمَائِكُمُ بَدْ ... رٌ (فَعَبَّاسُكُمْ) بِهِ يُسْتَضَاءُ

قد أَرَانَا (العبّاسُ) بعد أبيه ... كَيفَ تَلْقَى العَظَائِمَ الْعُظَمَاءُ

وَرِثَ الْمُلْكَ عن أبيه فلمّا ... قَامَ بالأمرِ دَبَّ فِينَا الرَّجَاءُ

وَاجْتَلَيْنَاهُ طَوْدَ مَجْدٍ وَسُورًا ... دَارَ مِنْهُ حولَ البلادِ بِنَاءُ (١)

حَبَّذَا منه هِمَّةٌ تَتْرُكُ الصَّعْ ... بَ ذَلُولًا وَعِزَّةٌ قَعْسَاءُ (٢)

وَثَبَاتٌ فِى طَيِّهِ وَثَبَاتٌ ... لِلْمَعَالِى وَحِكْمَةٌ وَإِبَاءُ (٣)

وَصِفَاتٌ عن كُنْهِهَا يَعْجَزُ الْوَصْ ... فُ وفيها يُسْتَغْرَقُ الإِحْصَاءُ

دَامَ يَكْسُو الزَّمانَ حُسْنًا وَيُسْدِى ... أَنْعُمًا لا يَشُوبُهُنَّ انْتِهَاءُ (٤)

---

(١) اجتليناه: نظرنا إليه. والطود: الجبل العظيم.

(٢) الذلول: السهل المنقاد. والعزّة القعساء: الثابتة الممتنعة على من رامها.

(٣) يلاحظ أن فى قوله: «وثبات» فى الموضعين جناسا ظاهرا، وهو فى الموضع الثانى جمع وَثْبة.

(٤) يسدى: يعطى. ويشوبهن، أى يخالطهن.

رثاء سليم[1] تقلا بك

مؤسس صحيفة الاهرام سنة ١٨٩٣ م

إذا كانَ وِرْدُ الموتِ ضَرْبَةَ لازِبِ ... فَطُولُ سُرُورِ المَرْءِ مَوْعِدُ كاذِبِ[2]

فلا تَغْتَرِرْ بالعَيْشِ وَاحْذَرْ فإنما ... صَفاءُ اللَّيالِي هُدْنَةٌ مِنْ مُحارِبِ

يَبِيتُ الفَتى خِلْوَ الفؤادِ كأَنَّه ... رَأَى بَيْنَهُ سَدًّا وبينَ النَّوائبِ

***

بِرَغْمِيَ أَنْ يُدْعَى تُرابا وَأَعْظُمًا ... فَتًى كانَ يُدْعَى قَبْلُ أَكْتَبَ كاتِبِ

فَتًى كانت الأقلامُ تَشْهَدُ أَنَّهُ ... يُجِلُّ مَقامَ الكُتْبِ فوقَ الكتائِبِ[3]

هَوَى كَوْكَبًا ما البَدْرُ لَيلةَ تِمِّهِ ... بأَفْتَكَ مِنْ لَأْلائِهِ بالغَياهِبِ[4]

فَتًى طَبْعُهُ قد كانَ كالماءِ رِقَّةً ... فلو صُبَّ في كأسٍ لَساغَ لِشارِبِ

---

(١) سليم تقلا بك من رجال الصحافة ومن الكتّاب المعروفين ، وهو لبنانى الأصل ؛ ولد فى كفر شيما سنة ١٨٤٩ م وتخرج فى علوم اللغة على الشيخ ناصيف اليازجى ، ثم حضر إلى مصر فى عهد المغفور له إسماعيل باشا . وكان من مآثره الكبرى إنشاء جريدة الأهرام فى سنة ١٨٧٥م وتوفى فى لبنان سنة ١٨٩٢ م ودفن بكفر شيما مسقط رأسه .

(٢) ضربة لازب ، أى لازم لا بد منه .

(٣) الكتائب : الجيوش .

(٤) تمّه ، أى تمامه . ولألاؤه : ضوءُه . والغياهب : الظلمات .

فيا راحلا قدغاب عنّا ، ومَنْ تَكُنْ   كَذِكْرَاكَ ذِكْرَاهُ فليس بغائب

سَلَبْتَ النُّهَى حَيًّا بباهِرِ حِكْمَةٍ   وَعَاطِرِ أَخْـــلَاقٍ وَرِقَّةِ جَانِبِ

عليكَ مِنَ الفضـلِ السَّلَامُ فإنَّه   بِفَقْدِكَ أَمْسَى فاقِدًا خَيْرَ صَاحِبِ

ولا زال مُنْهَـلُّ الدُّمُوعِ مُلازِمًا   ثَرَاكَ يُجَارِى فيه فَيْضَ السَّحَائِبِ

تعزية كتب بها إلى الشيخ على يوسف

صاحب المؤيد عن وفاة ابنته « فتحية » سنة ١٨٩٧ م

هِيَ الدُّنْيَا وإِنْ جَادَتْ بَخِيـلَهْ   يَدُ الحِرْمَانِ فِي يَدِهَا المُنِيلَهْ [١]

سَوَاءٌ مَنْ يَعِيشُ الأَلْفَ فِيهَا   وَمَنْ أَيَّامُه فِيهَا قَلِيــــلَهْ

لئن قَصُرَتْ بِمَنْ تَهْوَى اللَّيَالِي   فَإِنَّ فُتُوحَ وَالِدِهَا طَــــوِيلَه

أَأُسْـــتَاذَ المؤَيَّدِ هَلْ أُعَزِّى   فَجُهْدِى اليَوْمَ تَعْزِيَةٌ جَمِيلَه

فَمَا فِي لَوْعَـــةِ الآباءِ شَـكٌّ   ولا فى ذاهِبِ الأَبناءِ حِيــلَهْ

وَأَنت المرْءُ إِنْ أَخْطَاكَ نَسْلٌ   فَنَسْلُكَ بَيْنَنَا الخِدَمُ الجَلِيـلَه [٢]

تَمَنَّاكَ النُّجُـــــومُ أَبًا ، وَتأْبَى   شَرِيكًا فِي أُبُوَّتِكَ الفَضِـيلَه [٣]

---

(١) المنيلة : المعطية . يقول : إن الدنيا لا تلبث أن تعطى حتى تمنع .

(٢) أخطاك ، أى أخطأك ، بخفف الهمزة للضرورة .

(٣) تمنّاك ، أى تتمناك .

رثاء أمين[1] فكرى باشا

سنة ١٨٩٩ م

وَهَبْتُكَ يا دَهْرُ مَنْ تَطْلُبُ ... أَبَعْدَ أَمِينٍ أَخٌ يُصْحَبُ ؟
طَوَيْتَ المَوَدَّةَ فِي شَخْصِهِ ... فَأَىَّ وِدَادِ امْرِئٍ أَخْطُبُ ؟
وأىَّ بَدِيلٍ له أَرْتَضِى ... وَأَىَّ شَمَائِلِهِ أَنْدُبُ ؟
أَمِينُ أَتَّئِدْ فِى النَّوَى وَارْعَنِى ... فَبَيْنِى وَبَيْنَكَ مَا يُوجِبُ
أَتَذْكُرُ إِذْ أَنْتَ مِنِّى النِّيَاطُ ... من القلب أو أَنْتَ لِى أَقْرَبُ[2]
وإِذْ نحن ، هٰذَا لِهٰذَا أَخٌ ... وهٰذا لذا ابْنٌ ، وهٰذا أَبُ
ومنْ قَالَ عَنَّا مِن النَّاظِرِين ... « نَدِيمَا جَذِيمَةَ » لا يَكْذِب[3]

---

(١) أمين فكرى باشا ، هو ابن المرحوم عبد الله فكرى باشا ، ولد فى القاهرة سنة ١٢٧٢ هـ ١٨٥٦ م . وتلقى العلم فى المدارس الأميرية ، ثم أرسل إلى أوربا لتلقى علوم القانون ؛ ثم عاد إلى مصر وتولى عدة مناصب قضائيـة وإدارية كان آخرها أن أسندت إليـه محافظة الإسكندرية ثم نظارة الدائرة السنية ؛ وتوفى سنة ١٨٩٩ م .

(٢) يذكّر الفقيد بما كان بينهما من صلة وثيقة فى الحياة ويقول : إنه كان منه بمنزلة نياط القلب ، أى علائقه .

(٣) نديما جذيمة : هما مالك وعقيل ؛ وكان يضرب بهما المثل فى الاجتماع وعدم التفرق . قال متمّم بن نويرة يرثى أخاه مالكا : =

حَسِبْتُ بأَنَّكَ لِي خالدٌ ... فكانَ الّذى لم أَكُنْ أَحْسَبُ

أَفِي ذَا الشَّبَابِ وهذا الإِهَاب ... يَمُوتُ الْفَتَى الطّاهِرُ الطَّيِّبُ

ويُودِى الذَّكاءُ ويَقْضِى الْوَفاء ... وَتَرْدَى الفضيلة أَوْ تَعْطَبُ(١)

عَجِيبٌ مِنَ الموتِ أَفْعَالُه ... وَعَتْبِي عَلَى فِعْلِهِ أَعْجَبُ

بِذَا حَكَمَ اللهُ فِي خَلْقِهِ ... لِكلِّ امرِئٍ أَجَلٌ يُكْتَبُ

وَجَدْتُ الحياةَ طَرِيقَ المماتِ ... وكلٌّ إلى حَتْفِهِ يَسْرُبُ(٢)

وَيَعْثُرُ فيها الفتى بالشَّباب ... وَيَدْلِفُ بالعِلّةِ الأَشْيَبُ(٣)

ويَتْعَبُ بالزّادِ فيها الْفَقِيرِ ... وأَهْلُ الغنى بالغِنى أَتْعَبُ

ويَشْقَى أَخُو الجهل فى جَهْلِهِ ... ويَحْرَجُ بالعالِمِ المَذْهَبُ(٤)

مَوَارِدُ مَشْرُوعَةٌ لِلْحَيَاةِ ... فأَيُّ مَوَارِدِهَا الأَعْذَبُ(٥)

= وكنّا كندمانَىْ جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

وجذيمة، هو جذيمة الأبرش أحد ملوك الحيرة.

(١) يقضى: يموت. وكذلك «تردى» و«تعطب».

(٢) الحتف: الموت. ويسرب: يذهب.

(٣) يدلف بالعلة الأشيب: يسير إلى غايته من الموت. يقول: إن الموت لا يدع فتى ولا شيخاً، فإن الفتى الذى ينتظر له طول الحياة يعثر بشبابه الناضر فيهلك، والشيخ يخطو بالعلة إلى فنائه.

(٤) يحرج بالعالم المذهب، أى يضيق به مذهب الرزق.

(٥) مشروعة، أى مهيأة للورود.

أَتعلَمُ عَيْنُ الرَّدَى مَنْ تُصِيبُ ... وَتَدْرِى يَدُ الموتِ مَنْ تَضْرِبُ ؟
أَلَمَّا تَـكامَلَ نُورُ الأمِـين ... وتَاهَ به الشَّرْقُ والمَغْرِب [١]
وَأَوْفَى المَكارِمَ ما أَمَّلَتْ ... وأَعْطَى الفضَائِلَ ما تَطْلُبُ
ودَانَ لهُ أَمَلٌ فى الحياةِ ... وَتَمَّ لهُ فِى الْعُـلَا مَأْرَبُ [٢]
طَوَاهُ الرَّدَى عَلَمًا فَانْطَوَى ... بهِ أَمَلٌ مُقْبِـلٌ نَرْقُبُ ؟ [٣]
فيَا نائيا والهوَى ما نَأَى ... وذِكْرَاهُ فى البَالِ لَا تَعْزُب [٤]
هَنِيئًـا لِدَارٍ تَيَمَّمْتَهَا ... لَقدْ زَارَهَا المَلكُ الأَطْيَبُ [٥]
وَجاوَرَهَا كَوْثَرٌ منْ خِلالِ ... كَ حُلْوٌ مِنَ الْخُلْدِ مُسْتَعْذَبُ
تَنَعَّمْتَ فِيها وَخَلَّفْتَـنِى ... لَدَى مَـنْزِلٍ بَرْقُهُ خُلَّبُ [٦]
ودَادُ الصَّدِيقِ بهِ حُوَّلٌ ... وقَلْبُ الصَّدِيقِ بهِ قُلَّبُ [٧]
وَصَعْبٌ عَلَى الْحُرِّ فِيهِ الْمُقَام ... وَلَـكِنَّ هِجْرَانَهُ أَصْعَبُ

---

(١) تاه : ازدهى وافتخر .
(٢) « دان له » : خضع .
(٣) نرقب ، أى نرقبه .
(٤) لا تعزب ، أى لا تغيب .
(٥) تيممتها : قصدتها .
(٦) خُلَّب ، أى خادع .
(٧) يريد بالحُوَّل والقُلَّب فى هذا البيت : المتحوّل المتقلب .

وياتُرْبةً حَلَّ فيها الأمينُ   لأنتِ الفَرَاديسُ أوْ أخْصَبُ
حُبِسْتِ عَلَى رَحَماتِ الرَّحيم   وجَادَكِ رِضْوَانُهُ الصَّيِّبُ [1]
ولا زالَت السُّحْبُ مُنْهَلَّةً   وَأَنْتَ لِأَذْيالِهَا تَسْحَبُ
وَرَوَّتْكَ مِنِّى دُمُوعٌ تَسِيل   تُخَامِرُهَا مُهَجٌ تُسْكَبُ [2]

رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد [3] عبده

سنة ١٩٠٥ م

تَدَفَّقْ دُمُوعًا أوْ دَمًا أوْ قَوَافِيَا   مَآتِمُ أَوْلَى الناسِ بِالْحُزْنِ هَاهِيَا
أَيَجْمُلُ أَنْ تُنْعَى الفَضائلُ لِلْوَرَى   ولم تَكُ فِى الباكِينَ وَيْحَكَ بَاكِيَا

---

(١) جادك : أمطرك . والصَّيِّب من المطر : الهاطل المنصبّ .

(٢) تخامرها : تخالطها .

(٣) ولد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فى سنة ١٢٥٨ هـ فى قرية من قرى البحيرة ، وتعلم فى مكاتبها ، ثم انتقل إلى الأزهر فتفقه فيه ، ولما جاء جمال الدين الأفغانى إلى مصر سنة ١٨٧١ م لازمه وأخذ عنه الفلسفة والمنطق ، وكان فى جملة الناهضين بالحركة الوطنية على عهد عرابى . ولما انقضت الثورة واحتل الانجليز مصر حكم عليه بالنفى ، فأقام فى سورية مدة ، ثم سافر إلى باريس حيث التقى بالأفغانى ، وعاد أخيراً إلى مصر بعد أن عفى عنه ، وتولى منصب الافتاء وما زال فيه حتى مات سنة ١٩٠٥ م .

أغَرَّكَ مِنْ بَعْضِ اللَّيَالِى سُكُونُهَا ... فَبِتَّ قَرِيرًا نَاعِمَ البالِ هَانِيا

لقد سَكَنَتْ لٰكنْ لِتُرْهِفَ لِلْوَغَى ... دَقَائِقَ مِنْ ساعاتِهَا وَثَوَانيا[1]

أَلا إِنَّ بينَ الكاسِ وَالفَمِ فُرْجَةً ... لِرَكْضِ عَظِيماتٍ تُشيبُ النَّوَاصِيا[2]

فَنَبِّهْ رَقيبًا مِنْ حِذَارِكَ كلَّما ... رَأَيْتَ بأطرافِ الْفُؤَادِ أَمَانيا[3]

***

(مُحمّدُ)، دُورُ العِلْمِ كانَتْ أَوَاهِلًا ... بِفضْلِكَ ما بَينَ الأنَامِ زَوَاهِيا[4]

فَصَبَّحَهَا إِلّا مِنَ الحُزْنِ وَالْأَسَى — ... عليكَ القَضَاءُ المستَبِدُّ — خَواليا

فَما للرَّدَى ـ لَا بارَكَ اللهُ في الرَّدَى ـ ... أَحَالَ بَشِيرَ الأمْسِ في الكَوْنِ نَاعِيَا

بِرَغْمِ الحِجَا والمجْدِ أَنْ مَسَّكَ البِلَى ... بِسُوءٍ فأَضحَى عُودُكَ الصُّلْبُ ذَاوِيا[5]

---

(١) أرهف السيف : حدّده وشحذه ؛ شبه دقائق الساعات وثوانيها فى اخترام الأعمار بالسيوف القاتلة . والوغى : الحرب لما فيها من الصياح والجلبة .

(٢) كنى بقوله : « بين الكاس والفم » عن ساعات السرور وأوقات اللذة . ويريد بالعظيمات : حوادث الدهر وأرزاءه العظيمة . وركضها : سرعة سيرها . يقول : إن فى أثناء ساعات السرور وأوقات اللهو مجالا لحوادث الدهر ونوائبه تباغت الغارق فى ملذاته فتقطعها عليه .

(٣) رقيباً من جذارك : جعل حذر الانسان كالرقيب عليه يمنعه من التوسع فى الأمل ، يقول : نبّه هذا الرقيب إلى مراقبتك إذا علق بالقلب شىء من الأمانى خشية الشطط والتوسع فيها .

(٤) أواهل ، أى أوانس بأهلها .

(٥) الحجا : العقل . وكنى بصلابة العود هنا عن ثبات الفقيد فى الحق .

وَأنْ أُقفِلَ البابُ الّذى كُنتَ عِندَه تُقَابِلُ مَلْهُوفا وَتَرْصُدُ شاكيا
(مُحَمّدُ) مَنْ للدِّين يَحْرُسُ حَوْضَه وَيَدْرَأُ بَيْنَ النَّاس عنه العَوَادِيا ؟[1]
تَعرَّضَ قَوْمٌ لِلكِتَابِ وَأثْخَنُوا صَراحَتَه شَرْحًا عن الْقَصْدِ نائيا[2]
فأَرْسَلْتَ فيهِ نَظْرَةً نَفَذَتْ إلَى صَميمِ مُرادِ اللّه إِذْ قُمْتَ هاديا
وَوَفّقْتَ بَيْنَ الشَّرْعِ والعَقْلِ بعدَمَا قد اُعتَقَدَ الإِلْفَانِ أَلّا تَلاقيا
وَرُبَّ أُنَاسٍ حارَبُوا دِينَ أَحْمَدٍ فَثُرْتَ عليهِمْ ثَوْرَةَ اللّيْثِ عادِيا
وَقَفْتَ وأقْلامُ الغَوايَةِ شُرَّعٌ وأقلامُ أهْلِ الْحَقّ تَرْنُو سَواهِيا[3]
وَأفْحَمْتَ بِالْبُرْهانِ كلَّ مُنَاضِلٍ لو أنّك لم تَغْضَبْ لَزَادَ تَمادِيا[4]
فَفَاءوا إلى الْحُسْنَى ولو لَمْ تَحُجَّهُمْ لَعَادَتْ زَئِيرًا صَيْحَةُ القَوْمِ دَاوِيا[5]

---

(١) حوض الدين كناية عن حوزته . ويدرأ : يدفع . والعوادى : النوائب .

(٢) أثخنوا صراحته ، أى أوهنوها وأضعفوها . يشير بهذا البيت إلى مفسرى القرآن الذين لم يصيبوا وجه الحق فى تفسيرهم ، وبعدوا عن القصد فى شرحهم .

(٣) شرّع ، أى مصوّبة نحو الهدف . وترنو : تنظر . ويشير إلى مجاهرة كتّاب الباطل بباطلهم بلا استحياء ، مع اختفاء كتّاب الحق وتواريهم خشية الثورة عليهم .

(٤) أفحمت كل مناضل ، أى قطعته عن حجّته وأعجزته .

(٥) فاءوا : رجعوا . وتحجهم : تغلبهم بالحجة . والمعروف فى كتب اللغة أنه يقال : « دوّى الصوت فهو مدوّ » بتشديد الواو فيهما ، لا «داو» كما استعمله الشاعر . ويريد بالقوم هنا : أهل الشبهات الطاعنين على الإسلام .

هَنيئاً لهمْ فَلْيَحْمِلوا حَمَلاتِهِــمْ ... فقد أصْبَحَ المَيْدَان بَعْدَكَ خاليا

(مُحَمَّدُ) وَفَّيْتَ المُرُوآتِ حَقَّهـا ... وَقُمْتَ إليها فى حَياتِكَ دَاعِيـا

وعَلَّمْتَ أهْلَ العُرْفِ فى العُرْفِ أوْجُهاً ... — لها غُرَرٌ مشهورةٌ — وَمَعانيا[1]

وعالَجْتَ أمراضَ القُلوب بحِكْمةٍ ... تَرَى ظاهِراً مِن خَلفِها البُرْءَ صَافِيا

وَأَوْدَعْتَ فى الطُّلاّبِ أجْزَاءَ مُهْجَةٍ ... تَرَى العِلْمَ إنْ لم يَعْلُ بالمرءِ هاذِيا[2]

مَناقِبُ إنْ عُدَّتْ تَضَوَّعُ بَيْنَنا ... كأنَّا اتَّخَذْنَا ساحَةَ الرَّوْضِ نادِيا[3]

ألا نَمْ مَعَ الأبرارِ فى الخُلْدِ ناعِماً ... فكم بِتَّ فِينا سَاهِرَ العَزْمِ عانِيا

جُزِيتَ عن الإسلام ما أنْتَ أهْلُه ... فقد كُنتَ سَيْفاً فى يَدِ الحَقِّ مَاضِيا

---

(١) العرف : الجود والمعروف . وقوله «ومعانيا» بالنصب : معطوف على قوله «أوجها» . ويشير بهذا البيت إلى سعى الفقيد ودعوته إلى إنشاء الجمعية الخيرية الإسلامية وقيامه عليها ، وجمع التبرعات لها ، وعمله فى تثبيتها وإنهاضها .

(٢) كنى بقوله : «أجزاء مهجة» عن شدة إخلاصه فى التعليم .

(٣) تضوّع ، أى تتضوع وينتشر طيبها .

رثاء إسماعيل [1] نجيب

نجل المرحوم ابراهيم نجيب باشا وكيل الداخلية اذ ذاك

« ســـــنة ١٩٠٧ م »

أَلَا يا تِجَارَ العَصْرِ هل فيكُمُ امْرُؤٌ ... يَبِيعُ عَلَى صَرْعَى الْهُمُومِ عَزَاءَ

إذا دَلَّنِي مِنكُمْ عَلَى مِثْلِهِ فَتًى ... خَلَعْتُ عليه ما يشاء جَزَاءَ

فِي الْحَيِّ قَوْمٌ عاكِفُونَ عَلَى لَظًى ... تُذِيبُهُم الْبَلْوَى صَبَاحَ مَسَاءَ [2]

يَخَالُهُمُ الرَّائِي سُكَارَى مِنَ الأَسَى ... فَيَبْكِي عليهمْ رحمةً ووَفَاءَ

لو أَنَّ قُلُوبَ النَّاسِ طَوْعَ إِرَادَتِي ... أَحَلْتُ الأَسَى في بَعْضِهِنَّ هَنَاءَ [3]

وَلَوْ طَاوَعَتْنِي كُلُّ عَيْنٍ قَرِيحَةٍ ... لَمَا ذَابَ بعضُ الثَّاكِلِينَ بُكَاءَ [4]

---

(١) المرحوم إسماعيل نجيب ، اختضر فى شرخ شبابه بعد أن نال شهادة الليسانس ، وعين مأمورا للضبط بالجيزة . وكان السبب فى وفاته أنه كان فى مركبته فجمح الجواد الذى كان يجرها ، فاصطدمت المركبة والجواد ببعض الأشجار ، فسقط الفقيد من المركبة بعيدا عنها ، فأصيب بكسر فى عظام رأسه ومات بعد ذلك بقليل .

(٢) يريد بالقوم : أهل الفقيد .

(٣) يريد ببعضهن : قلوب أهل الفقيد .

(٤) قريحة ، أى قرّحها الهم بالبكاء والسهاد .

وعالَجْتُ إبراهيمَ ممَّا أصابَهُ   وَداهَمَه حتّى ينَالَ شِفاءَ
مَصابُكَ إسْماعيلُ زَعْزَعَ شامِخًا   وَضَعْضَعَ طَوْداً راسِيا وَأَساءَ
وَأَوْدَى بآمَالٍ كِبَارٍ تَصرَّمَتْ   – برَغْمِ ذَوِيكَ – البائسِينَ هَبَاءَ[1]
أَلا إنَّما الدُّنْيَا هَبَاءٌ ، وَأَهْلُها   هَبَاءٌ ، وهل يَبْكِي الْهَبَاءُ هَبَاءَ ؟
مُصَابُكَ إسْمَاعِيلُ أَوْدَى بِأُسْرَةٍ   تَكَلَّفَتِ الصَّبْرَ الجميلَ حَيَاءَ
وَقَلَّصَ آمَالاً كِبَاراً كأَنَّها   مَدَى الدَّهْرِ لم تَعْقِدْ عَلَيْكَ لِوَاءَ[2]
عَلَى قَبْرِكَ المَطْوِرِ مِنِّي تَحِيَّةٌ   فقد ضَمَّ غُصْنًا نَاضِرا وَفَتَاءَ[3]

---

(١) تصرَّمت : تقطَّعت .

(٢) قلّص آمالا ، أى قصَّرها وضيّق ما اتسع منها ، يقال : تقلّص الظلّ : إذا تقاصر وانقبض بعد اتساعه .

(٣) الفتاء : الصِّبا .

رثاء فقيد الوطن المرحوم مصطفى[1] كامل باشا

سنة ١٩٠٨ م

أنشدت هذه القصيدة فى حفل تأبينه بعد مرور أربعين يوما على وفاته

أَجَلْ أنا مَن أَرضاكَ خِلًّا مُوَافِيَا ... وَيُرْضِيكَ فى الباكِين لو كنتَ وَاعِيَا[2]

وقلبيَ ذاكَ الْمَوْرِدُ الْعَذْبُ لَمْ يَزَلْ ... كما ذُقْتَ منه الحُبَّ وَالوُدَّ صافِيا

سِوَى أنّه يَعتادُه الحُزْنُ كلَّما ... رآكَ عن الحَوْضِ المُهَدَّدِ نائيَا[3]

---

(١) ولد المرحوم مصطفى كامل باشا صاحب اللواء بمدينة القاهرة فى ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٤ م ، وبعد أن نال شهادة الدراسة الثانوية دخل مدرسة الحقوق الخديوية والحقوق الفرنسية ؛ ثم ذهب إلى فرنسا ، ومنها أخذ شهادة الحقوق . وبدأ حياته السياسية فى سنة ١٨٩٥ م ؛ وكانت فاتحة أعماله كتابه الذى رفعه إلى رئيس مجلس النواب الفرنسى فى ٤ يونيه سنة ١٨٩٥ م ؛ ثم كان زعيما للنهضة الوطنية فى مصر . وكان المرحوم إسماعيل صبرى باشا من أقوى الناصرين له المؤيدين لمبدئه ، وإلى هذا يشير المرحوم شوقى بك فى رثائه لصبرى . وكانت وفاته فى سنة ١٩٠٨ م بعد أن ألف الحزب الوطنى .

(٢) أجل : كلمة جواب بمعنى نعم . ويشير بالشطر الأول فى هذا البيت إلى صلة المودة التى كانت بينهما ، ومعاونة صبرى إياه فى جهاده الوطنى .

(٣) يريد بالحوض المهدد : الوطن الذى كان الفقيد يجاهد فى تحريره ويدافع عنه أعداءه .

وَيَعْثُرُ فى بعضِ الخُطوبِ إذا مَشَى | إلى بعض ما يَهْوَى فَيَرجِعَ دامِيَا[١]

وَإنْ رامَهُ سِرْبُ الْمَسَرَّاتِ لم يَجِدْ | مَحَلًّا بِهِ مِنْ لاعِجِ الهَمِّ خاليا[٢]

أَلا عَلِّلانِى بالتَّعــازِى وأَقْنِعَا | فؤادِىَ أَنْ يَرْضَى بِهِنَّ تَعازِيا[٣]

وَإِلّا أَعِينَانِى عَلَى النَّوْحِ وَالبُكا | فشأْنُكُما شَــأْنِى وما بِكُما بِيا[٤]

وَمَا نَافِعِى أَنْ تَبْكيا غَيْرَ أَنَّنِى | أُحِبُّ دموعَ البِرِّ والمرءَ وَافِيا

***

أَيَا (مصطفى) تاللهِ نَوْمُكَ رابَنَا | أَمِثْلُكَ يَرْضَى أَنْ يَنامَ اللَّياليا ؟[٥]

تَكَلَّمْ فإنّ القومَ حَوْلَكَ أَطْرَقُوا | وَقُلْ يَا خطيبَ الحَىِّ رأيُكَ عاليا

لقد أَوْشَكَتْ مِنْ طُولِ صَمْتٍ وَهِجْرَةٍ | تَخَالُكَ أَعْــوادُ المَنَابِرِ فانِيا

---

(١) الخطوب : الأرزاء . يقول : إن هذا القلب إذا سعى إلى بعض ما يحب فى هذه الحياة ، حالت الأرزاء والنوائب بينه وبين ما يبغى ، فيَعْثر بها ويرجع من سعيه مكلوما خائبا .

(٢) السرب : الجماعة . واللاعج : المحرق . يقول : إذا أرادت المسرات هذا القلب لم تجد به محلا خاليا من الأحزان والهموم .

(٣) علله بالأمر : ألهاه به وشغله عن غيره .

(٤) يقول : إن لم تقدرا على تعزيتى عن هــذا المصاب فا بكيا معى فأنتما مثلى فى الحزن على الفقيد ، وما نزل بكما من الهم قد نزل بى .

(٥) رابنا ، أى شككنا . ويشير بهذا البيت إلى دءوب الفقيد وسهره فى الدفاع عن بلاده .

وَتَبْكِيكَ ، لولا أنّ فيها بَقِيَّةً ... تُعَلِّلُها منْ ذلك الصَّوتِ دَاوِيا(١)

فهل أَلِفَتْ مَا بَيْنَ جَفْنِكَ والكَرَى ... مُحَالَفَةٌ أَمْ قد أَمِنْتَ الأعادِيا(٢)

فَقَدْنَاكَ فُقْدَانَ الكَمِيِّ سِلاحَه ... وسارِي الدَّياجِي كَوْكَبَ القُطْبِ هادِيا(٣)

وَبِتْنَا وَدَمْعُ العَيْنِ أَنْدَى خَمَائِلاً ... وأَكْثَرُ إِسْعَافا مِنَ الغَيْثِ هَامِيا(٤)

ولَوْلاَ تُرَاثٌ مِنْ أَمانيكَ عندنَا ... كَرِيمٌ بَكَيْنَا إِذْ بَكَيْنَا الأمانِيا(٥)

طَوَاكَ الرَّدَى طَيَّ الكِتَابِ تَضَمَّنَتْ ... صَحَائِفُهُ مِنْ كُلِّ فَخْرٍ مَعَانِيا

مَضَاءٍ إذا البِيضُ انْتَمَتْ لِأُصُولِهَا ... غَضِبْنَا إِذَا سَمَّاكَ قَوْمٌ يَمَانِيا(٦)

---

(١) المعروف فى كتب اللغة «مدوّ» بتشديد الواو ، لا «داو» ، كما استعمله الشاعر ، غير أن دوى يدوى بتخفيف الواو شائع الاستعمال فى كلام أهل العصر .

(٢) الكرى : النوم . ويريد بالأعادى : المحتلّين .

(٣) الكمىّ : الشجاع . والسارى : السائر بالليل .

(٤) الخمائل : جمع خميلة ، وهى الأرض ذات النبات والشجر . يقول : إن دمعنا على الفقيد أروى للخمائل من المطر الهاطل .

(٥) التراث : ما يورث . يقول : لولا الآمال العزيزة التى تركتها فى أنفسنا وورثناها عنك بكينا الآمال الذاهبة بذهابك .

(٦) مضاء السيف ونحوه : سرعة مضيه إلى الضريبة . والبيض : السيوف . وانتمت : انتسبت . واليمانى : السيف المنسوب إلى اليمن لشهرة اليمن بصنعة السيوف الجيدة قديما . يصف الفقيد بأنه أسرع من السيف اليمانى مضاء ويقول : إذا السيوف انتسبت إلى مواضعها التى صنعت بها ، وسمّاك قوم بالسيف اليمانىّ غضبنا لهذه التسمية ، فإنك أشدّ منه مضاء .

وَرَأْىٌ يُجَلِّي اليَأْسَ واليأْسُ ضَارِبٌ ... عَلَى الأُفْقِ ليلا فاحِمَ اللَّوْنِ دَاجِيا [١]

إِذَا ما تَقَاضَيْنَا وَلم تَكُ بيننا ... ذَكَرْناهما حَتّى نُجِيدَ التَّقَاضِيا [٢]

فَلَيْتَكَ إِذْ أَعْيَيْتَ كلَّ مُساجِلٍ ... قَنِعْتَ فلم تُعْىِ الطَّبِيبَ المُداوِيا [٣]

وَلَيْتَكَ إِذْ ناضَلْتَ عن مصرَ لم تفِضْ ... مَعَ الحِبْرِ قَلبًا — يعلمُ اللهُ — غَالِيا [٤]

لقد ضاع إخلاصُ الطبيبِ وحِذْقُهُ ... سُدًى فبَكَى الفخرَ الّذى كان راجِيا

وَلم تَنْتَهِزْ تلك العقاقِيرُ فُرْصَةً ... تُرِى الناسَ فيها فضلَ بُقْراطَ بادِيا [٥]

يحيِّيك سَيْفًا باتَ فى التُّرْبِ مُغْمَدًا ... تَقَلَّدَه — فيما مَضى — الحقُّ ماضِيا [٦]

---

(١) يجلّى : يكشف . والفاحم : الشديد السواد .

(٢) ذكرناهما ، أى ذكرنا المضاء والرأى السابق ذكرهما فى البيتين السابقين .

(٣) ساجله فى الأمر : باراه ونازعه الغلبة فيه . يصف الفقيد بأنه قد أتعب منافسيه حتى قصروا عن شأوه . ثم تخيّل أن طبيبه من مساجليه فتمنى أن الفقيد لم يُعىِ الطبيب ولم يتعبه فى مكافحة هذا الداء العضال الذى مات به .

(٤) يصف الفقيد فى هذا البيت بشدة الاخلاص لبلاده فيما كان يكتب حتى كأنه كان يخلط مداده بدماء قلبه .

(٥) بقراط : طبيب يونانى معروف ، وهو ابن اقليدس بن بقراط ، ولد بجزيرة كوس حوالى سنة ٤٦٠ ق م ، وعاش خمسا وتسعين سنة .

(٦) يقول : إن الحق الذى تقلّدك فيما مضى وصال بك على أعدائه أنصار الباطل يحييك اليوم حال كونك سيفا مغمدا فى التراب . فقوله : « الحق » قد تنازعه فى البيت عاملان هما : « يحييك » و « تقلده » .

ولما بلغه نعي المرحوم مصطفى كامل باشا قال عدّة أبيات لم نقف منها إلا على البيت الأول ، وهو :

أَداعِيَ الأَسَى في مِصْرَ وَيْحَكَ داعِيًا ... هَدَدْتَ القُوَى إِذْ قُمْتَ بالأمسِ ناعِيا

ولما وقف على قبره لإنشاد هذه الأبيات خنقته العبرات في البيت الأول ، فانقطع عن الإنشاد .

رثاء «عمر»

لنجل الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد سنة ١٩٠٨ م

يا مالِئَ العَيْنِ نُورًا ، والفُؤَادِ هَوًى ... والبَيْتِ أُنْسًا ، تَمَهَّلْ أَيُّهَا القَمَرُ

لَا تُخْلِ أُفْقَكَ يَخْلُفْكَ الظَّلَامُ به ... وَالزَمْ مَكَانَكَ لَا يَحْلُلْ به الكَدَرُ

في الحَيِّ قَلْبَانِ باتا يا نعيمهما ... وَفِيهما ـ إذ قَضَيْتَ ـ النَّارُ تَسْتَعِرُ (١)

وَأَعْيُنٌ أَرْبَعٌ تَبكي عَلَيْكَ أَسًى ... وَمِنْ بُكَاءِ الثَّكَالَى السَّيْلُ وَالمطَرُ

قد كنتَ رَيْحَانَةً في البَيْتِ وَاحِدَةً ... يَرُوحُ فيه ويَغْدُو نَفْحُهَا العَطِرُ

ما كَانَ عَيْشُكَ في الأَحْيَاءِ مُخْتَصَرًا ... إِلَّا كما عاشَ في أَكْمامِهِ الزَّهَرُ (٢)

فَارْحَلْ تُشَيِّعْكَ الأَرْوَاحُ جَازِعَةً ... في ذِمَّةِ القبرِ بَعْدَ اللهِ يا (عُمَرُ)

---

(١) يريد بالقلبين : قلب أب الفقيد وأمه . وقضيت : متّ .

(٢) أكمام الزهر : أغطيته ، الواحد كم بالكسر .

رثاء بطرس غالى[1] باشا

في سنة ١٩١٠ م وكانت بينه و بين صبري صلة مودة وصداقة

لَهْفَ الرِّياساتِ عَلَى رَاحِلٍ ... قَدْ كانَ مِلْءَ الْعَيْنِ وَالمَسْمَعِ [2]

لَهْفَ العُلَا قد عُطِّلَتْ مِنْ سَنَا ... بَدْرٍ هَوَى مِنْ أَوْجِهَا الأَرْفَعِ [3]

تَبْكِى الْمُرُوءاتُ عَلَى (بُطْرُسٍ) ... ذَاكَ الهمامِ الماجِدِ الأَرْوَعِ [4]

فَتَّشْتُ — لمَّا لم أَجِدْ مُقْلَتِى ... كُفُوًّا — عَنِ الفَضل ليبكى معى [5]

فقيل لى : قَدْ سَارَ فِى إِثْرِهِ ... يَوْمَ دَفَنَّاهُ وَلم يَرْجِعِ [6]

يا مُجْرِيًا دَمْعَ المَلا أَبْحُرًا ... أَدْرِكْهُمُ يا مُرْقِئَ الأَدْمُعِ [7]

---

(١) انظر التعريف ببطرس غالى باشا فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ١٤٩ .

(٢) ملء العين والمسمع : كناية عن المهابة .

(٣) السنا : النور . وهوى : سقط . والأوج : العلو .

(٤) الأروع : الشهم الذكى الفؤاد .

(٥) « عن الفضل » متعلق بقوله : « فتشت » . يقول : إنه فتش عن الفضل ليساعده على البكاء على هذا الفقيد لما رأى أن بكاء مقلته أقل مما ينبغى فى هذا المصاب العظيم .

(٦) سار ، أى الفضل السابق ذكره فى البيت الذى قبله .

(٧) أرقأ الدمع ونحوه : جففه . يريد بقوله : « مرقئ الأدمع » وصف الفقيد بمواساة البائسين ومعاونة المعوزين ، فلا يدعهم يبكون على شىء .

يا نازلاً بين وفود البلى ... آنستهم يا موحش الأربع
عيني فيك اليوم قبطية ... تروى الأسى عن مسلم موجع (١)
يهيم من وجد ومن لوعة ... في الجانب الأيسر من أضلعي
ويأخذ البر وآي الوفا ... عن الكتاب الطيب المشرع (٢)
يا من سقاني الجم من وده ... هذا ودادى كله فاكرع (٣)
يا حامل القلب الكبير الذي ... لم ينقض الميثاق قم واسمع

رثاء المرحوم إسماعيل ماهر بك

قاضي محكمة الإسكندرية المختلطة في سنة ١٩١٠ م
وكان صديقاً لصبرى في المدرسة ورفيق صباه

أناعى ماهر لم تدر ماذا ... أثرت من الشجون الكامنات
نعيت إلى أياماً تقضت ... بإسماعيل غراً صافيات

---

(١) يشير بقوله : « عيني فيك اليوم قبطية » إلى إخلاصه في البكاء وكثرة ما يفيضه من الدموع حتى كأن عينه من عيون أهل الفقيد وذويه . ويريد بالمسلم : قلبه . والأسى : الحزن .

(٢) يريد بالكتاب : القرآن . والمشرع : المنهل .

(٣) الجم : الكثير . واكرع : اشرب .

أَلا مَن للضّعيف إذا تقَاضَى ... وَلم يَرَ شَخْصَه بين القُضاة

وَمَنْ لِلْعَدْلِ إنْ رَفَعتْ بُنَاةٌ ... دَعائِمَهُ وَلَمْ يَكُ فِى الْبُنَاةِ[1]

أَمَاهِرُ إنَّ وَعْـدَ اللهِ حَقٌّ ... وَمَا جَزَعِى عَلَيْكَ مِنَ التُّقَاةِ[2]

فَمَالِى — وَالأَنَاةُ مِلاكُ نَفْسِى — ... هَلِعْتُ وَلَمْ تُجَمِّلْنِى أَنَاتِى[3]

وَمالِى إِنْ أُمِرْتُ بِبَعْضِ صَبْرٍ ... رَأَيتُ الصَّبْرَ إِحْدَى المعجزاتِ ؟

أَمَاهِرُ كُنتَ فيما مَرَّ أُنْسى ... فَمَنْ لِى فِى اللَّيَالِى الْبَاقِيَات ؟

وكُنتَ إذَا شكَوْتُ تبيتُ وَجْدًا ... تُرَدِّدُ مَا يَرِيبُكَ مِنْ شَكَاتى

وتَسأَلُ سارِىَ النَّسماتِ عَنِّى ... حُنُوًّا والبُروقَ الوامِضات

ومَن يَفْقِدْ شَبِيهَكَ يَبْكِ دُنْيَا ... تولَّتْ بالمـودّة والمِقاتِ[4]

كَذَبْتُكَ لو صَدَقْتُكَ بعضَ وُدِّى ... لَهَدَّ جَوانحى صَوْتُ النُّعاةِ[5]

ولَاَستَقْصَتْ حِيالَ النَّعْشِ عَينى ... وراءكَ راحِلاً هِمَمَ البُكاةِ[6]

---

(١) دعائم البناء : عمده ، الواحدة دعامة بالكسر .

(٢) التقاة والتقى بمعنى واحد .

(٣) ملاك نفسى ، أى عمادها وقوامها .

(٤) المقات : جمع مقة بكسر الميم ، وهى المحبة .

(٥) يتهم الشاعر فى هذا البيت نفسه بأنه كاذب فى وداد الفقيد ، ويعلل ذلك بأن نعيه لم يبلغ من التأثير فيه ما كان ينبغى أن يبلغ من صادق الود . وهذا كناية عن أنه يستقل ما أصابه من الحزن عليه ، وأنه كان يريد المزيد .

(٦) يقول : إننى لو كنت صادقا فى مودتى لك لبكت عينى على فقدك بمقدار ما بكتك عيون مشيعيك . كنى بذلك عن كثرة من بكوا عليه .

بِرَغْمِى أنْ تَقَلَّصَ منكَ ظِلٌّ ... وَقانِى حِقْبةً لَفْحَ الحيــــاةِ[١]
وأن نَضَبَتْ خِلالٌ كنتُ منها ... أَعُبُّ لَدَيْكَ مِنْ عَذْبٍ فُراتِ
وأنْ صَـفِرَتْ يَمِينى مِن ودادٍ ... غَنِيتُ به لَيَــــالىَ خالياتِ[٢]
أخى ما حِيلتى إلَّا ســــلامٌ ... يزورُكَ فى المسَاء وفى الغَـداةِ
وإلّا الدّمـــــعُ أنثرُه عَقِيقا ... على ذِكرَى خلالِكَ الغـائباتِ
قَضَيْتَ فكنتَ أسرَعَنا مَسِيرًا ... إلى غُرَفِ الجِنانِ العـالِياتِ

تعزية بعث بها إلى يوسف سابا[٣] باشا

عن فقد نجله فريد سنة ١٩١٢ م

(سَابَا) اُتَّقِ اللهَ وَخَــلِّ الأَسَى ... لجاهِلٍ يُعْــــذَرُ فى جَهْلِهِ[٤]
لا تَـكْتَرِثْ بالرُّزْءِ وَانْهَضْ به ... فالرأىُ كلُّ الرأىِ فى حَمْلِهِ
مِثْلُكَ مَنْ يَلْجأُ — إنْ رَاعَهُ ... يومٌ بِمَكْرُوهٍ — إلى عَقْـلِهِ[٥]

---

(١) تقلّص الظلّ : تقبّض وتضاءل . والحقبة : المدة من الزمن . واللفح : الحرّ ، واستعاره هنا لشدائد الحياة وهمومها .

(٢) صفرت : خلت .

(٣) انظر التعريف بيوسف سابا باشا فى الحاشية رقم ١ من صفحة ١٦٧ .

(٤) الأسى : الحزن .

(٥) راعه : أفزعه .

قَضَى (فَرِيدٌ) وَهو غَضُّ الصِّبا　　وَخَلَّفَ الْحَسْرَةَ فى أَهلِهِ
وقابَلَتْه فى الْجِنَانِ الْعُلا　　مَلائِكٌ لله فى شَكْلِهِ
وَاهًا له مِنْ غُصُنٍ مَا نَمَى　　حَتَّى ذَوَى وأُجتُثَّ مِنْ أَصْلِه[1]
(سَابَا) أَبكِ لَكِنْ كالحَكِيمِ الّذى　　يخافُ أَنْ يُطْمَنَ فى نُبْلِهِ
واُصبِرْ فكَمْ مِنْ جَزِعٍ آكِلٍ　　مِنْ صِحّةِ المرءِ وَمِنْ فَضْلِهِ
فاللَّيْثُ لا تُنْسِيه أحزانُه　　مَقَامَه إِنْ ضِيمَ فِى شِبْلِهِ

رثاء على أبى الفتوح[2] باشا

سنة ١٩١٤ م

عَزِّ الكِرَامَ وشاطِرْهُمْ رَزِيَّتَهُمْ　　فإنّهمْ بالتَّعازِى أَخْلَقُ النّاسِ
وأَلْقِ دَمْعَكَ فى تيّارِ أَدْمُعِهِمْ　　ووَحِّدِ الرُّزْءَ فى (مصرٍ) (وبُلْقاسِ)

---

(١) ذوى : يبس وذبل . واجتُثّ : قُطِع .

(٢) على أبو الفتوح باشا هو ابن أحمد أبى الفتوح باشا ، ولد ببلقاس من أعمال الغربية فى سنة ١٨٧٣ م وبعد أن أخذ حظه من التعلم فى مصر سافر إلى أوربا لتلقى علوم القانون بكلية مونبليه بفرنسا ، ولبث فيها ثلاث سنوات نال بعدها شهادة الليسانس ، وعاد إلى مصر سنة ١٨٩٥ م وآخر منصب تولاه فى الحكومة المصرية وكالته للمعارف ؛ وتوفى فى سنة ١٩١٤ م .

واخلعْ عِذارَكَ فالأشجانُ آمِرةٌ ... وما على من يُطيعُ الأمرَ مِن باسِ (١)

ولا يغُرَّنْكَ فِي البَلْوَى ثَباتُهُمُ ... كم مِن رَفيعِ الذُرا فوقَ اللَّظَى راسِي (٢)

همُ الأُلَى قطعوا فى الحُزْنِ أَوْدِيَةً ... يَضِلُّ إِنْ سار فى أقْطارِها الآسى (٣)

يخالُهُمْ مَن رآهُمْ فى مَضاجِعِهِمْ ... سَكْرَى وماذاكَ مِنْ دَنٍّ ولا كاسِ (٤)

جَلَّت مُصيبَتُهُمْ عن أن يكُونَ لها ... عَرْضٌ سِوَى الهمِّ أو طُولٌ سِوَى الياسِ

(أبا الفُتوحِ) وَمَنْ نَادَاكَ جَاوَبَه ... مِنْ جَانِبِ اسْمِكَ نَفحُ الوَرْدِ والآسِ (٥)

إذا غَدَتْ مِصرُ منكَ اليومَ خَاليةً ... فَمَا لِعَهْدِكَ فيها الدَّهْرَ مِنْ نَاسِي

هل كان يومُكَ فينا غيرَ يومِ مُنًى ... كانتْ كِباراً فأمْسَتْ طَيَّ أَرْمَاسِ (٦)

---

(١) خلع العذار : كناية عن المضى إلى ما يريده الإنسان بلا مبالاة ولا خوف من اللوم . والعذار فى الأصل : ما سال من اللجام على خد الفرس . كأنه قال : أطلق لنفسك العنان فى الحزن : والأشجان : الأحزان .

(٢) الذُّرا : جمع ذروة ، وهى أعلى الجبل . ويريد برفيع الذُّرا هنا : البركان ، شبه به آل الفقيد فيما يظهر للناس من صبرهم ، وما يضمرونه من حزن متأجج على فقده .

(٣) الآسى : الطبيب .

(٤) الدن : الوعاء الكبير للخمر .

(٥) يشير بقوله : « ومن ناداك جاوبه » الخ البيت ، إلى طيب خلال الفقيد ورقة شمائله حتى إذا نادى أحد باسمه أجابه طِيبُ الرياحين ، للمشابهة بينه وبينها .

(٦) الأرماس : القبور ، الواحد رمس .

تعزية رفعها إلى المغفور له السلطان حسين كامل

عن أمه سنة ١٩١٦ م

أيُصِيخُ لى المَلِكُ الهُمامُ قليـلا ... إنْ قلتُ صَـبْرًا مرّةً فأقولا [(١)]

مَن لى بأنْ أُدْلِى إليـه بسَلْوةٍ ... فأَعُدَّ فَضْلاً ما أُعَـدُّ فُضولا [(٢)]

وأبِيتُ مُغْتَبِطا بأنّىَ لَمْ أَدَعْ ... فى ذلك القلبِ الكبيرِ غليلا [(٣)]

أحُسَيْنُ لُذْ بالصّبرِ معتصِما به ... حتّى ترَى أثَرَ الجميـلِ جميلا

نِعْمَ الحليفُ يَشُدُّ أَزْرَ حَليفِه ... فى الخَطْبِ إنْ خَذلَ الخليلُ خليلا [(٤)]

مَهْلاً فما استَثْنَى القَضاءُ من الرَّدَى ... أَحَـدًا وما أَغْنَى البُكاءُ فَتيلا

لَوْ أنّهُ اسْتَثْنَى لَباتَ جَميـلُهُ ... وَقْفا عليكُمْ (آلَ إسْماعِيلا) [(٥)]

---

(١) أصاخ إليه : استمع له . وفى هـذا المطلع من وفرة الأدب فى مخاطبة الملوك عند تعزيتهم ما هو ظاهر . ألا ترى الشاعر قد استأذن السلطان فى تعزيته ورجاه أن يصيخ إليه ، ولم يبتدئه بطلب الصبر منـه كما تعوّد الناس فى تعزية بعضهم بعضا .

(٢) يتمنى الشاعر فى هذا البيت أن لو أذن له السلطان بأن يعزيه ويسليه عن مصابه ، ويعد ذلك فضلا من السلطان عليه ، مع أن تعزية السلطان فضول لا حاجة إليها ، فرجاحة عقله كافية فى تعزيته .

(٣) يريد بالغليل هنا : حرارة الحزن .

(٤) يشد أزر حليفه ، أى يقوّيه .

(٥) يقول : لو أن القضاء استثنى أحدا من سنة الموت لما استثنى غير آل إسماعيل وخلدهم دون غيرهم ، لما فى بقائهم من الخير للناس .

إنْ تقضِ أُمُّكَ نَحْبَها فلقد رأتْ   أعلامَ واحدِها تُظِلُّ النِّيلاَ

وحَوَتْ مَفاخرَ لم تَحُزْها قبْلَها   خَيرُ العَقائلِ مَعْشَرًا وقَبيلاَ

وتعهَّدَ العَصْرَين عَصْرَىْ مَجْدِها   مَلِكانِ طابَا مَحْتِدًا وأُصولاَ [1]

وأقرَّ عَيْنَيْها بعصرٍ مَوْكِبٌ   يَرْتَدُّ طَرْفُ الدّهرِ عنه كَليلاَ

مُتَنَقِّلٌ بكَ والملائكُ حَوْلَه   يَرْعَوْنَ شَخْصَكَ حُوَّمًا ونُزولاَ [2]

قد ساقَهُمْ شَوقٌ إليك يَزيدُه   أنْ قد رَضِيتَ العَرْشَ والإكليلاَ [3]

ضَنًّا ببَيْتِ محمّدٍ أنْ يَغْتَدِى   بِسوَى بَنيهِ ـ بَنى العُلاـ مأهُولاَ [4]

وبآلِ مصرٍ أنْ يَبيتَ عَزيزُهمْ   فى دارِه — دارِ الأُباةِ — ذَليلاَ

عُمُرٌ إذَا مَاالعُمْرُ قِيسَ بِمَاجَرَى   فيهِ فَعامٌ مِنْهُ يَعْدِلُ جِيلاَ [5]

---

(١) يريد بالملكين : زوجها إسماعيل باشا وابنها السلطان حسين كامل .

(٢) حوّما ، أى دائرين حولك .

(٣) يشير بقوله : « أن قد رضيت العرش » وبالبيت الذى بعده : إلى امتناع المغفور له السلطان حسين كامل من قبول السلطنة فى أول عرضها عليه بعد خلع الخديوى عباس الثانى سنة ١٩١٤ م وقبولها بعد ذلك حفظا لعرش مصر من أن يجلس عليه غير آل محمد على ، فإن الإنجليز إذ ذاك كانوا قد هدّدوا السلطان حسين بإعطاء السلطنة لرجل آخر من غير آل هذا البيت .

(٤) ضنا : بخلا . ومأهولا ، أى مسكونا بأهله .

(٥) يريد بهذا البيت والذى بعده أن عمر هذا السلطان حافل بالمآثر الجليلة حتى إن العام منه يعدل جيلا كاملا من غيره ، وإن ماضى مصر الحافل =

يختَارُ مَاضِى مِصْرَ مِنْ أَيَّامِهِ ... غُرَرًا يَتِيهُ بِحُسْنِهَا وَحُجُولا
عَوَّذْتُ بَيْتَكَ يا ابْنَ خَيْرِ مُمَلَّكٍ ... مِنْ أَنْ يُقِيمَ بِهِ الحِدَادُ طَوِيلا
لا تُذْرِ إلاّ أَدْمُعًا مَعْــدُودَةً ... فالبِرُّ أَصْدَقُ أَنْ يُقِيمَ دَلِيلا [1]
صُنْ دَمْعَكَ الغَالِى فَدَمْعُ عُيُونِنَا ... كُفءٌ لِحُزْنِكَ إِنْ رَضِيتَ بَدِيلا
وَدَعِ الهُمومَ فَحَسْبُ قَلْبِكَ أَنَّه ... أَمْسَى بِمِصرَ مُتَيَّمًا مشغولا

رثاء المغفور له السلطان حسين كامل

فى ا أكتوبر سنة ١٩١٧ م

لَهْفَ سارِى الدُّجَى لقد أَفَلَ البَدْ ... رُ وطالَ السُّرَى وغاب الهادِى [2]
لَهْفَ راجِى القِرَى وحاتِمُ طَيٍّ ... قد خَبَتْ نارُه بهــٰذا الوادى [3]

= بعظمة الفراعنة وغيرهم ليختار من هذا العمر ما يتحلى به ويجعله له بمنزلة الغرر والحجول يتيه بحسنها ويفتخر .

(١) أذرى الدمع ونحوه : فرقه .

(٢) أفل البدر : غاب . والسرى : السير بالليل . شبه الفقيد بالبدر الآفل حين حاجة السارين إلى هدايته فى ظلمة الليل .

(٣) القرى : ما يقدم للضيف . وخبت ناره : خمدت . يريد أن جوده قد انقضى ، فكنى عن ذلك بانطفاء ناره . وكان من علامة الجود عند العرب كثرة إيقاد النار لهداية الطارق بالليل .

لَهْفَ نَشا كِي الصَّدَى أخو النِّيل قدبا ت بَعيدَ المَزارِ عن كلّ صادِي [1]

مَن يُغيثُ المظلومَ إنْ بات يَشْكو و(حُسَيْنٌ) عَدَتْ عليه العَوادِي ؟ [2]

حَبّذا طَيْفُ نَهْضَةٍ قد أَرانا هُ عِيانا لم يَتّفِقْ فى رُقادِ

فكأنّا مِن (عابِدِينَ) خُروجًا نَتَهادَى منها على ميعاد [3]

لَم يَرَ الموتُ رأيَه وتَقَضَّى حُلُمٌ قد سَرَى بأقْصَى البِلاد [4]

تمّ ديوان المرحوم إسماعيل صبرى باشا

---

(١) الصدى : العطش .

(٢) عوادى الزمان : نوائبه وأحداثه .

(٣) نتهادى ، أى نمشى الهوينى .

(٤) لم ير الموت رأيه ، أى لم ير الصواب حين حلّ بالفقيد .

تذييل (١)

بما نظمه المرحوم إسماعيل صبرى باشا رحمه الله

من المقطوعات الغنائية

ولحّن فيها كبار المغنّين فى عصره

فمن أغانيّه المشهورة

تلك الأغنيَّة التى كان يغنّى بها المرحوم محمد عثمان ، ولا تزال تغنَّى حتى اليوم ، وقد أخبرنى — رحمه الله — أنه كان يسمع المرحوم محمد عثمان ليلة فلم يرقه ما تَغَنَّى به ، فقال بعض جلسائه : هلّا ينظم الباشا مقطوعة نستغنى بها عن تلك الأغانىّ المبتذلة . فأجابهم إلى ذلك ، واشترط أن تُغَنَّى فى هذه الليلة . فأجابه محمد عثمان إلى شرطه ، وغنَّى بهذه الأغنيَّة الآتية :

أَدَّكْ أمير الأغصان   من غير مكابر

وورد خدّك سلطان   على الأزاهر

والحب كلّه أشجان   يا اَلْب حاذر

والصد ويّا الهجران   جزا المُخاطر

***

---

(١) ذيّلنا الديوان بهذه المقطوعات الغنائية — وإن كانت جارية على كلام العامة — لأمرين : أولها شبهها بالشعر فى الموضوعات والمعانى والأخيلة ؛ ثانيهما أن تكون مثالا حسنا ينسج عليه من يُعنَون بممارسة هذا الفن فى عصرنا

يا اَلْب اُدِ اُنْتَ حبّيت ورجعت تنـــدم
صبحت تشكى مالإِيت لك حـــدّ يرحم
صَدّأْت اُولى ورإيت ذل المتـــيم
ياما نصحتك ونهيتـه لو كنت تفهـم

* * *

أعرض لحسنك أوراءِ وأكتب وأدوِّن
وأبات صريع الأشواء وأحسب وأخمّن
داهجر وصبابه وفِراء يا رب هـوّن
وأرحم اُلُوب العشّاء دا شيء يجـنن

ومن أغانيّه أيضا

الحـــلو لما أنعطف أخجل جميع الغصون
والخد ـ آه ـ ما اُناأَطَفْ ورده بغـير العيون

* * *

لما بدا لى الحبيب يشبه لبـــدر التمام
صار الفؤاد فى لهيب فى الحال وهام بالأَوام

* * *

وحين رأى الحبّ فيـه زاد والغـــرام أشتهر

من العذول السفيه حاذر وعنّى أتصر

***

حبّيت أشوف لى سبب أبنى عليـه الكلام
لكن لإيت الطلب بعيد وصعب المرام

***

إرحم يا سيد الملاح مغـرم ضناه البعاد
دمعه على الخد ساح من حر نار الفـؤاد

***

يلّى أبتليت بالهـوى وصرت مغرم أسير
خلى أصطبارك دوا حتى يهون المسير

***

الحب حاله عجب يلذ فيـه العذاب
ذكر الحبيب فيه طرب ودمع عينـه شراب

ومن أغانيّه وهو طالب

ما نظمه للمرحوم عبده الحمولى

خلّى صدودك وهجرك وأطفى لهيبى ووجدى
ساعة وصالك وأزبك أغلى من العمر عندى

بصـــدّى إنتم رضيتم وهان عليكم بعادى
وأُنتم أطعتم ودادى الله يصـــبّر فؤادى

* * *

يا نرجس الروض مالك سلّطت لحظك علىّ
اللى كوانى جمالك لـكن سببها عــنىّ

* * *

حنّى إدِيك من دموعى وأرسم عليهـم أساور
وإن كنت خايف عذولى اِرخى شعورك ستـاير

* * *

لأجلك هجرنى منـامى وفيك جفيت كل صاحب
ولأجل أُنْسك ووصلك صاحبت غـير الحبايب

ومن اغانيّه أيضا

محبّـك فى هنـا وسرور صفا له يوم صفيت الدهر
مليت البيت علينا نور سلامات يا شَيْءُ البدر
سلامات يا منى الأحباب وأهـلا يا فريد العصر
جعلت العمر نصّه غياب عن المغرم ونصّه هجر

ومن أغانيه أيضا

ما نظمه تحية للمغفور له السلطان حسين كامل

حيّ الأهلّه فى الأعـــلام ويّا النجوم شارات الفخر
وارَا السـلام طول الأيام على أمَــــر طالع فى مصر
غمرت ملكك بالإحسان يبات يسابئ فيـه أمرك
حسين ، كدا يكون السلطان الله يبارك فى عمــرك

ونظم أيضا فى مدحه

فى (عابدين) سلطان وفى السما بدر زاهى
شوف دا ودا بإمعان إن كنت تفهم وضاهى
دا فرع إسمـــاعيل حاسب دا مولى الموالى
فين بدر وادى النيــل وفين بدر الليالى

ومما ينسب إليه من المواليا قوله

فى ظل أهداب عيونك ورد خدّك آل[1]
وحسن يوسف ميراث عنه لوجهك آل[2]
والشمس ويا الأَمَرَ فى حسنهم لك آل[3]
لو أُنْت للصب أُلْ : كل الملاح جندى
ولى الجمال أجمعه من غير مشارك ، آل

ومن أغانيّه

الوصل نسّانى العتاب ،وكان كتير   وبعد ماشفت العذاب ، هان العسير
وردّت الروح فى العليـــــل   والرب أسعف بالجميــــل
شجن كتير ونوم ألِيل   كن لى نصــــير

يلاحظ أنه توجد مقطوعات غنائية أخرى تنسب إلى إسماعيل صبرى باشا رحمه الله ، ولم أتيقن من صحة نسبتها إليه ، فلذلك لم أثبتها فى هذا التذييل .

(١) يريد القيلولة فى وقت الحر .
(٢) آل يؤول : رجع .
(٣) آل ، أى أهل .

فهرس

القوافى التى وردت فى هذا الديوان

(ء)

(ا)

(ب)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(ن)

(تم فهرس ديوان إسماعيل صبرى باشا رحمه الله)

فهرس

التذييل الغنائى

وإنه مما يجمل بنا تقديرا لإخلاص العاملين أن نوفّى بالشكر الجزيل والثناء الجميل تلك العناية والجهد العظيمين اللذين بذلهما فى طبع هذا الديوان على هذا النمط مع السرعة والدقة والإتقان حضرة محمد حسين عبد المتعال أفندى كاتب أول لجنة التأليف والترجمة والنشر وعبد اللطيف محمد الدمياطى أفندى مدير القسم الفنى بمطبعتها

أحمد الزين

القاهرة فى يوم الجمعة ٢٠ شعبان سنة ١٣٥٧ الموافق ١٤ اكتوبر سنة ١٩٣٨

استدراك

عثرنا بعد طبع هـذا الديوان على يسير من الأخطاء رأينا أن نضوبها هنا ليستدركها القراء .

عـدد

(١) ورد فى صفحة ١٥٧ فى ترجمة أحمد حشمت باشا أن آخر وزارة تولاها وزارة المعارف فى وزارة سعيد باشا . والصواب أن آخر وزارة تولاها حشمت باشا وزارة المـالية فى وزارة يحيى ابراهيم باشا سنة ١٩٢٣ م .

(٢) ورد فى صفحة ١٦٢ فى ترجمة عبد الخالق ثروت باشا أنه أول مصرى تولى منصب النيابة العمومية . والصواب أن أول مصرى تولى هذا المنصب هو شاعرنا المرحوم إسماعيل صبرى باشا ، وقد بينا ذلك مع تاريخه فى ذكر أطوار حياته فى مقدمة هذا الديوان .

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٩	٢	١٢٧٤	١٨٧٤
٢٣	٣	١٨٧٨	١٨٨٧
٩٤	١٠	دركوس	دراكاتوس
٩٤	١٥	عامل كفء	عام الـكفء
١٤٠	١١	خمسة وسبعين سنة	خمس وسبعين سنة